A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

922.22
J43aA
C1

أرَجُ الوطنيَّة

في

حياة الطوباوية

جان دارك

الباسلة الفرنسية

ليس من يقطع طرقاً بطلاً
انما من يتقي الله البطل

الله صناتي وبه اعتصم منجني وقرن خلاصي
(ملو : ٢٢ — ٣)

بقلم

الاب يوسف علوان المرسل اللعازري

39887

طبع في مطبعة التوفيق بيروت سنة ١٩١٠

Avec l'autorisation de Monsieur le Visiteur des Lazaristes de la Province de Syrie.
Le 19 Juillet 1909, fête de S^t. Vincent de Paul

Approuvé par Sa Grandeur Monseigneur
Aurelio Briante
Archevêque de Cyrène
Vicaire et Délégué Apostolique d'Egypte et d'Arabie
Alexandrie, le 27 Janvier 1909

باذن حضرة رئيس الرسالة اللعازرية السورية
في ١٩ تموز سنة ١٩٠٩ عيد القديس منصور دي بول

قد اثبته
السير اوريليو برباتي
رئيس اساقفة قيروان النائب والقاصد الرسولي في مصر والعربية
الاسكندرية في ٢٧ ك٢ سنة ١٩٠٩

« حقوق الطبع محفوظة للمؤلف »

Dédicace

A La Nobie Nation Française

PROTECTRICE

DES CATHOLIQUES D'ORIENT

Alexandrie, 25 Août 1908

En la fête de Saint Louis Roi de France

تقدمة الكتاب

للأمة الفرنسية الشريفة

محامية كاثوليكي المشرق

الاسكندرية في ٢٥ اب سنة ١٩٠٨

في عيد القديس لويس ملك فرنسا

الطوبا ويه جان دارك

المقدمة

ملك الارض في يد الرب فهو يقيم عليها في
الاوان اللائق من به نفعها (سير : ١٠ — ٤)

سبحانك ربي في اجرآء احكامك الربانية · وتنفيذ تدابيرك الصمدانية فاحكامك غير احكام البشر · وتدابيرك غير تدابير القدر · لانك بكل شيء خبير · وعلَى كل امر قدير · في يدك مقاليد الامور تقودها كما تشآء وتريد وهي عن حكمك السرمدي لاتزيغ ولا تحيد · تسوقها بحكمة عالية الى الغاية المقصودة · وتبلغها بعناية سامية الى البغية المحدودة · فتقيم في شعبك في كل عصر وأين · من بهم الكفآءة لخدمة مقاصدك العلوية في الخافقين · تنتخب الضعيف فتقويه · وترفع الوضيع فتعليه · لتجري علَى يده الآيات الغريبة · وتظهر لبنيك اسرار قدرتك العجيبة · فمن جملة ما انعمت فاكرمت ومنحت البشرية فاعظمت · من اقمتها في الجيل الرابع عشر بتدبير لا يدرك اعني بها تلك الفتاة الفريدة جان دارك · من ظهرت درة يتيمة في كنيسة فرنسا · ففاقت الابطال الاشدآء شجاعة وبأسا · تقدمت الى شعبها وامتها باسمك العظيم · فانقذتهم من ايدي الاعدآء منادية انك انت وحدك باحوالهم عليم · فرفعت عن بلادها العار والشقآء · واستحقت من فم

الملائكة والبشر المديح والثناء . فهذه هي الحياة العجيبة التي نحن لها اليوم مسطرون . افادة لابناء جلدتنا واجابة لسؤال بعض الادباء الذين لا مندوحة لنا عن اجابة طلبهم فنحن لهم شاكرون . نزفها بحب الى القراء الكرام سائلينهم عفواً عن القصور ومقدمين للعلي الشكر مسك الختام .

الاسكندرية في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٩ الواقع فيه اشهار جان دارك طوباوية في كنيسة القديس بطرس برومة بفم الحبر الاعظم بيوس العاشر المالك سعيداً

القسم الاول

جانّ دارك مُلْهَمَةٌ ومُرْسَلَةٌ

الفصل الاول

في موضوع هذا الكتاب

اني ابنة ضعيفة ولا خبرة لي في حمل السلاح
وركوب الخيل (كلمات جان دارك)

لما تمرد الانسان على الله خالقه ابتعد عنه ملاك السلام فصار فريسة الاميال المنحرفة والشهوات الزائغة وتحول نعيمه الارضي الى شقآء واصبحت حياته موقع حرب هائلة ومتواصلة · ومنذ ذلك الحين اخذت الشعوب تقوم عَلَى بعضها واستعرت نيران المشاجرة والمخاصمة في قلوب بني البشر وشرع كلٌّ يناقش امثاله عَلَى ممرّ الايام مستسلماً الى الحقد والبغضآء مدعياً بالتقدم والتسلط والتملك · ذلك هو ميراث آدم لبنيه وتلك هي نتيجة المعصية الاولية اذ أمسى قليلين من يحفظون وصية من قدّم ذاته ضحية عنا عَلَى الصليب ليصالحنا مع ابيه السماوي بعد أن نادى في انجيله المقدس قائلاً « طوبى لفاعلي السلامة فانهم بني الله يُدعون :» متى : ٥ ـ ٩ » الا انه لا بدّ لمن يأخذ بالسيف ان يخضع لشريعة السيف التي ان هي الانتصار القوي وانكسار الضعيف · هذه

سنّة الطبيعة في الاشياء اي ان الذئب يختطف الخروف والكبير يغلب الصغير . الا ان هذه الشريعة تبطل اذا توسط الله بقدرته الغير المتناهية بين المتحاربين منتصراً للضعيف المظلوم على القوي الظلوم . لانه عزّ وعلا ربّ الموت والحياة يعطي من يشاء ويخذل من يريد لا يرتبط بشريعة ولا يخضع لقانون . فهو الشريعة السامية العليا وبفعل ارادته يتمّ كل شيء في مخلوقاته وليس من يحاكمه او يقاضيه . لان حكمه ليس بعده حكم وقضاؤه ليس بعده قضاء . ولذلك نراه تجلّت اسماؤه بعض الاحيان وبحكمة لا تدرك « يختار الضعفاء ليخزي الاقوياء : لكي لا يفتخر ذو جسد امامه : ١ كور : ١ ـ ٢٧ و ٢٩ » ولكي يعلم الجميع ان لساكن السماوات السلطان والمجد والجبروت . ذلك ما يظهر جلياً في حياة الفتاة جان دارك الملقبة بعذراء اورليان بعد انتصارها الباهر . فيا لها من حياة عجيبة يشهد بصحتها تحت الأيمان المغلظة عدد كبير من الشهود العيانيين . حياة لحمتها العظمة وسداها الشهامة تضاهي حياة الابطال الاشداء وفي الوقت نفسه حياة ساذجة مؤثرة تحاكي حياة العذارى المكرسات لخدمة الله . حياة فيها تظهر أصبع الله القوي وروحه القدوس وبها سطعت العجائب الغرائب من كل جهة كانها النجوم اللوامع السوابح في كبد ليل حالك .

كان موقع هذه الحياة الفريدة ومجلاها فرصة ادعاء مملكة بريطانيا العظمى بالتسلط على مملكة فرنسا بعد ان حازت الانتصارات العديدة السنية واخضعت لصولجانها الظافر الاقاليم الفرنسية الزاهرة . وكان عظماء فرنسا

وحكام نصف إيالاتها قد احنوا الرؤوس امام الغازي القاهر مسلمين سلاحهم للمتغلب العظيم . فبعد ان أُخذت مدينة باريس عنوةً واشرفت مدينة اورليان على الدمار التام فكر كارلس السابع في التخلّي عن بلاد اجداده هارباً قاطعاً رجاءه من الخلاص والظفر . وبينما هو على هذه الحال المحزنة اذ ظهرت في ميدان الوغى فتاة حديثة السن صغيرة ومجهولة من الجميع . أتت للمدافعة عن ملكها المقهور وعن حقوقه المهضومة قهراً وظلماً ونزلت في ساحة القتال بدون جيش ولا مال بل مدفوعة من الله ملك الملوك القهار الذي رأف بفرنسا ونظر الى حالة ذلها فحققت النصر والقت السكينة في القلوب

تلك ولا شك اعجوبة غريبة نادرة المثال . كيف لا ونرى ابنة ضعيفة صغيرة ترعرعت في المزارع بعيدة عن العالم بين المواشي كانت ترتجف من ادنى تهديد او كلمة توبيخ . ابنة جاهلة ساذجة لا تعرف شيئاً من امور الدنيا ولا من احوال البشر وباقلّ منها احوال الحرب والقتال كما قالت هي عن نفسها عند ما سمعت صوتاً سماويا يناديها لتذهب الى الحرب نجدةً للملك الضعيف القريب من الهلاك قائلةً : « اني ابنة ضعيفة ولا خبرة لي في حمل السلاح وركوب الخيل » فهذه هي الابنة الفقيرة التي انقلبت وصارت ذات بأس لا يُخيفه الموت وعزم لا يلويه السيف والتي رفعت من الحضيض علم فرنسا المكسور وهزمت الاعداء الظافرين من كريسي وبواتيه وازانكور وأرجفت النبالة الانكليزيين . وهي التي زحفت والنصر حليفها في مقدمة الخيالة الاشداء والابطال الصناديد على جيش المعتدين فذهبوا من امامها

شذر مذر وحصّلت لكارلس السابع التعيس لقب الغازي فحفظته له التواريخ وهي التي أخذت هذا الملك المنكود الحظ الى مدينة ريمس بين سيوف الاعداء المرهفة ووضعت عَلَى رأسه تاج آبائه واجداده الملوك

اذن اذا كان لم يتمّ لانكلترا اخضاع مملكة فرنسا لسلطانها كما كانت تؤمّل واذا كانت فرنسا خلعت عنها نير المعتدين عليها الامر الذي لم يصر لا يرلنده التعيسة فالفضل في ذلك لتلك الفتاة الشهمة لعذراء او رليان الظافرة وليس ذلك بقليل . وهي لم تفعل ذلك باسمها او بقوتها الذاتيّة بل انها تنادي باسم الله الحيّ وتقرّ معترفة انها مُرسَلة من لدنه تعالى وانها لا تطلب عَلَى ذلك جزاء ارضيا بل ارضاءه عزّ وجل وخلاص نفسها لا غير . وبعد ان أتمّت عملها العظيم اي بعد ان أرجعت تاج القديس لويس الى ملوك فرنسا وحرّرت بلادها نالت هي تاجاً سماويا اي اكليل الشهادة الباهر في السعادة الخالدة الموعود بها لمن قدّم حياته للموت حبا بالله ولمن ذاق عذاب النار تمجيداً لاسمه القدوس نظيرها فسبحان العليّ القدير ان له في خلائقه عجائب وآيات

الفصل الثاني

مسقط رأس جان دارك — والداها

مباركة انت يا بنية من الرب الآله
العلي (يهو : ١٣ — ٢٣)

بينما كان كارلس السادس متقلداً زمام الاحكام في فرنسا واسكندر الخامس متبوئاً عرش الخلافة البطرسية اعني في اوائل الجيل الخامس عشر كان قرويان فقيران وهما يعقوب دارك وايزابيل رومه زوجته عائشين في دومريمي وهي قرية صغيرة كائنة في حدود شامبانيا وبورغونيا واللورين وكانا حسب قول معاصريهما تقيين شريفي المبادىء حسني السمعة طاهري السيرة والسريرة كنزهما مخافة الله والتمسك بوصاياه المقدسة وغاية جهدهما وعنايتهما تربية اولادهما بخوفه تعالى وتدريبهم على العيشة المسيحية والاعتصام بالواجبات . وقصارى الكلام انهما كانا محافظين على مرضاة الرب والمحبة المسيحية مع القريب . اما معيشتهما فكانت ضيقة لقصر ذات يدهما وتعريهما من القنى الارضية ولذلك كانا يأكلان خبزهما بعرق جبينهما حارثين قطعة ارض صغيرة تخصهما ومعتنيين بتربية بعض المواشي ومع ذلك كثيراً ما كانا يقتسمان عيشهما مع من كان أفقر منهما ليكون لهما نصيب من الرحمة الالهية في يوم الدين الرهيب

اما دومريمي فواقعة في بقعة جميلة مخصبة تسود عليها السكينة وتخيم فيها البهجة لانفرادها في وادٍ زاهر بين المروج النضرة الفيحآء والحقول الجميلة والرياض الغنّآء وفيها الاشجار ذات الاثمار اللذيذة والكروم الخضرآء . تسقيها مياه نهر الموز الصافية ويرى عَلَى رؤوس جبالها الشامخة آثار الغابات الكثيفة الغضة بالاشجار الباسقة القديمة العهد المائلة برؤوسها الذابلة المهشّمة التي خلخلتها العواصف الشديدة الى ذاك الوادي الباسم الثغر كما يميل الشيخ المسن الذي ضعضعت صحته زوابع الايام وأدنته السنون من القبر الى الشبيبة الزاهرة الجاهلة احوال الشيخوخة واهوال الموت . اجل ان ذاك الوادي ليس بكبير كأودية جبال الألب العلياآء حيث المراعي الفسيحة التي لايحدها نظر والمشاهد المتنوعة الفتّانة ولا بمطروق كالأودية ذات الحركات التجارية بل هو مكان شغل ويُمن فيه يقنع الفلاّح بالقليل ويكتفي بسرور بما قسمه له الله آكلاً خبزه بفرح القلب ولو بالفقر

اما البيت الذي كان يعقوب دارك وزوجته ايزابيل رومه عائشين فيه فمحفوظ حتى يومنا هذا وهو بمعزل عن بقية البيوت اذ يرى فوق بابه تمثال قديم من حجر يمثل فتاة شاكّة السلاح ساجدة وشعرها متدلٍ عَلَى كتفيها لكن الزمان قد اعتوره قليلاً غير ان تحته في غلق الباب يوجد ثلثة اشعرة لم تمسسها يد الايام يمثل اولها سيفاً مجرداً رأسه في العلاآء وعليه اكليل ملكي ويمثل ثانيها ثلث بواسن وثالثها ثلث زنابق شارة شعار ملوك فرنسا يعلوها باقة سنابل وعناقيد عنب مع هذه الكتابة : فليحيى الجدُ . فليحيى الملك لويس » وقد

حُفر تحتها تاريخ سنة ١٤٨١

لا جرم ان يعقوب دارك لم يدُرْ في خلده قط ولم يخطر له ببال انه بعد مئات من السنين لا يمرّ بالقرب من دومريمي لا امير غني ولا فقير وضيع الا ويتوقف بتهيّب امام بيته الحقير ليتأمل في تلك الاشعرة الثلاثية وفي صورة الفتاة الساجدة فوق بابه .

فهذا ما يجري اليوم ولو كان بعد مضي خمسة اجيال من ذلك الزمان مع ان أُسراً شهيرة ذات حسب ونسب وعزّ وجاه دخلت في خبر كان وانمحى اثرها عن وجه الارض دون ان يُعرف لها اسم او يُذكر لها وطن وهذا ما سيجري ايضاً في مستقبل الايام ما دام عرفان الجميل حيا في قلوب البشر لان اصبع الله كانت في ذلك البيت السعيد الذي نال حظاً فريداً وشرفاً باذخاً بميلاد جان دارك تحت سقفه وبين جدرانه وذلك سنة ١٤١١ للمسيح

فهذه هي الفتاة الساجدة الشاكة السلاح التي يمثّلها التمثال فوق باب بيت يعقوب دارك اما الشعار الذي يمثّل السيف المجرّد والتاج الملكي فهو هديّة لاسرتها ليكون ذكراً خالداً بانها هي هي التي تركت حقل ابيها كما تشير الى ذلك البواسن الثلث الممثّلة في الشعار الثاني وطارت الى مساعدة ملكها المكسور وردّت عليه التاج الملكي بحد سيفها البتّار وخلصت بلاده من ايدي الاعداء . اما الكتابة « فليحيى الجد . فليحيى الملك لويس » فهي شعار بيتها وشعار كل انسان منا لانه اذا كان الجد لا يساعدنا على اقتناء التاج الملكي كالعذراء الباسلة فهو يساعدنا اقله على اجتناء السنابل وعناقيد العنب

اي كل ما يلزم للحياة براحة وسعادة نظير ابوي جان دارك الفاضلين فضلاً عن انه يقودنا لا محالة الى السعادة الخالدة ·

الفصل الثالث

في حداثتها

لقد اشتهيت شهوة ان ارى ملكنا
راجعاً الى الملك (كلمات جان دارك)

كان لجان دارك ثلاثة اخوة واخت واحدة اما هي فكانت تمتاز عنهم بحسن استعداداتها وتقواها الفريدة كما يشهد معاصروها عَلَى اختلاف طبقاتهم · فان منهم الكبير والصغير الجندي الباسل والكاهن الورع القائد والفلاح وكلهم لسان واحد في القول بانها كانت منذ نعومة اظفارها ذات عيشة طاهرة بارة لا عيب فيهـا ولا لوم وانها كانت جامعة في شخصها لشتات الفضائل الراهنة التي اختبروها فيها · فتراهم جميعهم مجمعين عَلَى الاثبات بالقسم بانها كانت ذات لطف وحنان عظيمين ليّنة الجانب طيّبة السريرة صاحبة رأي وتدبير محتشمة في كلامها وافعالها نشيطة متواضعة حليمة صبوراً بشوشاً وفي الوقت نفسه ذات بأس لا يتزعزع في تتميم الواجبات · اما ما يطلقون السنتهم بمدحه والثناء عليه بنوع خاص فهو تقاها الله ومحبتها العظيمة له عزّ وجلّ وتسليمها الكلي لارادته المسجود لها · تلك كانت السلسلة الجامعة لفضائلها

الغرآء وذاك كان ينبوعها الصافي . فكان سبحانه وتعالى دائماً نصب عينيها وفي قلبها وعقلها سوآء كان في البيت الوالدي ام في الحقل ام في الغابة وقصارى الكلام في كل مكان وعمل وآن اذ باشعة انواره الالهية كانت تستنير وبالهاماته الربانية كانت تسير في السرآء والضرآء خاضعة لاحكامه المقدسة . وكانت الكنيسة بيت الله عَلَى الارض مقرّها المحبوب منها كثيراً اذ كانت تختلي فيها كلما سمحت لها الفرص لتحضر الاحتفالات الدينية ولتبوح بحب قلبها الى من علقت به منذ صغرها فكان لها احب كل شيء . وغالباً ما كانت تتقدم الى سرّي الاعتراف والتناول ذارفة الدموع السخينة عَلَى هفواتها وغاذية نفسها بخبز الملائكة . وعندما كانت تسمع قرع جرس الكنيسة وهي في الحقل ولم تكن قادرة عَلَى الذهاب اليها لتشترك مع المؤمنين بالاحتفالات البيعية والصلوات الجمهورية كانت تسجد عَلَى ركبتيها وتغوص في بحر الصلوات الحارة والتأملات الخشوعية . وكانت تلهج بذكر الخالق العظيم والعذرآء القديسة وبينما كانت رفيقاتها يمزحن ويمرحن عند رجوعهنّ الى بيوتهنّ بعد نهاية اشغالهنّ كانت هي منفردة عنهنّ مستسلمة بتهيب الى الصلاة والتأمل وكثيراً ما كانت ترى مختلية في احدى زوايا الكنيسة او امام المصلوب الالمي ساجدة بهيئة سماوية وعيناها شاخصتان بحب في فادي الانام او تمثال العذرآء القديسة التي جاز في قلبها رمح الاحزان من اجل خطايا الجنس البشري . ومع كل ذلك لم تكن كغيرها من الزاهدات تحب العزلة عن الناس شاجنة كامدة بل كانت بشوشاً جذلة تميل الى البهجة والفرح والسرور . ولم

يسمعها احد قط تفتخر بالصفات التي زينها الله بها بل كانت وديعة تحتمل بصبر هزل رفيقاته اللواتي كثيراً ما كنّ يمزحن معها من اجل عاداتها الكثيرة وثقواها الفريد لعدم وجود موضوع آخر فيها يكون قابلاً للمازحة . اما هي فلم تعذل احداً قط بل كانت محبة ترفق بالجميع بلطف مفيضة في كل أين بلسم التعزية على القلوب المنكسرة وناشرة لها لواء المساعدة والتنشيط ولذلك كانت محبوبة من جميع سكان قريتها كما كان يشهد احد الفلاحين المدعو يوحنا موريل وهو في سن السبعين . وذكر فلاح اخر اسمه سيمونان موسنيار انه عندما كان مريضاً كانت تأتي اليه لتعوله وتعتني به وتسهر عليه الليالي مشددة عزائمه معزية قلبه بين اوجاعه وهمومه . وقال آخر ان محبتها للغريب كانت بالغة حدها من الشدة والكمال حتى انها لم تكن تكتفي فقط بفتح بابها لهم بل كانت اغلب الاحيان تُرقدهم في فراشها وتنام هي عَلَى الحضيض واحياناً كانت تُمدهم بما كان يقع تحت يدها وان كان ضرورياً لها او لوالديها . وما كان يفضل عن حسناتها الكثيرة كانت تحمله الى كاهن الرعية ليقدم به الذبائح الالهية عَلَى نيتها . ويُروى عنها ايضاً انها كثيراً ما كانت توبخ وافه كنيسة دومريمي المدعو برّان لاهماله قرع جرس التبشير الملاكي عند المساء واعدة اياه بالمجازاة ان أتم ذلك بتدقيق كما يشهد هو نفسه

هذا ولم تكن جان مهملة الاعتناء باخوتها فانها منذ نعومة اظفارها كانت تحنُّ اليهم وتسهر عليهم وتقاسمهم الاشغال والمشاق في حراسة القطيع الوالدي لكنها لم تبقَ في هذه الوظيفة مدة طويلة اذ ان والدتها دعتها الى

مشاطرتها اشغال البيت فظهرت دربة في الامور البيتية لبقة في فن الغزل والخياطة . اما عشرتها فكانت النسآء الفاضلات المتقدمات بالسن الخبيرات بالامور ومع ذلك لم تكن تنفر من معاشرة البنات التقيات ولا من محادثة الاحداث الذين كانوا يحبون المكث بالقرب منها والوجود معها .

اما نزهتها الوحيدة فكانت كنيسة صغيرة مكرسة لام الله مريم تدعى محبسة سيدة فارمونت وهي حج كان يؤمه المؤمنون من كل فج وصوب لتكريم سلطانة السماوات والارض وكان موقعها عَلَى اكمة ورآء قرية دومريمي قريباً من غابة سنديان قديمة . اما اليوم فلا يرى من تلك الكنيسة الا الآثار ويقال انها كانت في قديم الزمان هيكلاً للاوثان كرسه المسيحيون الاولون لعبادة الاله الحقيقي ولتكريم البتول القديسة . ولقد تداولت الالسنة لاهجة باقاصيص متنوعة عن هذا المكان وحتى الان لايزال الشعب يردّد تلك الاقاصيص كما لو كانت صحيحة . وكان يجري بالقرب من هناك ينبوع ماء كان يشرب منه المصابون بالحمى فيشفون عَلَى زعم البعض . وقيل ان الجنيات كنّ يسكنّ ذلك المكان في زمن عبدة الاصنام بل كنّ كثيراً مايظهرن عَلَى البشر وانه كان يوجد هناك اصول بعض الاشجار تهب القوى العجيبة وتصنع المعجزات . وكان بالقرب من ذلك الينبوع شجرة عظيمة قديمة الايام تدعى بشجرة « عيش السياح » وكان يلقبها سكان تلك الجهات « بأم ايار البهية » او « بأم الجنيات » فكان كل سكان ذلك الجوار يجتمعون في أحد آحاد فصل الربيع تحت اغصانها الغضة الكثيفة التي كانت

تتدلى حتى الارض فتتبدى خيمة خضراء نشرتها يد العلي فوق رؤوسهم فتبهج نواظرهم . وكان امير دومريمي نفسهُ يحضر بذاته للاحتفال بذلك العيد محفوفاً بلفيف اسرته وحوله كل اولاد القرية يرقصون ويطربون ويشدون حول الشجرة السرية ويزدحفون الى الينبوع ثم يقطفون الازهار ويحبكون الباقات والاكلة حول جزع تلك الشجرة وكان الامير يوزع عليهم بعد ذلك خبزاً وخمراً وكان الاهالي يخبزون اقراصاً صغيرة اكراماً للعيد الذي كانوا يسمونه « احد الينبوع » فهذا العيد كان في غابر الاعصار من الاعياد الوثنية فحوّله المسيحيون الى احد اعياد شهر ايار المبارك وكانت جان تحتفل بهذا العيد نظير غيرها من الاولاد لكن الجميع يشهدون بانها كانت تنشد اكثر مما كانت ترقص وهي ان كانت احياناً زينت بالازهار الشجرة فاغلب الاحيان كانت تقدم الاكلة للعذراء القديسة سيدة فارمونت التي كانت تضيء امامها المصابيح كل نهار سبت تالية الصلوات الحارة مدة الساعات الطويلة . وبعد موت جان بما ينيف على المائتين سنة شاهد ادموند ريشر صاحب احدى ترجماتها تلك الشجرة العجيبة بغاية النمو والغضاضة وكان الشعب يحتفل تحت اغصانها الباسقة بذات العيد كما كان يُفعل في ايامها . وهكذا كانت الايام تمضي بلذة وبهجة في تلك البقعة خالية من كل كدر بعيدة عن كل هم فيها كان الآخرون يحتفلون بهذا العيد الوطني على منوال الاولين حتى يومنا هذا .

لكن فيما بعد لما ظهرت جان دارك في حومة الوغى وهزمت اعداء بلادها

وكسرت شوكتهم ونصرت ملكها على مكائدهم رأوا في حنقهم عليها ان يتخذوا سبيلاً من ترددها الى ذلك العيد وزياراتها المتواترة الى معبد تلك الغابة ليقبحوا عليها افعالها ناسبين انتصاراتها الباهرة الى السحر ومساعدة الجن لا الى قدرة الله فكان ذلك منهم انتقاماً بل بهتاناً فظيعاً . اما جان التي كانت ترتعد وتنفر من كل عمل يضاد ارادة الله القدوسة ومن كل اذية لاي كان مهما كانت فأجابت الاشرار بشهامة الى جميع اسئلتهم عن الجنيات وعن اصول تلك الاشجار التي كانوا يزعمون بانها عجيبة قائلة : « اني سمعت مراراً من اناس متقدمين بالسن ليسوا من اسرتي ولا من اقاربي ان الجنيات يظهرن في ذلك المكان بل سمعت امرأة اسمها حنة قرينة اوبري شيخ القرية وهي الشاهدة لي في سر الغماد (عرابة) تخبر انها رأت بعينها اولئك الجنيات فلا اعلم اذا كان ذلك صحيحاً ام لا اما انا فلا اتذكر قط اني رأيت الجنيات تحت الشجرة ولا اعرف اذا كنت رأيتهن في غير ذلك المحل ام لا .. اني شاهدت البنات يعلقن باغصان تلك الشجرة باقات الازهار وانا اقتديت بهن احياناً وكن بعض الاحيان يتركن باقاتهن عليها واحياناً يأخذنها معهن الى بيوتهن .. ويوجد هناك غاب يدعى « غاب السنديان » تمكن رؤيته من بيت ابي ولا يبعد عنه الا بمسافة نصف ساعة فانا لا اعلم ولم اسمع احداً يقول ان الجنيات أتين اليه لكن سمعت اخي يقول ان الناس يزعمون في بلادي باني تلقيت وحي تحت شجرة الجنيات فانا ارذل هذا الزعم واجاهر بانه مخالف لحقيقة الواقع .. ولما ذهبت الى ملكي سألني البعض اذا كان يوجد

في بلادي غاب اسمه « غاب السنديان » لانه قيل بوجود نبوءآت تشير الى ان ابنة تخرج من جواره وتأتي العجائب الغرائب اما انا فلم استيقن بذلك ولم اعر له اذناً صاغية ولم أرَ قط اصول اشجار سحرية كما قيل بوجودها في ناحية قريتي . بل اني سمعت بان استعمالها محذور واثيم لما فيه من المخاطر ومما سمعته ايضاً عن هذه الاصول السحرية هو انه يمكن بواسطتها الحصول على الاموال الطائلة اما انا فلا اعتقد شيئاً من ذلك لان الرؤى السماوية التي ظهرت لي لم تقل لي شيئاً منه »

هكذا كانت تجيب جان مجاهرة برذل كل خرافة وكل اعتقاد باطل في عصر كثر فيه التمسك برقى الاصول السحرية وانتشر الاعتقاد بقضيب العرافة وبفن الكهانة لان همها الوحيد كان في انقاذ بلادها وملكها من الشدائد وطوارق الحدثان لا في اخراج الذهب من قلب الارض بطلاسم الجان . وهي لم تستعمل لذلك العمل المراسيم السحرية بل الصلوات الحارة والابتهالات المتواترة التي كانت ترفعها الى عرش العلي ليرأف بامتها . كيف لا وكانت اخبار الحرب الهائلة قد انتشرت في كل الانحاء وطرقت اذنيها ففتتت احشاءها ورضت كبدها وكانت فرنسا قد انقسمت الى حزبين وصار منهم من ينادون باسم بيت اورليان ويدعون حزب ارمانياك ومنهم من ينادون باسم بيت بورغونيا وكان الفريقان يتناكدان ويتقارضان يتهالك الفريق الواحد في ملاشاة الآخر حتى نقوضت اركان السلام وخيم الخراب على البلاد ونشر الدمار لواءه والبوار اطنابه فكان حزب بيت بورغونيا بلادهم انتقاماً لرئيسهم

المقتول وسلموا بخبث مملكتهم المضرجة بدمآء ابنائهآ وملكهم الذي كان دُخل في عقله من شدة الحزن واليأس لايدي الانكليزيين اعدآء فرنسا الاقدمين وكان جميع سكان دومريمي ما عدا رجل واحد متمسكين ببيت اسيادهم القديم كل التمسك لا يرضون عليهم ملكاً الا من بيت اورليان اما القريــة القريبة فكان سكانها بعكس سكان دومريمي متحزبين لبيت بورغونيا وهكذا كانت القلوب متنافرة والعقول متقاسمة والارآء متشعبة وكان كل فريق يشرب بغضة الفريق الآخر مع الحليب الوالدي وكثيراً ما كنت ترى اولاد تينك القريتين يتضاربون ويتعاركون حتى الدم من جرى هذا الانقسام السائر في البلاد اما جان التي كانت معدة من العناية الربانية لقيادة الفرسان الابطال في ساحة الوغى فلم تتذكر قط انها نزلت في ميدان تلك المعارك الصبيانية بل هي لم تنسَ انها غالباً ما رأت رأي العين اولاد قريتها راجعين الى بيوتهم مخضبين بدمآئهم مثخنين جراحاً ولذا اقرت عن نفسها قائلة انها تمنت لذلك الرجل الوحيد الذي كان في دومريمي من حزب بيت بورغونيا قطع راسه لكنها لما كانت متناهية في التقوى والتسليم لله في كل امر لم تطلب ذلك الا بشرط ان يكون مطابقاً لارادة العلي . وهكذا خضعت جان نظير معاصريها لروح الحقد والضغينة الذي يجعل الحرب الاهلية اشد هولاً من سائر الحروب وذلك رغماً عن عظيم رأفتها بجميع انواع العذاب البشري وراهن فضيلتها وفريد تقواها لكنها لم تلبث ان نزعت من قلبها كل ضغن وصالحت ذلك الرجل وارادت ان تكون شاهدة (عرابة)لاحد اولاده في سر

العماد المقدس وهو لم يتكلم عنهـا قط الا باحترام بليغ . وعند ما سئلت مرة ما اذا كانت في حداثتها اشتهت الضرر للمتحزبين لبيت بورغونيا اجابت بشهامة واخلاص : « لقد اشتهيت شهوة ان ارى ملكنا راجعاً الى الملك » وبذلك اظهرت انها كانت دائماً تبكي مع اعدآئهـا المغلوبين ماسحة دموعهم ومعزية قلوبهم .

هذه هي سيرة جان بين سكان قريتها ولذلك كان كل من يراها يحبها ويُشغف قلبه بها وكل الذين شاهدوا تصرفاتها واختبروا حياتها بالغوا في مديحها واطرائها . وكان كاهن رعيـة دومريمي وجميع سكانها دون استثناء يعتبرونها فائقة الجميع بالفضل والتقى سامية بالكمال وكثيراً ما اشتهى الكافليري البرت ديزورسان ان يرزق ابنة نظيرها . تلك هي الفتاة التي ادهشت فيما بعد العالم بافعال بسالتها النادرة المثال مع انها لم تكن تعرف القرآءة والكتابة ولم تتعلم من والديها الفقيرين سوى الصلاة الربية والسلام الملاكي وقانون الرسل لا غير . فمن هنا يظهر جلياً كالشمس في رائعة النهار ان القلب الساذج المستقيم الممتلىء من حب الله وقوته العلوية يفوق كل علم وحكمة بشرية

ان تقليداً قديماً متعارفاً بين سكان دومريمي يخبرنا ان جان دارك كان لها سلطان على الحيوانات الغير الناطقة نظير بعض افراد القديسين فيروي ذلك التقليد عنها انها عند ما كانت ترعى قطيع ابيها في حداثتها كانت تدعو عصافير السمآء فتأتي وترفرف حواليها صاغية الى كلامهـا وناقدة الخبز الذي كانت تفته لها في حجرها . فنحن نجهل اذا كان ذلك صحيحاً ام محض تخيل تصوره

الحب وألفه الاكرام لهذه الفتاة العجيبة واخترعه عرفان الجميل لما اتت من الاعمال الخطيرة اما ما نعرفه بتأكيد لا يشوبه ريب هو انه فيما بعد لما اراد اعداؤها ان يسوّدوا اسمها ويدنّسوا صيتها ارسلوا الى دومريمي رجلاً من اهل الحضارة في مدينة روان اسمه يوحنا مورو ليستخبر عن سيرتها فلما عاد اليهم سألوه عما سمع فاجابهم انه يشتهي من كل قلبه ان يسمع عن اخته ماسمعه عن جان دارك · فهذه الشهادة الباهرة من فم اعدائها هي ابهى وأسمى في اعين محبيها ومادحيها مما ينسبه اليها التقليد المتناقل نظراً لعصافير السماء · ·

الفصل الرابع

الرؤى الالهية

ان كل ما اعرفه لم اعرفه الا
بوحي الهي (من كلماتها)

وبينما كانت جان تتقدم في طرق محبة الله راقية في معارج الكمال المسيحية تجلت لها ارادة العلي بنوع عجيب فعلمت مقاصده الربانية عليها ولما كانت هي وحدها الشاهدة لذلك الجليان السماوي · ندعها تقص علينا ما رأت وما سمعت من الامور العجيبة مكتفين بما اظهرته للقضاة الذين كانوا يدينونها قالت : « كل ما عملته من الخير في فرنسا عملته بنعمة الله ملك

السماء وبامره كما اوحى اليّ بواسطة ملائكته وقديسيه وكل ما اعرفه لم اعرفه الا بوحي الهي .. اني لم اذهب الى الملك كارلس السابع ابن الملك كارلس السادس الا بامر الله ولولا ذلك لكنت فضلت ان ترضّ لحماني وتطحن عظامي تحت ارجل الخيل من ان اكون ذهبت اليه دون اذن الله الذي بيده جميع اعمالي فعليه وحده كان اتكالي وبه دون سواه كان كل رجآءي . وكل ما قالته لي الاصوات السماوية عملته باحسن ما امكنني حسب قواي وفهمي . ولم تأمرني تلك الاصوات السرية بشيء الا باذن الله ورضاه وكل ما عملته حسب اشارتها اظن اني عملته حسناً وكما ينبغي .. لو كنت اريد ان اقول كل ما امرني به الله لما كفاني لذلك ثمانية ايام كاملة . فها انه قد مضى على ظهور القديسين لي للمرة الاولى سبع سنوات وكان ذلك في احد ايام الصيف نحو ساعة الظهر وكان لي من العمر نحو ١٣ سنة وكنت في بستان ابي فسمعت الصوت من جهة اليمين من ناحية الكنيسة ورأيت حينئذٍ رؤيا محاطة بالانوار الساطعة وكانت هذه الرؤيا تمثل رجلاً بشوشاً عليه سمات الفضل والتقى والوقار وكان للرؤيا اجنحة وكانت تتلألأ حولها الانوار الباهرة وتكتنفها ملائكة السماء لان هذه الارواح السماوية تزور مراراً البشر دون ان تُرى من احد فانا رأيتها بنفسي غالباً بين الناس . فالرجل كان ميخائيل رئيس الملائكة وكان له صوت رجل ذي جلال ووقار . لكنني لما كنت حديثة السن ذُعرت من هذا المشهد وشككت بكونه ملاكاً سماوياً وانا لم اعتقد ذلك الا بعد ان سمعت صوته ثلثاً فعرفته وعلمني واظهر

لي اشياء كثيرة فتحققت انه هوهو بعينه ورأيته رأي العين جلياً كما اراكم الآن ايها القضاة ومعه الملائكة وانا اومن بكل ما قال وفعل كايماني بآلام المسيح فادينا وبموته وما يحملني عَلَى ذلك التعاليم الحقة والنصائح الصالحة والمساعدات القوية التي شملني ولا يزال يشملني بها ويفيضها عليَّ .. فكان يقول لي بانه يجب عليَّ ان اكون ابنة صالحة حسنة التصرف مكثرة من التردد الى الكنيسة واعداً اياي بعون العلي . واخبرني عن البلايا العظيمة التي كانت سائدة في مملكة فرنسا وعلمني كيف ينبغي لي ان اسرع الى مساعدة ملكي وكان يقول لي ان القديستين كاترينا ومرغريتا ستظهران لي آمراً اياي بالطاعة لكل ماتأمراني به لانهما مُرسلتان من قبل الله لتقوداني وتساعداني بانوارهما في كل ما كان يجب عليَّ اتمامه .. فظهرت لي فيما بعد القديستان المذكورتان كما قال الملاك وأمرتاني بان اذهب الى السيد بودريكورت قائد الملك في فوكولور ونبهتاني الى انه يسخر بي و يطردني مراراً لكنه لايلبث ان يعيرني اذناً صاغية ويعطيني الرجال ليقودوني الى داخل المملكة بالقرب من كارلس السابع وقالتا انه سيتم لي بعد ذلك رفع الحصار عن اورليان فاجبتهما باني ابنة ضعيفة ولا خبرة لي في حمل السلاح وركوب الخيل وادارة الحرب فجاوبتاني بانه يجب عليَّ ان ارفع علمي بجرآءة وان العون الالهي سيعضدني واني سانجد ملكي عَلَى الرجوع الى الملك رغماً عن قوة اعدآئه . واضافتا قائلتين : امضي وكوني واثقة وعندما تمثلين امام ملكك سيحدث امر عجيب لكي يتحقق رسالتك الالهية ويحسن استقبالك فهاتان القديستان

ارشدتاني مدة سبع سنوات وعضدتاني في كل ضيقاني واشغالي ولا يمضي يوم الا وتظهران لي . فانا لم اسألهما شيئاً الا من اجل الغزاة التي كنت مكلفة بها من قبل الله ولم التمس منهما امراً الا مساعدة الفرنسيين وحراسة مدنهم واما لا جلي فلم اطلب اليهما مجازاة الا خلاص نفسي . وحالما سمعت صوتهما للمرة الاولى نذرت بحرية تامة لله ان ابقى عذراء طاهرة جسداً ونفساً اذا كان بذلك مرضاته تعالى فوعدتاني حينئذٍ بانهما ستبلغاني الى الفردوس كما كنت سألتهما .. ولم تأمرني القديستان بعدم التكلم عن ظهورهما لكنني كنت اخشى اظهار ذلك خوفاً من ان يصدني حزب بيت بورغونيا عن السفر الى الملك وخاصة من ان يعيقني ابي عن العمل . هذا فضلاً عن ان الرؤيا اطلقت لي الحرية في التكلم لاهلي او عدمه عن كل ما رأيت وسمعت لكنني كنت افضل الموت الف مرة على اظهار شيء من ذلك امامهم . وفي كل ما سوى ذلك كنت طائعة لوالدي طاعة تامة وانا اعتقد اني لم اخطئ ابداً بسفري دون اعلامهما او مشورتهما لاني كنت مأمورة في ذلك من قبل الله ولقد كنت فعلت ذلك ولو كان لي مائة اب ومائة ام او لو كنت ابنة الملك نفسه .. انا لا اعلم اذا كنت سمعت ورأيت القديستين تحت « شجرة الجنيات » لكني اعرف جيداً اني رأيتهما بالقرب من الينبوع ونادراً ما كنت أراهما غير محاطتين بالانوار فكنت أرى وجهيهما غير اني لا اقدر ان اقول اذا كان عليهما ثياب اولهما شعر وايدي وبالاجمال اذا كان لهما جسد محسوس وكانتا تظهران لي دائماً بهيئة واحدة ولم الاحظ قط تناقضاً في كلامهما ولم اتمكن من تمييز

الواحدة عن الاخرى وما كنت اعرفهما الا من صوتهما او سلامهما عليّ لانهما كانتا تعلنان اسميهما قبل التكلم معي . ففي الغابة كنت أشعر بمجيئهما اليّ و كانتا تظهران وعلى رأسيهما اكليلان ثمينان بديعان كما يليق بهما و كنت افهم كل ما تقولانه لان صوتهما كان رخيماً لذيذاً يلج الآذان دون استئذان وكانت لهجتهما لهجة التواضع والاحتشام والجلال والوقار وهما يحسنان التكلم باللغة الفرنسية جيداً واود من صميم قلبي ان يسمعهما الجميع كما اسمعهما انا . وقبل اخذ اورليان و بعده نادتاني مرات كثيرة بهذا الاسم « جان العذراء وابنة الله » وبعض الاحيان تأمراني ايضاً بالتقدم الى سر الاعتراف . . وهما تأتيان اليّ دون ان ادعوهما وعند ما تطيلان الغيبة اسأل سيدنا يسوع المسيح ان يرسلهما اليّ . ولم احتج اليهما قط الا وحضرتا . . وعند ما تظهران لي مع الملاك ميخائيل والملائكة اشعر بفرح لا يوصف لخلوي من الخطيئة المميتة ولولا ذلك لكانوا يتركونني للحال كما اظن . ولدى ظهورهم اقدم لهم الاحترام اللائق بهم على قدر طاقتي لعلمي بانهم من سكان السماوات . وقدمت وقت ذبيحة القداس الالهي بين يدي الكاهن شموعاً امام هيكل القديسة كاترينا اكراماً لله والعذراء القديسة والقديستين اللتين ظهرتا لي لكنني كنت اود ان اقدم اكثر من ذلك وكذلك اني زينت ايقونتيهما باكاليل الازهار . ولما تظهران لي اسجد امامهما على ركبتيّ وقد يحدث لي ان اسهى عن ذلك وحينئذٍ اسألهما عذراً عن اهمالي . ولما يغيب القديس ميخائيل مع الملائكة عن نظري اخرّ على الارض لائذة باحترام المكان الذي كانوا واقفين فيه و كنت انحني

باحتشام امامهم . وعانقت القديستين كاترينا ومرغريتا واسمع صوتهما كل يوم وانا في احتياج شديد الى ذلك لاني بدون عونهما كنت فارقت هذه الحياة ... »

بهذا الكلام كانت جان تخبر عن الطريقة العجيبة التي بها امرها الله سبحانه وتعالى بحمل السلاح من أجل ملكها مثبتة حقيقة ذلك بشهامة وثبات رغماً عن الاعذبة المتنوعة والتهديدات المتواترة بل نادت بها جهاراً في وسط لهيب النار . أجل ان تلك لمهمة خطيرة شاقة يقتضي لها بسالة الشجعان وفضيلة سامية وغيرة فنحاسية لما كان يعتورها من الاهانات والمصاعب والمشقات والسخريات والانتقامات الى غير ذلك من العوائق والعراقيل كيف لا وكانت المكافة بها ابنة فقيرة حقيرة مجهولة بدون عون بشري ولا سند يعضدها خارجاً ولا محام يأخذ بناصرها امام القضاة والحكام والاعداء ومع كل ذلك نشرت بيرقها بيسالة الاسود ونادت باسم الرب الهها بين السيوف المجردة ولهيب النار المتأججة وخرجت من المعركة الهائلة ظافرة منتصرة . فلو لم يكن الله معها لما كانت استطاعت وهي بنت الرعاة المعوزين ان تفحم العظماء والاقوياء بانها مختارة من العلي القدوس ومسلحة بقدرته السماوية ولو لم تكن ملهمة منه عز وعلا لما كانت اجتازت البلاد بين صفوف الجنود المدججين بالسلاح ووصلت الى ملكها اليائس واقنعته بان يسلمها ما بقي عنده من الرجال بل لما كانت اظهرت في معمعان الحرب ذلك البطش الذي حير عقول الشاهدين واذهل الباب الرائين وجعل على هامتها اكليلاً من

المجد باذخاً يسطع على جبينها مدى الادهار . فامام هذه الاعجوبة النادرة وبازآء هذه الآية الغريبة لابد لنا من الاقرار بانها كانت حقاً مرشدة من روح الله القدير الذي يقوي الضعفآء وينجد المستقيمي القلوب ولذلك ظهرت مع حقارتها اشد من الابطال الصناديد وازدرت بالعوائق والملمات واشراك الاعدآء محبطة مساعيهم بالغة بمجد الى الغاية السامية المدعوّة اليها

الفصل الخامس

في تركها البيت الوالدي

لو كنت عالماً بمصير ابنتي لكنت امرتكم بان
تلقوها في الماء ولو كنتم رفضتم ذلك
لكنت فعلت انا بنفسي (كلمات ابيها)

وكانت جان تحفظ سرها في قلبها بغاية التحفظ مجتهدة في اخفآئه على ابيها خاصة ولعمري كيف كان يمكنها اقناعه بالاذعان لما ترى وتقول ؟ وكيف كان يمكنها ان تأمل سماحه لها بالسفر؟ انما كان اذن يحق لها ان تتوقع من نزاهته وصرامته الصد عن تتميم رسالتها والمنع من اتخاذ الوسائل للعمل به؟ لكن يا للعجب العجاب ان يعقوب دارك كان يحدثه قلبه بشيء من اقدار ابنته في مستقبل الايام ولذلك كانت عينه عليها تلاحظها في جميع سكناتها وحركاتها وكان لا يطيق ان تغيب برهة عن نظره موصياً امرأته

بمراقبتها بمعزل عن اخوتها. بل انه بعد مضي سنتين على ظهور القديستين لها للمرة الاولى اخبرتها والدتها مراراً بان والدها راى في منامه انها تركت البيت الوالدي بصحبة رجال الحرب وانه قال حينئذٍ بغضب لاولاده. «لو كنت عالماً بمصير ابنتي لكنت امرتكم بان تلقوها في الماء ولو كنتم رفضتم ذلك لكنت فعلت انا بنفسي» فاذا كانت هذه استعدادات والدها بالنسبة اليها مع انه كان يعرف جيداً فضيلتها وتقواها فكيف تكون استعدادات الغريب الذي لا يعرفها؟ ومع ذلك لم تتمالك بعض الاحيان من التلفظ بما يشير الى الامر الوحيد الذي يشغلها ليلاً ونهاراً. فشهد احد الطوبجية فيما بعد انه سمعها مراراً تقول انها كانت تريد الذهاب الى داخل البلاد الفرنسية. وكذلك اكد احد الفلاحين انها قالت له يوماً: «لو لم تكن ياصاح من حزب بيت بورغونيا لكنت اقص عليك امراً» وكان يظن انها تشير بذلك الى امر الزواج. وكانت تقول للآخر: «انه يوجد بين كومباي وفوكولور ابنة تتمكن بظرف اقل من سنة من مسح ملك فرنسا» فيا لها من نبوءة عجيبة تمت بالحرف واثبتها ذلك الرجل الذي قيلت له من فم جان بالأيمان المغلظة امام الحكام. ومرة اخرى كلمت فلاحاً آخر عن امرها بصراحة وحقق هذا انه سمعها مرات عديدة وفي ظروف مختلفة تؤكد له انها ستخلص فرنسا وملكها.

وهكذا توالت السنون وكرت الايام وكانت القديستان تلحان على جان بالذهاب الى قائد الملك في فوكولور لكن الظروف لم تكن تمكنها بسهولة من

ذلك لاتمام مقاصدها بل بالعكس كانت الحوائل تحول دون مبتغاها لانتشار زمرة من حزب بيت بورغونيا حول دومريمي . وكان الرعيان والاكارون قد عبروا مع مواشيهم نهر الموز ملتجئين الى مدينة صغيرة محصنة في اللورين اسمها نوفشاتو لعلمهم بشراسة اولئك القوم المحتلين . وكان يعقوب دارك قد هجر دومريمي مع لفيف بيته واتخذ مسكناً في تلك المدينة ايضاً عند امرأة فاضلة صاحبة فندق . ففي الايام القلائل التي قضتها جان في تلك المدينة الصغيرة كان شيء باطني يحثها بلا انقطاع على الذهاب الى الكنيسة وكان ان اعترفت مرتين او ثلاثاً للاباء الفرنسيسيين المقيمين هناك وما كان يبقى لها من ساعات النهار كانت تخصصه برعاية مواشي ابيها او حسب الشهود العيانيين كانت تكرسه لمساعدة المرأة التي كانوا ساكنين عندها في مهام الفندق تحت نظر والديها . ومن ذلك أصل تلك الحكاية التي اخترعها الاعداء ليحطوا قدر جان ويمحوا من سلوكها كل سمة عجيبة وكل علامة خارقة العادة ليظن الناس ان كل مافعلته يستند الى الطبيعة ولا دخل لله فيه بنوع من الانواع اذ قالوا بانها خدمت مدة طويلة في احد الفنادق حيث تمرنت على ركوب الخيل وقيادتها وتعلمت اشياء اخر كثيرة لاتتعلمها البنات عادة الى غير ذلك من الاقاويل التي لا صحة لها بتة والتي تحقق وأثبت كذبها وبطلها شرعياً

وكان المكث في نوفشاتو يشق جداً على جان لان هذه المدينة كانت أبعد عن فوكولور من دومريمي وكان تشوقها الى إنجاد ملكها يزداد بشدة

يوماً فيوماً مع ازدياد النكبات التي كانت تنقضُّ عَلَى المملكة فتزعزع اركانها وتلقي الرعب واليأس في قلوب بنيها ولذا كانت قلقة لا تذوق راحة لا ليلاً ولا نهاراً حتى اضرَّت الهموم بصحتها . وعندما كانت تُسأل عما بها كانت تجيب ان هواء نوفشاتو غير موافق لها بل مضر بصحتها وانها تفضل ان تكون في دومريمي وكثيراً ما كانت تلح عَلَى والديها بالرجوع بها الى دومريمي ففعلا بعد اربعة او خمسة ايام من مكثهم في نوفشاتو فكانوا اول من رجعوا الى تلك القرية بعد خروج حزب بيت بورغونيا منها

ولم تكن تلك الصعوبة الوحيدة التى صادفتها جان في سبيل رسالتها بل عند رجوعها الى دومريمي تقدَّم شاب يطلبها للزواج فأبت نخطر بباله ان يختلق حجة لبلوغ الارب فادَّعى انها وعدته بذلك وعداً صريحاً ورفع الامر الى محكمة تول الكنسية طالباً محاكمتها والزامها باتمام ماوعدت وعلى اغلب الظن ان والديها كانا موافقين له في هذا الامر لانهما كانا يريان به وسيلة فعالة لمنع ابنتهما عن السفر الي الحرب . لكن جان لم تعبأ بكل ذلك بل توسلت الى قديستيها لتنقذاها من تلك المحنة فسكنتا بلبالها وشجعتاها وبشرتاها بالانتصار . فذهبت الى تول مطمأنة البال واثبتت بالقسم عدم وعدها بما يزعم ذلك الشاب فبرَّرت المحكمة ساحتها ورجعت ظافرة . ولم تكن كل هذه الصعوبات تقعد جان عن قصدها او تزعزعها بل تشجعت وخطت فيه الخطوة الاولى اذ ذهبت الى احد انسبائها واسمه دوراند لاكسارت وكان فاضلاً حكيماً يسكن بين دومريمي وفوكولور وكان لها به ثقة عظيمة

فسألته ان تمكث عنده بضعة ايام فسر لاكسارت بذلك وطلب الى والديها ان يدعاها تبقى عنده مدة لتساعد امرأته الني ايام ولادتها كانت قد قربت فرضي والدا جان بذلك فتخلصت من مراقبتهما ولم يمضِ عليها ثمانية ايام حتى كاشفت نسيبها بأمر الله لها معلنة له انها مدعوة منه عز وعلا لتضع عَلَى راس كاراس تاج آبائه وبالنتيجة انها ملتزمة بالذهاب الى بودريكورت قائد الملك في فوكولور . فلما سمع لاكسارت ذلك لم يعرها اذناً صاغية بل هزأ بها . فاخذت جان باقاعه مذكرة اياه بتلك النبوءة القائلة ان فرنسا بعد ان تكون هبطت في هوة الهلاك بسبب امرأة تخرج من تعاستها بواسطة عذراء :قالت ذلك عن يقين وطيد وتكلمت عن استيقان راسخ كالجبال بنجاح المسعى حتى صدّق مقالها وأيقن بصحة بعثتها الا انه رأى ان يذهب هواولاً الى القائد ليعرف ما يقول ففعل ولكن القائد كان داهية من دواهي الحرب يتكل عَلَى سيفه اكثر من اتكاله على مائة عذراء مرسلات من الله . فلما قص عليه لاكسارت الخبر اجابه بوجيز الكلام مكرراً قوله له انه يجب عليه ان يصفع نسيبته وان يرجعها الى بيت ابيها لانه لا يرى في كل ذلك الا جنوناً.

الفصل السادس

في ذهابها الى القائد

لابد لي من الذهاب الى الملك حتى اتمم رسالتي
لان تلك هي ارادة سيدي (من كلماتها)

ان جواب القائد لم يثبط جان عن عزمها فقالت لنسيبها انها مستعدة

للذهاب بنفسها الى القائد وان لا شيء يمكنه ان يقعدها او يثنيها عن ذلك فلم يستطع الا مرافقتها راضخاً لامر الله المعلن لها . فوصلا فوكولور يوم عيد الصعود الالهي من سنة ١٤٢٨ وبذلك اظهر لاكسارت الفلاح ايماناً حياً بوحي جان العجيب بيد ان بودر يكورت القائد كان يرذله رافضاً على جان طلبها باحتقار وازدراء بل آبياً قبولها بين يديه غير انه لشدة الحاحها وثباتها الغير المتزعزع التزم اخيراً بمواجهتها . فلما امتثلت امامه عرفته من بين رجاله مع انها لم ترَهُ قط لان قديستيها اظهرتا لها ذلك فاخبرته كيف ان الله سبحانه اظهر لها ارادته الالهية بواسطة القديستين كاترينا ومرغريتا وكيف انها اتت بأمر الرب لتعلن له وجوب ارسال علم الى الملك كارلس ليحسن السلوك لئلاً يفتتح قتالاً لان الله سيرسل اليه عوناً قبل نصف الصوم الكبير القادم . ثم قالت ان مملكة فرنسا لاتخص الملك بل هي لسيدها الذي سلمها كاخاذة الى ولي العهد كارلس . واردفت ذلك بقولها ان الاعداء عاجزون عن اعاقة اتمام تلك المقاصد الربانية وانها ستقود هي بنفسها الملك الى ريمس لمسحه ملكاً وهناك تضع على رأسه تاج اجداده وتجعل في يده الصولجان المطلق . فسألها القائد حينئذ من هو سيدها فأجابته انه ملك السماء . فلم يذعن لكلامها لكنه وعدها بالكتابة الى الملك . فخرجت العذراء من عنده والكآبة آخذة من نفسها مآخذها ومع ذلك لم ترد ان تبرح فوكولور معللة النفس بفرصة انسب لبلوغ الارب واضعة رجاءها وعزاءها في من ارسلها فهو السميع القدير وبه دون سواه النجاح . فنزلت في بيت نجار يصنع عجلاً وكانت امرأته قد علقت بحب

تلك الفتاة العجيبة لما كانت متزينة به من صفات التقوى والكمال . فكانتا تذهبان معاً الى الكنيسة حيث كانت جان تكثر من التقدم الى منبر التوبة . فشهد احد الكهنة فيما بعد ان اعترافاتها اثرت فيه جميلا . وقال آخر انها كانت تتردد الى كنيسته وانها كانت تحضر كل القداديس الاحتفالية والغير الاحتفالية بل كانت تمكث زمناً طويلاً ساجدة امام القربان الاقدس بعد الحفلات الدينية وانه كثيراً ما كان يراها امام صورة العذراء القديسة تارة منحنية الرأس غائصة في بحار التأمل وتارة محدقة الى ايقونة ام الله بعاطفة الحب الشديد والرجاء الوطيد والثقة البنوية .

اما في البيت فكانت تغزل لكن فكر السفر قبل فوات الفرصة كان يضرم احشاءها كالنيران المتأججة و كانت تنتظر يوم ذهابها الى الملك بفروغ صبر لا يوصف عادّة الايام والساعات والدقائق كما شهدت صاحبة البيت الذي كانت نازلة فيه . بل كانت تحنّ الى تلك الساعة حنين الثكلى الى رؤية فلذة كبدها فكانت تتوسل الى كل من ترى ان يوصلها الى الملك لاجل خلاص المملكة قائلة بحرقة : « لا بد لي من الذهاب الى الملك حتى اتمم رسالتي لان تلك هي ارادة سيدي وانا قبلت هذه الرسالة من ملك السماء ولذلك انا مستعدة لاتمامها ولو التزمت بان أفني رجليّ حتى الركبتين مشياً » وكانت تحدث صاحبة البيت عن تلك النبوءة المعروفة القائلة ان فرنسا لا تخلص الا بواسطة عذراء خارجة من اللورين . فأثر كلام جان وسلوكها المنزه عن كل شائبة في قلب تلك المرأة حتى صدّقت مقالها وحقيقة مواعيدها وصدّق

كثيرون غيرها نظيرها .

اما القائد فلما رأى ثبات جان على قولها وتمسكها بالرؤى العجيبة ظن انها ممسوسة من الشيطان فاخذ خوري الرعية وذهب به اليها لكي يختبر حقيقة الامر . فعندما رأت جان الكاهن داخلاً وهو متشح بالبطرشيل سجدت فشرع الكاهن بالتعزيم الكنسي قائلاً نحوها : « ان كنتِ من الشيطان انصرفي وان كنتِ من الله تعالي اليّ » فاقتربت الابنة الى الكاهن زاحفةً عَلَى ركبتيها لكن تصرفه هذا شق عليها جداً لشكه بها بعد ان كان سمع اعترافها وتحقق رسالتها الالهية . ورغماً عن ذلك لم يقنع القائد بل ترك الاهتمام بالامر غير مبالٍ به كعادة من كان نظيره . فرجعت جان والحالة هذه الى بيت نسيبها خائبة كاسفة لكنها واثقة بالله وبقديستيها . ولم يطل الزمان حتى قربت ايام تتميم وعد الله لها فسالت لاكسارت ان يرجع معها الى فوكولور وكان الصوم الكبير قد دخل فوجدت القائد عَلَى ما كان عليه من عدم الالتفات اليها والاكتراث بقولها فعزمت عَلَى السفر مشياً عَلَى رجليها مصحوبة بنسيبها وبيعقوب الاين الذي كان يعتقد رسالتها الفائقة الطبيعة ولما قطعوا مسافة قليلة ظهر لجان ان تصرفها هذا لا يوافق فرجعت على عقبها مع رفيقيها الى فوكولور في اليوم نفسه منتظرة الفرج والفوز بعونه تعالى حسب وعد القديستين وفي تلك الاثناء جاء يوحنا دي نوفلومبونت الملقب بدي متز وكان من اشراف البلاد المعتبرين لزيارة امراة صانع العجل التي كانت جان نازلة في بيتها فصادفها هناك فقال لها : « ماذا تصنعين ههنا ايتها الابنة العزيزة وماذا

يمكننا ان نتوقع بعد سوى ان نرى الملك مطروداً من المملكة وان نصير خاضعين لحكم الانكليزيين ؟ » فاجابته والحزن مالئ نفسها : « اني ذهبت الى القائد روبرت دي بودريكورت وطلبت اليه ان يأخذني او ان يرسلني الى الملك لكنه لم يكترث بي ولم يعبأ بكلامي مع انه لا بد لي من اكون بالقرب من الملك قبل نصف الصوم ولو التزمت بان أفني رجليَّ حتى الركبتين مشياً لانه لا يمكن لاحد في العالم كله ان يأخذ مملكة كارلس السابع لا ملوك ولا امرآء حتى ولا ابنة ملك اكوسه نفسها ولكن ليس لكارلس من عضد غيري مع اني كنت افضل البقاء في البيت ادير مغزلي بالقرب من امي الفقيرة على القيام بهذه الامور التي ليست من خصائص من كانت مثلي ومن حالتي ومع ذلك انا ملتزمة بالذهاب لاقوم برسالتي . تلك هي ارادة سيدي » فسألها الرجل الشريف « ومن هو سيدك ؟ » فقالت : « هو الله » وكان في صوتها وحركاتها ووجهها وعينيها شيء سماوي عجيب يحرك القلوب ويقنع العقول فلما سمع ذاك هذا الكلام ورأى تلك الهيئة السماوية تحقق امراً غريباً يفوق ادراك العقول واساعته قام واخذ بيد جان مقسماً لها بايمانه وشرفه انه سيوصلها الى الملك بحراسة الله . ومنذ ذلك الحين انتشر خبرها في تلك الاصقاع وكان الدوق دي لورين مصاباً بمرض اعيا حيل الاطباء فارسل جواداً اسود متوسلاً اليها ان تأتي اليه ليتمكن من استشارتها فاجابته الى سؤله لكنها اعلنت له انها لا تعرف عن مرضه شيئاً بيد انها وعدته بالصلاة من اجله الى الله طالبة شفاءه بشرط ان يغير عيشته الغير المرتبة وان يتصالح معه تعالى

مرجعاً امرأته الفاضلة بشرف الى قصره بعد ان كان طردها منه بظلم وعن سوء نية ثم سألته ان يوصلها الى الملك مصحوبة بمن تكون بهم الكفاءة فأبى الا انه اجزل لها العطايا وصرفها

اما والدا جان فلما بلغهما خبر امرها وسفرها الى فوكولور ومعاطاتها مع رجال الحرب فار فائرهما وضعضهما الحزن وساءهما جداً ماحدث وما جرى لها واضاق ذرعهما فاسرعا في الذهاب الى فوكولور الا انهما وصلاها بينما كانت جان عند الدوق دي لورين فلم يتمكنا من رؤيتها وهناك وجدا الجميع يلهجون بذكرها ابنتهما مثنين على بسالتها معتقدين رسالتها مادحين صفاتها ومنتظرين من عملها خلاصاً وفرجاً فاطمأن بالهما واذعنا للحق الظاهر ورجعا الى دومريمي خاضعين لارادة الله . غير ان جان بعثت اليهما برسالة فيها تستغفرهما عن تصرفها بدون علمهما او سماحهما فصفحا لها سائلين لها أيداً متمنيين لمشروعها نجاحاً وحسن ختام .

وكان روبرت دي بودريكورت قد قبل رسالة من الملك فاذعن لقول جان العذراء وقصد ارسالها الي الملك فدرى اصحابها بالامر واخذوا يهيئون لها كل ما يلزم لسفرها ليتيقنهم ان الله معها وانها ستاتي المملكة بالخلاص اما نسيبها الذي كان لها عضداً قوياً في جميع احزانها وبلاياها فاشترى لها حصاناً بالاشتراك مع يعقوب الاين فنزعت حينئذٍ ثيابها ولبست لبس الفرسان حسب اشارة قديستيها لتكون في مأمن من كل خطر بين رجال الحرب واضاف القائد الى ذلك سيفاً قدمه لها . ولما تم كل شيء برحت جان دارك العذراء

المكرسة لله فوكولور يوم الاحد في ١٣ شباط سنة ١٤٢٩ لتطير الى انجاد ملكها بامر الله . وكان حولها اصحابها وكثيرون من الشعب وكلهم عيون شاخصة بها باندهاش عظيم لما أوتيت من الشجاعة ولمباشرتها في فصل الشتاء سفراً طويلاً مخطراً تبلغ مساحته ١٥٠ فرسخاً في حين ان الطرق جميعها مقطوعة من الانكليزيين واحزاب بيت بورغونيا وملأى باللصوص والنهاب . فكان البعض يقولون لها : « كيف يمكنك ان تسافري في هذه الظروف فان الاعداء قد احتلوا البلاد من كل جهة » اما هي فكانت تجيبهم ببسالة : « انا لا اخشى الاعداء فان سدوا امامي الطرقات لي الله يقودني رغماً عن الجميع الى سيدي ولي العهد فاني لذلك ولدت » .

سافرت اذن جان باسلة واثقة لان القديستين قالتا لها « سيري بشجاعة في الطريق التي تنهجها لك السماء وحينما تمثلين امام الملك سيحدث امر غريب ليحسن استقبالك ويؤمن برسالتك » وكان برفقتها بطرس دارك اخوها الاصغر والفارسان جان دي متز وبرتران دي بولانجي ورسول من قبل الملك وخيال وخادمان . واما روبرت دي بودريكورت الذي كان لا يزال في شك من أمرها فقال لها ساعة السفر : « امضي الآن وليجر ما يجري » .

الفصل السابع

في سفرها الى قصر الملك

لا تخافوا انا مأمورة بكل ذلك فان اخوتي
الساكنين في الفردوس يظهرون لي ما يجب
علي عمله (من كلماتها)

سارت جان وحاقت بها الاخطار المتنوعة من كل جانب . اللصوص من جهة والاعداء من اخرى بل انها لم تكن في مأمن من قبل رفاقها انفسهم . أجل ان القائد كان قد استحلفهم باليمين في ايصالها سالمة الى الملك . نعم انها كانت قد أمنت خيفة الفارسين الشريفين غير ان الآخرين كانوا ضامنين لها شراً اذ أقروا فيما بعد انهم ظنوها مجنونة او ساحرة فلكي يتخلصوا من شرها ومن الاخطار التي كانت تعرضهم لها كانوا عزموا على ان يتركوها في محل امين هذا فضلاً عن ان جمالها كان قد هيج فيهم الاميال المنحرفة وحملهم على المقاصد الخبيثة . اما هي فكانت متكلة على الرب راجية منه تعالى الحماية من كل شر والوقاية من كل اذى روحي وجسدي ولذا لم يكن شيء يوقفها عن المسير او يرخي عزائمها بل انها كثيراً ما كانت تنشط من كان برفقتها مزيلة عنهم الكرب واليأس وكل هم . وعندما كان هؤلاء يسألونها موجسين عن حقيقة مواعيدها كانت تجيبهم بثبات جأش قائلة : « لا تخافوا انا مأمورة بكل ذلك فان اخوتي الساكنين في الفردوس يظهرون لي ما يجب علي ان اعمله » وكانوا قصد

اختبار شجاعتها يبتعدون عنها خفية ليهجموا عليها هجمة الاعداء متفقين مع من يبقونهم معها على الحرب عند وثبتهم ليروا ما يكون من الامر اما هي فكانت تأمر من معها قائلة « باسم الهي لاتهربوا اذ لايمكن ان يمسكم ضر » وكانت تستسير مدة السفر كله كقديسة وكان كل الذين يسايرونها يجلونها ويحترمونها ويهابونها . وفي كل صباح كانت تستنجد الله تالية صلواتها بحرارة قائلة لمن كان حولها : « آه لو كان ممكناً لكنا نحضر ذبيحة القداس الالهي » اما هؤلاء خوفاً من وثبة العدو لم ينيلوها مرامها الا مرتين فقط وهي لم تكن تتذمر من تصرفهم لعلمها بانهم لم يفعلوا ذلك الا احتراساً من السقوط بين ايدي الاعداء وبنية مستقيمة . وقصارى الكلام انها لم تأت امامهم أمراً ما ملوماً بل كانت كاملة في جميع تصرفاتها حكيمة في آرائها فطنة في اقوالها طاهرة في سيرتها شجاعة في مقاصدها حتى كسبت جميع القلوب واستحقت اهابة رفقتها واحترامهم البليغ واكرامهم العميق فنبذوا عنهم كل نية خبيثة بالنسبة اليها وعدلوا عن كل تصرف سيئ وصار همهم الوحيد ايصالها بسرعة الى الملك حسب مبتغاها ذلك ما حققه يوحنا دي متز وبرتران دي بولانجي . فاخذوا يطوون البلدان الفسيحة فاجتازوا شامبانيا وبورغونيا ونيفارناي وباري وتوراين وكانت الاخطار تحيط بهم من كل جهة لاحتلال الاعداء ولذلك كانوا يسيرون متخفين متجنبين الطرق المطروقة والاماكن المأهولة سائرين أتعب سير في الغابات والبراري عابرين الانهار الجارفة غير لاجئين لراحة الليل الا الى القرى الصغيرة ومن شدة الخوف احيوا مرتين

الليل كله سيراً عنيفاً . وبين جميع هذه المتاعب الشاقة لم يشق عَلَى جان شيء سوى حرمانها استماع القداس الالهي وبعد ان مشوا احد عشر يوماً وصلوا سالمين آمنين الى فيار بوى التي لا تبعد عن شينون حيث كان الملك الا بستة فراسخ . وهناك كان يوجد كنيسة مشيدة عَلَى اسم القديسة كاترينا يتقاطر الحجاج اليها من كل صوب وناحية فاطلقت جان العنان لتقوى قلبها ولعبادتها نحو شفيعتها هذه السماوية فكانت تتردد الى ذلك المعبد الكريم وكثيراً ما كانت تحضر ثلثة قداديس متتالية في يوم واحد . ومن ذلك المكان كتبت الى الملك تسأله اذا كان يمكنها ان تذهب اليه في شينون مخبرة اياه انها قطعت ١٥٠ فرسخاً لتأتي لانجاده وان عندها اشياء كثيرة تقولها له وانها ستعرفه من بين جميع رجاله .

فلنترك الآن جان في كنيسة شفيعتها السماوية في فيار بوى لنتكلم قليلاً عن الملك المنكود الحظ الذي ارسلها الله لنصرته ونشله من الضيقة التي كان فيها باحثين عن الاسباب التي جعلته ومملكته في تلك الحالة التعيسة التي لم يكن ليتخلص منها لو لم يأته العضد بنوع عجيب . ولما كانت الممالك لا تدك بليلة واحدة كما انها لا تعمر بيوم واحد اقتضى منا ان نرجع الى سالف الايام مستأصلين الاخبار بتدقيق عن كيفية احتقار الانكليز بين لفرنسا بعد ان ضغطوا ابناءها واذاقوهم الامرّين مدة السنين الطول وباحثين عن سوء تصرف فرنسا نفسها الامر الذي اوقعها في اسوإ حال واسعر فيها حرباً اهلية هائلة افضت بها الى تدمير مدنها واتلاف قراها حتى ذبح الابن اباه وتحوات المملكة كلها

الى موقعة مرعبة اصبحت بها مظهر القبائح الفظيعة ومجلى الجرائم المريعة فنشر عليها الشقآء خيامه وضرب فيها اليأس اطنابه فانقلبت شر منقلب وتفطر عليها كل قلب

الفصل الثامن

في الوقائع الملتحمة بين الانكليزيين والفرنسيين وفي الحرب الاهلية الهائلة التي دمرت فرنسا في زمن جان دارك

غداً يكون لكم خلاص (١ ملوك : ١١ — ٩)

ان المشاحنة بين الانكليزيين والفرنسيين لقديمة العهد جداً اما اسبابها الاولية كما يوردها التاريخ فهي انه في الزمن الذي فقدت فيه ذرية شارلمان قوة اجدادهم الكرام وحكمتهم في التدبير وعجزوا عن حفظ الترتيب والسلام في الداخل وعن المحافظة على الوطن ضد وثبات الاعدآء في الخارج كان يوجد على ارياف شمالي اوروبا شعب محارب جبل من معدن البسالة والبطش كيف لا وقد كان ذلك الشعب مؤلفاً من اسلاف شعوب اسود ودانيمارك ونروج الحاليين فكانوا ذوي هيبة وبأس مدربين على حمل السلاح عطاشاً الى الحرب والنهب اذ لم تكن محبة الانجيل مست بعد قلوبهم فكانوا يركبون المراكب التي كانوا يسمونها « احصنة بحرية » ويأتون البلاد الجنوبية المخصبة ليغنموا بحد سيوفهم الذهب والجاه وكانت المدن والقصور والكنائس والاديرة ترتجف لصوت صياحهم القهار خاضعة لسيطرتهم من المشرق

الى المغرب من حدود انكلترة وفرنسا الى الشرق الاقصى . فهؤلاء لم يلبثوا ان طمحت ابصارهم الى الاستيلاء على البلدان فتركوا البحر وشيدوا المعاقل في كل ناحية . ففي سنة ٩١١ أكره احد اولئك الابطال المدعو رولون الملك كارلس الملقب بالساذج بقوة السيف على ان يترك له الجهة الشمالية من مملكته بصفة اخاذة ومنذ ذلك الحين دعيت تلك الناحية باسم نورماندیا وما زالت نامية زاهرة تحت ادارة اسيادها الخاضعين لملك فرنسا مدة ١٥٠ سنة ولما اشرق عليها نور الانجيل انتشر فيها العمران المسيحي وازهرت فيها العلوم والفنون واصبح مجلس اولئك الامراء النورمانديين في مقدمة المجالس شهامة وحزماً بين الامم المسيحية . فحدث في سنة ١٠٦٥ ان توفي ادوارد الملقب بالمعترف ملك انكلترة ولم يكن له من يخلفه في عرشه فادعى غيليوم دوق نورماندیا بالخلافة بعده وقصد الاستيلاء على صولجان مملكة انكلترة فزحف عليها في مقدمة ما ينيف على ٥٠٠٠٠ رجل واجتاز البوغاز وحاز النصر التام في معركة هاستينكس وفاز بتاج انكلترة وبذلك اصبح هو وخلفاؤه في موقع غريب ذي عراقيل وعراقيب اذ كانوا من جهة ملوكاً احراراً مستقلين في بريطانيا العظمى ومن جهة اخرى خاضعين لملك فرنسا بصفة كونهم اسياد نورماديا فاذا كان الامراء النورمانديون لم يخضعوا الا بالكاد لصاحب البلاد الفرنسية الضعيف فكيف يخضع له ملوك انكلترة العظام ؟ هذا فضلاً عن ان حسدهم منه ازداد مع ازدياد الاملاك التي اتصلت اليهم في البلاد الفرنسية بداعي الزواج او الارث وبذلك وسعوا نطاق اخاذتهم نورماندیا وجعلوا ملك

فرنسا في خطر من صولتهم وقدرتهم . فاشتعلت اذ ذاك نيران الحرب بين الدولتين الا ان انكسار الانكليز بين اولاً جعلهم ان يعقدوا الصلح سنة ١٣٠٣ ثم اتخذ ادوارد الثاني ولي عهد انكلترة ايزابيل ابنة فيليب لوبيل ملك فرنسا زوجة له تكريساً لهذا الصلح وتوثيقاً لرباط الاتفاق بين الشعبين . غير ان هذا الزواج عوضاً عن ان يوفق بين المملكتين صار سبباً لحروب اشد واهول لان شارل لوبيل آخر اسرته الملكية كان قد توفي بعد ميلاد ابنه بقليل وكان عظماء المملكة قد القوا مقاليد الامور الى فيليب كونت دي فالوى طبقاً لعادة قديمة كانت تحرم النساء حق الخلافة على العرش فاحتج الانكليزيون بزيجة ايزابيل ليدعوا بحقوق وهمية على مملكة فرنسا وجاء ادوارد الثالث ابن الاميرة المذكورة ووطأ ارض فرنسا مشهراً السيف ومعلناً حقوقاً لا اساس لها ومنذ ذلك الحين اشتعلت نيران تلك الحرب التي اتت جان لاطفائها بعد مائة سنة من اضطرامها .

وكان بدء هذه الحرب مشؤوماً جداً على بلاد فرنسا اذ انها صارت سبباً لنكبات متتالية متعددة كانت آخرتها الوبال والدمار والعار ففي سنة ١٣٤٠ انتصر الانكليزيون بحراً على الاسطول الفرنسي في نهر اسكوت انتصاراً باهراً بعد ان ابادوا منهم نحواً من ٣٠٠٠٠ رجل وفي سنة ١٣٤٥ انكسرت فرنسا امام انكلترا في معركة كراسي (فرنسا) وكان الملك فيليب ينازل الاعداء بذاته في مقدمة جيش اعظم من جيش الاعداء بسبع مرات فابلى في الحرب بلاء يذكر فيشكر لكن الاعداء قتلوا حصانه من تحته وفتكوا باخيه

وهزموا رجاله الذين جروه بلجام حصانه خارج ساحة الوغى ليخلصوه من ايدي الفاتكين . فهلك منهم في تلك الآونة ١١ اميراً و ١٢٠٠ فارس و ٣٠٠٠٠ رجل واستولى الانكليزيون على ٨٠ علماً . فهرب ذلك الملك المنكود الحظ مع خمسة من رجاله فقط الى قصر بروا بعد ان كان معللاً النفس بالظفر مع المائة الف عسكري الذين كانوا تحت قيادته . فلما وصل الى ذلك القصر لم يعرفه صاحبه في الظلام فناداه الهارب التعيس قائلاً : « افتح افتح ان فرنسا لتعيسة »

واما مدينة كالاي فبعد ان قاومت كل المقاومة التزمت بفتح ابوابها للاعداء فدخلها ادوارد الثالث وبث فيها رجاله في كل ناحية وحوّل مرفأها الى مكان منيع بالاسلحة ومن هناك كان يستطيع هو وخلفاؤه تصويب ضربات جوره وطغيانه الى داخل البلاد .

هذا ولم يمضِ على كسرة كراسي عشر سنين حتى تحالف الامراء الفرنسيون مع امراء اجانب عديدين فزحفوا على مدينة بواتيه مع ٦٠٠٠٠ فارس وهو جيش لم يُرَ نظيره قط وكان في مقدمة الجميع الملك يوحنا الشجاع مع بنيه الاربعة اما جيش الاعداء فكان تحت قيادة ادوارد دي غال الملقب « بالامير الاسود » لسواد شكته وكان عددهم يسيراً وكلهم مهزولون من شدة الجوع لكنهم كانوا في مكان محصن ورآء السياجات والادغال الكثيفة كانهم الاسد في عرائنها فالتمس الامير الانكليزي حرية المرور واعداً برد الاسرى فلم ينل فسعى الكردينال تاليران باريغورد سفير البابا بالسلام بين

الفريقين فلم ينجح لان الملك يوحنا رفض كل طلب متكلاً عَلَى قوة جيوشه فالتحمت الحرب وتلاحم الجيشان ·

فلما رأى الانكليزيون حالتهم الحرجة تنشطوا وتحمسوا في القتال حول قائدهم الامير الاسود الظافر في معركة كراسي ومكثوا على هذه الحال يبلون بلاءً حسناً حتى حولوا بؤسهم الى ظفر باهر لم يُرَ له مثيل لقلة عددهم ولكثرة عدد جيوش الاعداء كما مرَّ · فسقط كل من كان حول الملك يوحنا وثلاثة من اولاده ولوا مدبرين مع قسم من الجيش وبقي الملك يوحنا يخبط بسيفه ويقربه ابنه الصغير فيليب حتى سقط معه ومع ٨٠٠٠ شريف في حوذة الانكليزيين وكان الاسرى الفرنسيون في جيش الانكليزيين يفوقونهم اضعافاً · فألجئ اذ ذاك الملك يوحنا الى الدخول في مدينة لوندرة باحتفال مع الامير الاسود فشق ذلك عليه وعَلَى ابنه فيليب الباسل وبالاخص لان الظافر بهم كان امير نورمانديا اي انه كان خاضعاً لملك فرنسا ولذلك بينما كان احد السقاة يقدم ماءً للملك ادوارد قبل الملك يوحنا قام ابنه الامير فيليب وضرب الساقي قائلاً له : « ومن قال لك ان تخدم الامير قبل سيده » فاجاب الملك ادوارد بشرف نفس قائلاً « لقد اصابوا بتسميتك فيليب الجسور » وكان الامير فيليب قد نال هذا اللقب في واقعة بواتيه وحينئذٍ قال ابوه هذه الكلمات الشريفة : « اذا ضاعت الامانة في الارض يجب ان توجد في افواه الملوك » وهي وايم الحق كلمات حرية بان تطبع عَلَى تيجان الملوك بل في قلوبهم مدى الادهار ·

وكان كارلس الخامس قد استلم زمام الحكم مدة اسر ابيه الملك يوحنا في انكلترة . اجل ان فرنسا كانت قد هادنت انكلترة لعقد الصلح لكن مصائب كثيرة داخلية وبلايا شتى منعت كارلس الخامس عن تتميم ذلك لانه لما اجتمع وكلاء المملكة اغتنم الشعب تلك الفرصة حتى يلاشوا السلطة الملكية ليتخذوها ثم تعويضاً لهم عن الحمل والفرائض الباهظة التي تكبدوها فقام أمير من الاسرة المالكة اسمه كارلس وكان ملك ناقارّة ويلقب «بالردي» واعلن ذاته في مقدمة المتمردين لانه كان يطمح ببصره الى تاج فرنسا الذي كان يراه قريب السقوط . فقامت مدينة باريس وهاجت ضد كارلس الخامس الذي أُلجئ الى محاصرة عاصمته . وكانت الفرائض تثقل على عاتق الشعب لايفآء فدية بواتيه الباهظة لانكلترة وكان العسكر في حالة الضنك والبلاد في شقآء وتشوش عظيمين وبعد اتمام عقد الهدنة أُطلق سبيل من كان من الانكليزيين في الجندية الفرنسية فأخذ هولاء يجوبون البلاد عصباً ثائرة للنهب والسلب وحينئذٍ هاج سكان الجبال ووثبوا متسلحين على قصور الاشراف واستسلموا الى كل المنكرات والقبائح والفظائع المريعة حتى انهم توصلوا الى اجبار احدى الشريفات على الاكل من لحوم زوجها مشوية . اما كارلس الخامس فكان في تلك الاثناء رابط الجأش جليد القلب مقاوماً الظلم والتعدي بالحكمة والرفق .

ومما زاد الحال حرجاً وخطراً هو تخلي الملك يوحنا عن حقوقه على اراضي الانكليزيين في فرنسا وتعهده بدفع فدية مفرطة بشرط اطلاق سبيله

لان صدره كان قد ضاق من طول ايام النفي فلم يقبل كارلس الخامس ووكلاء المملكة هذا العهد بل رفضوا التسليم به وابوا أنفة المصادقة عَلَى الميثاق الذي عقده الملك الاسير في لوندرا فغضب ادوارد وزحف ثانية الى الانحاء الفرنسية بجيش عظيم لم يكن نظيره في سالف الايام عداً وبطشاً وظلوا سائرين حتى اسوار باريس . فلم يهبأ كارلس الخامس بهم بل فرّ من امامهم رغماً عن استدعائهم اياه الى البراز لانه كان عازماً عَلَى عدم تعريض البلاد ثانية للخراب والدمار ولم يلبثوا ان هلك منهم نحو العشر بالامراض والجوع فاضطرّ الملك ادوارد بالرجوع القهقرى وفي اثناء ذلك داهمته بالقرب من شارتر زوبعة شديدة هائلة لم يُرَ مثلها في صفحات التاريخ فماتت الخيل تحت الثلوج وغطت جثث الموتى الطرقات والنواحي . فارتعب ادوارد ورأى في ذلك عقاباً الهياً لظلمه وشره فنزل عن حصانه ورفع يديه نحو سيدة شارتر واعداً بعقد الصلح والتعويض عن كل ضرر وهكذا تمّ في سنة ١٣٦٠ اتفاق براتيني المشهور في التاريخ وعاد ملك فرنسا بين ذويه .

وبعد ذلك بقليل من الزمان توفي الملك يوحنا تاركاً المملكة في حالة بلبلتها مدة جيل كامل لان اسرة دي بورغونيا كانت قد تلاشت قبل موته بمدة بعد ان تسلطت ثلثة اجيال ولما لم يكن وريث لتلك الاسرة رجعت اخاذة بورغونيا الى حوزة الملك بطريق الارث الشرعي فاغتنم الملك يوحنا هذه الفرصة ليجازي اخلاص ابنه الامير فيليب الذي لم يتركه ساعة الخطر بل كان معه في معركة بواتيه واظهر له في كل فرصة امانة وحباً وتعلقاً شديداً

نخوّله وخلفاءه لقب اول امير في فرنسا مع امارة بورغونيا وهكذا انقسمت المملكة في حين كان الاتحاد اولى بها وأجدر . فاخذت هذه الاسرة الجديدة تمتد ناشرة سطوتها وسيطرتها سواء كان بطريق الارث او بطريق الاستيلاء في كل الانحاء حتى صارت سلطة امارة دي بورغونيا توازي سلطة الملوك العظام . فكما ان الامراء النورمانديين عندما ارتقوا الى عرش مملكة انكلترة اصبحوا اعداء مليكهم الفرنسي هكذا لما امتد بيت امراء دي بورغونيا وعظمت سيطرته اصبح ملك فرنسا في خطر من سطوته لانه كان قد استولى على اقاليم ارتوى وفلاندرا حيث المدن الزاهرة بالصنائع والفنون وسائر انواع التجارة مثل غاند وبروج وايبر وانفرس وماين واخاذة بورغونيا وهاينوت (بلجيكا) وهولندة وزيلاندة وفريزا . وبقي امراء دي بورغونيا متسلطين على هذه المدن والاقاليم مدة جيل كامل توالى فيه بالسلطة عليها اربعة امراء فقط وهم فيليب الجسور ويوحنا الملقب «بسان بور» اي بلا خوف وفيليب الصالح وكارلس الجري، وكل هؤلاء الامراء كانوا مجبولين من معدن الحسارة والاقدام والغيرة والحزم سائرين على آثار فيليب الجسور الذي فاز في معركة بواتيه فوزاً يذكر لكن هذه الجسارة طوّحت بكارلس الجري، فعرّضته لخطر الموت ثلاث في معركة نانسي وقد كان آخر ذرية ذلك البيت . وكان ملوك فرنسا في اثناء كل تلك المدة قد ذاقوا الامرّين من قبل آل دي بورغونيا وخاصة لما اتحد هؤلاء مع الانكليزيين ضد اولئك كما سنرى في سياق هذه الترجمة . الا ان فيليب الجسور كان خاضعاً لاخيه الملك كارلس الخامس

ومساعداً له في ملكه وبذلك اصبح لسطوته عضداً قوياً ضد اعدائه داخلاً وخارجاً فتحسنت احوال فرنسا بهذا الاتحاد تحت تدبير هذا الملك الحكيم . ولما اشتعلت نيران الحرب ثانية مع العدو الاجنبي استخلص كارلس الخامس الاراضي الفرنسية التي كانت في حوزة الانكليز بين الواحدة بعد الاخرى وانتصر عليهم انتصاراً كاملاً لا بقوة الجيش وعظمة الابهة بل بفراسته وحكمته النادرتين ثم لخبرته وذكائه في اختيار رجاله نظير دي غكلان قائد الجيش الملقب «بسيف فرنسا» فأرجع الى فرنسا بهاءها ومجدها الاولين وجعل ادوارد الثالث يتأسف واحشاءه تتمزق كمداً وهو على فراش الموت لفقده ثمرة اتعاب حياته الشاقة لانه لم يكن ينل ما له من السيطرة الا بعد ان اراق دماء ١٠٠٠٠٠ من رجاله ودمر الجهات الزاهرة وارتكب القبائح المستقبحة وحمل بلاده نفسها الاثقال والفرائض الباهظة . فهذا لما تأمل في كل ذلك وهو على باب الابدية ذاب قلبه غماً وحزناً لا سيما لما راى ذاته في تلك الساعة متروكاً من الجميع تعيساً ضعيفاً امام الموت الهائل لا صديق ولا رفيق بقربه ليشدد عزائمه ويعزيه في ساعته الاخيرة اذ لم يكن هناك وقتئذٍ الا احدى رفيقات اثمه التي لشدة ختلها وغدرها تقدمت اليه وهو في النزاع ونزعت من يده الخاتم الذي كان في اصبعه وبينما كانت هذه الامراة الخائنة الناكرة الجميل تجترم هذا الاثم كان الخدم ينهبون ما في القصر من المال والرياش . فجاء كاهن وشفق على الملك المنكود الحظ فاعلمه بدنو اجله فبكى الملك بكاء مرًّا مقبلاً الصليب ثم شكر للكاهن واسلم الروح راجعاً الى خالقه ليؤدي له حساباً صارماً عن

حياته وبعد ٢٣ سنة من ذلك اليوم مات حفيده ريشارد الثاني ابن الامير الاسود في السجن لسبب الحرب الاهلية تاركاً تاج اجداده لبيت دي لانكاستر

اما فرنسا فلم يدم سعدها بل ما لبث ان تحول الى شقآء لان تأييد الممالك او خرابها لا يقوم بالظفر او الانكسار حتى ولا بصلاح المملوك او بشرهم بل متى نخر سوس الفساد قلوب الشعوب ومتى زال خوف الله وتلاشت قداسة الحق والشرائع ومتى فسدت الاخلاق فحينئذ تتداك وتسقط دون امل بقيامها او برفعها من الذل والشنار. فبعد ان ملك كارلس الخامس بعز وفلاح الامر الذي من اجله استحق لقب « الحكيم » انتقل من هذه الحياة مأسوفاً عليه ولم يكد يغمض عينيه حتى قام العظماء طالبين التسلط على وريث العهد البالغ ١٢ ربيعاً ومنذ ذلك الحين عم القلق وشمل الفساد والظلم فهاج الشعب المظلوم وتمرد على الشرائع والحكام وزد على ذلك ماجرى للملك الشاب الذي كان الشعب معلقاً عليه آماله والذي كان متحلياً باحلى المزايا واحمد الخصال وهو انه بينما كان سائراً على ظهر حصانه في غابة مانس اعتراه خوف شديد لدى رؤيته رجلاً مجهولاً خارجاً من اعماق تلك الغابة أتى اليه صارخاً بقوة وأمسك بلجام حصانه موقفاً اياه قائلاً : « لقد خانوك ايها الملك » فعند ذلك اختل عقله فاصبح مجنوناً لا يعي ولا يدري وبقي على هذه الحال التعيسة كل مدة ملكه الطويل وغالباً ما كان يمكث اشهراً بكمالها راقداً دون ادراك زائراً كالوحش الضاري وغير ذاكر شيئاً حتى اسمه نفسه فهذه هي البلية الكبرى التي انقضت على البلاد فضعضعتها وخلخلت اساسات عمرانها فضلاً عن فساد اخلاق

الاشراف والكبار الذين تركوا الله ونسوا الواجبات والشرف واضحوا في حالة من الذل يرثى لها .

وهكذا بقيت البلاد الفرنسية في شقاء عظيم حتى الزمان الذي ظهرت فيه جان دارك العظيمة فمن تأثر تاريخ ذلك الزمان رأى تعاليم سامية تنطق بتعاسة كل من يدوس الشرائع الالهية والانسانية تابعاً اميال السيئة وشهواته المنحرفة تلك كانت حالة فرنسا قبل ظهور الفتاة الباسلة عذراء دومريمي لان المملكة كانت منقسمة الى حزبين حزب يتقدمه الامير فيليب الجسور الدوق دي بورغونيا العظيم الممتاز بطهارة اخلاقه وكرامة عنصره ونبيل حاساته وسمو قدره وحزب آخر يتقدمه الدوق دي اورليان الذي كان يضم العلم الواسع واللطف النادر والذكاء الغريب والشهامة الفريدة الى خفة العقل وفساد الاخلاق . فهذا بصفة كونه اخ الملك المالك كان يريد ان يكون له التقدم على الدوق دي بورغونيا الذي لم يكن الا عم الملك كارلس السادس فتحزب كبار المملكة لهذين الحزبين ووقع الشعب في ضيقة عظيمة واصبحت البلاد في خراب ودمار حتى بيع فراش الفقير جوراً وبغياً . ولكن رغماً عن هذا الانقسام لم يرد فيليب الجسور مادام حياً الفتك باخيه الملك التعيس ولا ببيته غير انه لما مات سنة ١٤٠٤ ونقل جثمانه الى سان دانيس قرب رفات ملوك فرنسا خلفه اخوه يوحنا الملقب « بسان بور » اي بلا خوف فهذا لم يعرف للامور حداً بل تجاوز كل الحدود اذ طابق الاسم المسمى . فاشهر الحرب وسبب قلاقل كثيرة والقى السجس والرعب وجعل الظلم والتعدي ضاربين اطنابهما على البلاد

التي أصبحت بلا رأس بمرض ملكها . ودامت هذه الحال حتى نهب الناس بعضهم ارزاق بعض فكان الغني يسرق الفقير والكبير يتعدى على الصغير والعظيم يظلم الحقير حتى الجيء خدام كارلس السادس الى سرقة ما يجب لهذا الملك المنكود الحظ من القوت اليومي . اما فساد الاخلاق فحدث عنه ولا حرج اذ لم ينجُ منه احد بل تفشى بالجميع دون استثناء . وما لبث الدوق دي بورغونيا ان سير اناساً في ليلة حالكة من سنة ١٤٠٧ ليغمسوا سيفهم في صدر الدوق دي اورليان في احد شوارع باريس ولم يكتفِ بذلك بل تجاسر في محفل حافل ضم كل عظماء المملكة على تبرئة ساحته بقتله اخا ملكه مدعياً ان عمله هذا لمستحق الثناء لانه واجب مقدس كان قضاؤه من باب الضرورة وانه أجدر بالمدح والثواب على ما اتى مما هو بالملامة والعقاب زاعماً انه خلص البلاد من رجل خائن . ومنذ ذلك الحين اخذ الدم يجري من كل ناحية من جرى الحرب الاهلية المريعة حتى غرق فرنسا باسرها فكان مشهداً مريعاً هائلاً وفي تلك الاثناء حدثت فظائع لم يحدث مثلها في سالف الايام فلم يعد يمكن احداً ان يثق باخيه ولا ان يتكل على احد بل كان الخداع سائداً والغدر مخيماً والغش شاملاً والبغض عاماً .

وكان اكبر اعوان الدوق دي بورغونيا جزارو باريس وسلاّخوها ورعاع سكانها فاقامهم على حراسة تلك المدينة فاتوا من القبائح والمنكرات مالا يعد ولا يطاق حتى خاف الاشراف على حياتهم وكان كارلس السادس في اوقات صحوه يبكي على شقاء بلاده وعلى تعاسته لرؤيته ذاته كآلة بين يدي

عدوه الظافر فيثبت ما يفعله هذا بدون مقدرة على اصلاح شيء

وبينما كانت الحرب الاهلية تمزق احشاء البلاد وتشتت شمل بنيها كان الانكليزيون يمدون الحرب لاخذ ثأرهم وارجاع ما فقدته يدهم من الاقاليم الفرنسية في عهد كارلس الحكيم . لانهم بعد ان ذاقوا هم ايضاً الأمرّين من جرى الحرب الاهلية جُبِرَ كسرهم سنة ١٤١٥ تحت لواء هنريكوس الخامس مليكهم الشاب المتزين بالصفات اللازمة للملوك . فاتاهم الفرنسيون بجيش يفوق جيشهم عدداً وقوة لكن عدم اتحادهم وادعاءهم بذواتهم جعلا الغلبة للانكليزيين فانتصر هنريكوس الباسل على الفرنسيين في معركة ازانكورت انتصاراً يفوق انتصار معركة كراسي وبواتيه فخراً ومجداً اذ فيها فقد الفرنسيون اشرف دم من دمائهم لانه بعد ان انتصر الانكليزيون واسروا كثيرين من اشراف الفرنسيين انتشر خبر كاذب بقدوم جيش افرنسي عظيم لينتقم من الانكليزيين . فلما سمع هنريكوس الخامس ذلك أمر بقتل كل الاسرى الفرنسيين دون تمييز وهكذا أهدر دم اشراف فرنسا بايدي اعدائهم الانكليزيين . فخسرت عندئذٍ فرنسا اكبر رجالها وابطالها ولم يبق بيت الا وقد لبس الحداد حتى بيت الملك الذي فقد سبعة من اقربائه الادنين منهم اخوا الدوق دي بورغونيا وأخذ الدوق دي اورليان أسيراً الى انكلترة بصحبة الملك الظافر فقام مقامه الكونت دي ارمانياك فدعيَ حزبه باسمه .

وكان المصاب عظيماً على حزب دي اورليان لان الدوق دي بورغونيا كان قد حرم على ذويه النزال في القتال ورغماً عن ذلك بقي الانشقاق سائداً .

وكان جل مراد الكونت دي ارمانياك الذي استولى على مدينة باريس بعد سقوط الجزارين والسلاخين ان يمنع منها ـ لمثلة حزب دي بورغونيا لا المحاماة عنها ضد الانكليزيين المنتصرين ولذلك استدعى اليها الشحن المقامة على حراسة حصون نورماندیا تاركاً البلاد دون خفر ولا حامية وزاد على ذلك تعرية الملكة من املاكها ونفيها الى طور برضى ابنها كارلس السابع

فهذه الملكة كانت ايزابيل ابنة اتيان الثاني دوق باڤيار العلياء وكانت في صباها بارعة في الجمال فدخلت فرنسا بابهة عظيمة نادرة المثال لكنها لم تلبث ان تهورت في هوة الفساد العام لتزوجها بملك مختل الشعور ولوجودها بين انواع الغرور والخداع والملاهي والملذات لحاق بها الشقاء فجلبت على فرنسا النكبات والبلايا لانها كانت انحازت الى حزب اورليان ثم اعرضت عن حزب ارمانياك وعن ابنها ثم مالت الى حزب بورغونيا لتنتقم لنفسها على الاهانة التي التحقت بها حال كونها ملكة ووالدة الملك ولما خلصها اخيراً يوحنا الملقب « بسان بور » اي بلا خوف من كل هذه العراقيل والمصائب رتبت بنفسها ديوانها ومجلس شوراها واستلمت زمام الحكم فاصبح اذ ذاك في فرنسا ملكان ومجلسان وهناك كانت الطامة الكبرى

غير ان قساوة الكونت دي ارمانياك وفساد اخلاق تباعه وسوء تصرفهم جعلا الباريسيين ان يسلموا المدينة بخيانة الى الدوق دي بورغونيا فهاج الشعب هيجاناً عظيماً ضد ظالميهم الاسرى وهجموا على سجونهم وكسروا ابوابها قهراً وقتلوا منهم في يوم واحد ١٥٠٠ سجيناً بين جميع انواع العذاب والشراسة .

ومجمل القول انهم لم يتوقفوا عند حد بـل استسلموا الى كل انواع الفظائع فضربهم الرب بالجوع والطاعون فمات منهم في بضعة اشهر ٥٠٠٠٠ رجل

وبينما كان الفرنسيون يتناهشون ويتقارضون كان الانكليزيون يتقدمون في البلاد غير طالبين لعقد السلام الا تاج ملكها واستلام ازمة احوالهـا . فقاومتهم مدينة روان ببسالة عجيبة محتملة ببأس وشهامة حصاراً ضيقاً للغاية رأت منه من العذاب ضروباً والواناً ومن المخاطر انواعاً واشكالاً حتى هلك منهم ٥٠٠٠٠ رجل الا انها لما ضاق ذرعها من شدة الجوع والعذاب الهائل بعثت الى الاعداء تسألهم اتفاقاً وتدبيراً مرضياً . فاساء هنريكوس الخامس الى رسلهم فاستاؤوا من ذلك جداً وعزموا على حرق المدينـة مؤملين خرق صفوف الاعداء والتخلص من ضيقتهم والحصـار المضروب عليهم فلما علم الانكليزيون بذلك خافوا خوفاً عظيماً والتزم ملكهم ان يمنح الفرنسيين ما يطلبون من الامور العادلة

فهذا المصاب الجديد الذي جعل كل شمالي فرنسا في حوزة الانكليزيين القى الذعر بين الشعب والجأ ولي العهد كارلس السابع ان يتصالح مع الدوق دي بورغونيا لكن الصلح كان بالظاهر فقط لان الحقد والضغينة كانا قد تاصلا في الحزبين لما لحق بكل منهما من التعاسة والشقاء والخسارة من قبل الآخر ولذلك لم يكن ممكناً لهما الاتفاق التام وجمع القوتين ضد عدوهما اللدود اعني انكلترة وزد على ذلك ان ولي العهد كان قد سأل الدوق دي بورغونيا مقابلته على جسر مونترو ليتفق معه على امور هامة فقام احزاب الدوق دي اورليان القدماء

الذين كانوا بمعية كارلس السابع ووثبوا عَلَى يوحنا الملقب « بسان بور » اي بلا خوف وفتكوا به فتكاً ذريعاً انتقاماً منه عَلَى قتله قائدهم قبل اثنتي عشرة سنة من تلك الايام كما مر بك

وهكذا كانت اللجة تنادي اللجة والشقآء يجر شقآء آخر اعظم واكبر تلك هي سنة العدل الآلهي فكانت نتيجة هذا الامر افتراق الملكة وزوجها الضعيف عن حزب ولي العهد واتفاقهما مع حزب فيليب لابون اي الصالح الذي كان يريد الانتقام لابيه المقتول رغماً عن تحريض فاحص الدعوى له جهاراً في مأتم ابيه على التسليم للعدل الالهي وعَلَى عدم الانتقام فلم ينتصح بل خان بيته وملكه واوقع في طروا عَلَى الاتفاق الذي اجراه مع الانكليز بين سنة ١٤٢٠ والذي بموجبه يلاشي استقلال فرنسا ويعطي ملك انكلترة كاترينا ابنة كارلس السادس زوجة له مع حق التملك على مملكة فرنسا في حياة الامير المريض معلنا حرمان ولي العهد من كل حقوقه ومؤكداً لهنريكوس الخامس الخلافة عَلَى العرش الفرنسي ولسوء الحظ صادق الملك المجنون والملكة الحمقاء عَلَى هذا الاتفاق المنافي للعدالة وحرما ولدهما من حقوقه انتقاماً منه فشق ذلك على الفرنسيين واستقبح الجميع هذا العمل ومذ اليوم الذي تم فيه قران كاترينا ابنة كارلس السادس مع هنريكس الخامس رأى ولي العهد فرنسا وانكلترة متفقتين عليه لتطرداه من املاكه ومن الاقاليم التي كانت باقية معه امينة نحوه فاستعرت اذ ذاك نيران الحرب بنوع اشد من الاول وخيمت الشرور والبلايا عَلَى البلاد ولم يعد احد يستطيع ان يؤمن احداً عَلَى نفسه ذلك كان قصاص العدل الالهي لمن ترك الله ونسي هول

دينونته العادلة فيالتعاسة من يكون سبباً لمثل هذا العقاب . وعدا هذا الشقاء العظيم كانت فرنسا ترى العدو متجبراً باغياً مستهزئاً بها حتى ان كارلس السادس صار متروكاً من الجميع في تعاسته وفي تلك الاثنـاء مات هنريكوس الخامس قبل ان يتم الاستيلاء على فرنسا كلها كما كان مراده وترك بعده ولداً في المهد أوصى به وهو على فراش الموت أخويه الدوق دي بدفورد والدوق دي غلوستر مستحلفاً اياهما بالثبات على عهد بورغونيـا لئلا تفقد انكلترا سيطرتها في فرنسا وبعـد موت هنريكوس الخامس ببضعة اشهر توفي ايضاً كارلس السادس فدفن بحزن بليغ لان الشعب كان يبرره من كل ماجرى في عهده للبلاد من التعاسة والشقاء الذي شرب كأسه حتى الثفل وذاق مرارته حتى الموت .

وكان ان نادى المبشر الانكليزي في كنيسة القديس دانيس مدفن الملوك الفرنسيين بالانكليزي هنريكوس السادس الفتى ملكاً على فرنسا وانكلترا اما الفرنسيون المخلصون فاعتبروا منذ ذلك اليوم ولي العهد الوريث الشرعي ملكاً عليهم دون سواه وسموه كارلس السابع ونشروا راية المملكة للمرة الاولى في معبد حقير حيث كان هذا الامير المظلوم قد اختفى مع انه رئيس فرنسا السامي وملكها الشرعي . فسعى الدوق دي بدفورد كل السعي في طرد كارلس المذكور من الاقاليم التي كانت باقيـة معه في جنوبي فرنسا ثم تزوج باخت فيليب لابون « الصالح » توثيقاً لعرى الاتحاد مع بورغونيا ومع ذلك كان جنود كارلس السابع يبلون بلاءً حسناً في الحرب في جهات مختلفة تارة ظافرين

وتارة مكسورين غير ان الغلبة كانت في غالب الاحيان للانكليزيين لكثرة عددهم ولا سيما في واقعة فرنويل التي فيها خسر الملك كارنس من الرجال مقدار ما خسر ابوه في صحرآء ازانكورت . وكان الخراب سائداً في كل مكان والحزن شاملاً لقلوب الفرنسيين الحقيقيين لرؤيتهم ملكهم كارلس السابع بعيداً ان يماثل جده كارلس الخامس بذكائه وفطنته وحزمه لانه كان عديم الثبات سريع التغير ينتقل ببرهة من اليأس المميت الى الجسارة العمياء غير عامل الا بنصائح ندمائه الذين كانوا يتنازعون صداقته فانقسموا جهاراً في حين كان الاتحاد ضرورياً للانتصار وقام كل حزب ضد الآخر ليستولي على ارادة الملك ويسوس البلاد باسمه . تلك كانت حال المملكة الفرنسية لما كانت الفتاة جان دارك عائشة في البيت الوالدي والقلب دامٍ من جرى تعاسة بلادها ولذا كانت تبحث عن الوسائط الفعالة لتتميم اوامر الله لها وانقاذ ملكها بمساعدة العلي . غير ان الضربة القاضية لا تحل على فرنسا التعيسة الا عند ما تذهب جان العذرآء الى القائد في فوكولور ملتمسة منه بالحاح ان يرسلها الى الملك فلا تلاقي منه الا الشراسة والاهانة

الفصل التاسع

في كيف ان الانكليزيين حاصروا مدينة اورليان وضيقوا عليها تضييقاً عظيماً

الله معنا نعم لنا وعزة وقد وجدناه نصرة
عظيمة في المضايق لذلك لانخشى اذا انقلبت
الارض وتزعزعت الجبال (مز ٤٥—٢ و٣)

أتى الكونت دي ساليسبوري توما دي مونتاغو البلاد الفرنسية في فصل الصيف من سنة ١٤٢٨ بطلب من امرآء البلاد ليستولي باسم مولاه ملك انكلترا الشاب عَلَى الاقاليم الخاضعة لكارلس السابع وكان احزاب الملك الفرنسي مهتمين بالتسلط عَلَى افكاره ليدبروه كيفما شاؤوا فسقطت مدن شاطىء نهر اللوار الايمن ومعاقله بين ايدي الاعدآء واصبح شمالي فرنسا خاضعاً لهم بكليته وعندها فكر الكونت دي ساليسبوري في الاستيلآء عَلَى مدينة اورليان المنيعة زيادةً في مجده لان هذه المدينة العظيمة اصبحت بعد اخذ مدينة باريس من الانكليزيين عاصمة الاقاليم الباقية في حوزة فرنسا وكانت باباً لجنوبي فرنسا فرأى العدو انه اذا اخذها يسهل عليه الوصول الى وسط البلاد فيأسر سكانها ويمد سيطرته عليها ولذلك شعر الفرنسيون الحقيقيون انهم اذا فقدوا اورليان خسروا كل شيء فاسرعوا بامداد المدينة بكل ما لديهم من العدد القليلة الباقية لهم ليحبطوا مساعي العدو ويقوا ذواتهم شره. وكان سكان تلك

المدينة شجعاناً بسلاً لا يهابون معضلاً ولا يخشون الموت في سبيل مليكهم ووطنهم الواقعين في مضيق حرج مخطر فتسلحوا وحصنوا مدينتهم وجمعوا الاموال اللازمة للنفقة وكان للاشراف وخصوصاً لقنونيي سانت كروا (اي الصليب المقدس) الفضل الاكبر في العطاء اذ انهم قدموا للمدينة ٢٠٠ ريال من الذهب القديم . وهكذا فعلت جميع مدن فرنسا العامرة وقصارى الكلام كنت ترى المال والمؤن واردة على مدينة اورليان من كل جهة خلاصاً للبلاد والحرية فرنسا اما كارلس السابع فوثق عرى الاتحاد والمودة مع حليفه القديم ملك اكوسا ليمده بالرجال عند الحاجة واظهر الفرنسيون الصالحون شهامة حرية بهم وباجدادهم الكرام فلجئوا الى الله المانح الغلبة والمعطي الانتصار بثقة ودموع سخينة واقام قانونيو سانت كروا الاحتفالات الدينية بعبادة وورع عظيمين فكانوا يدورون كل يوم بتطواف عمومي مستمدين من مراحم الملي رحمة وعوناً طالبين الى جودته الغير المتناهية الأ يعاقب المدينة من اجل آثام المجرمين الذين يدنسون اسمه الكريم وديانته المقدسة

اما مدينة اورليان فواقعة على شاطىء نهر اللوار الايمن وفي الشاطىء الايسر يوجد جسر يأخذ الى ربض جميل قد افترّ ثغره واخضرّ عوده وفي اول ذلك الجسر كنت ترى قلعة اسمها توريل (اي برج) للدفاع عن مدخل المدينة وكان يصلها باليس معبر نقال . فلما رأى الاشراف ان الجنود الانكليزية قريبة من تلك البقعة عزموا بعد استشارة الرجال الخبيرين بامور الحرب على هدم ربضهم المتقدم ذكره واقامة متراس مبني من التراب وجذع الاشجار

امام تلك القلعة التي كانت في اول الجسر كما تقدم فباشروا بالعمل بجد ونشاط لا يعرفان الملل وكانوا يشتغلون الليل والنهار الا انهم قبل ان ينتهوه علموا من جواسيسهم ان الكونت دي ساليسبوري قائد الاعداء تقدم الى اول الجسر محاطاً بالخيالة الانكليزيين وكثيرين من الفرنسيين الخائنين وكان ذلك في ١٢ ت ١ فعندئذٍ اضرم سكان اورليان النار في ما بقي من الربض وبالاخص في كنيسة الاغوسطينيين البديعة التي كانوا يريدون حفظها حتى الساعة الاخيرة وهكذا قدروا بمساعدة لهيب النار التي كانت لهم بمثابة سور منيع على اتمام متراسهم بكل سكينة . فدامت النار تستعر مدة اربعة ايام لم يجسر فيها الانكليزيون على التقدم من الجسر اما في اليوم الخامس أي عندما اخذت النار بالخمود فاقام الكونت مدافعه على انقاض كنيسة الاغوسطينيين واخذ يرشق المدينة بالرصاص والقنابل والبنادق وكرات الحديد والحجارة ليلاً ونهاراً وكان سكان اورليان يجيبونه بالمثل ممطرين على رؤوس الانكليزيين الرصاص والقنابل من اعلى الاسوار والابراج وبالاخص من المترس الذي بنوه مؤخراً امام القلعة وذلك ببسالة وشدة اوقعتا الكونت دي ساليسبوري في حيرة عظيمة فعزم على مصادمة هذا المترس قبل كل شيء وبدأ باخذ المعدات والوسائل لنجاح مسعاه وفي ٢١ ت ١ نهار الخميس نحو الساعة ١٠ صباحاً هجم ورجاله على المكان المذكور وأسند سلالمه الى المتراس تحت القنابل النارية الساقطة عليه وعلى رجاله من ايدي الفرنسيين البسل الذين كانوا واقفين في اعلى ستائر المترس لمقابلة الصاعدين اليهم من الانكليزيين ومعاملتهم كما ينبغي في

مثل هذه الظروف اي انهم كانوا يصرعونهم من اعلى السلم رامين عليهم اطواقاً حديدية وحجارة وزيتاً مغلياً وماء ساخناً حميماً وجيراً حامياً ليمنعوهم عن الرجوع ثانية وكانت نساء اورليان الباسلات يأتين بهذه الاشياء الى المحاصرين الابطال مقدمات لهم الاكل والشرب والثياب لئلا يتضايقوا من الحر بل كان البعض منهن يطاردن الاعداء بضرب الرماح ومجمل القول ان الفرنسيين دافعوا ببسالة عن مدينتهم حتى اضطر الكونت الى العدول عن الامر بعد ان كان تحمل الخسائر الجسيمة . فلم يربح الفرنسيون من هذا الانهزام لان ساليسبوري امر بالتعجيل بحفر الخنادق واضرام اللغوم حتى دكّ اساسات المترس الذي لم يعد مستنداً الا الى دعائم خشبية يمكن رفعها عند الحاجة ثم هدم بالقنابل قسماً كبيراً من القلعة التي كانت في مقدمة الجسر فعندها رأى اشراف اورليان ان البقاء في مكانهم مستحيل ولذلك هدموا حنيتين من الجسر ورأس القلعة وبنوا بحجارتهما سوراً جديداً على جزيرة تسمى بلكروا (اي صليب جميل) كانت دعائم الجسر الوسطى راكزة فيها ثم اضرموا النار في المترس فاستولى الانكليزيون على القلعة وتحصنوا فيها ضد الفرنسيين الذين ما برحوا يرشقونهم بالنبال والقنابل والرصاص من بلكروا حتى اذاقوهم العذاب اشكالاً والواناً . فحزن الاشراف جداً لخسارة القلعة المذكورة لكنهم تعزوا تعزية كبرى اولاً بوصول القائد العظيم الكونت دونوا الملقب « بنغيل اورليان » الذي كان الملك قد ارسله ليدبر شؤون المدينة مصحوباً بفرسان كرام ثانياً بمصاب حل باعدائهم الانكليزيين في حين كانوا غير منتظرين وهو ان الكونت دي ساليسبوري بعد ان استولى على قلعة

الجسر صعد الى احد ابراجها مع بعض رجاله ليشاهد منظر المدينة وبينما كان احد الفرسان الشجعان المدعو غليوم دي غلاد سدال يستلفت نظره الى مشهد المدينة قائلاً له «انظر يا سيدي الى مدينتك الممتدة امامك فمن هنا يمكنك ان تكتنفها كلها بلحظة واحدة» واذا بكرة حجرية قد رُشقت عَلَى ساليسبوري من المدينة بشدة فقلعت احدى عينيه واطارت قسماً من وجهه واماتت في الحال فارساً كان واقفاً وراءه . فسقط اذ ذاك ساليسبوري عَلَى الارض مدرجاً بالدماء الا انه لم ينسَ في تلك الساعة شرفه وواجباته فجمع حوله قواده وحرضهم عَلَى الثبات وعدم القنوط من الضربة التي انقضت عليه وحركهم عَلَى مضايقة المدينة ومحاربتها ببسالة حباً بملكهم ومجد الوطن . وبعد ذلك طلب ان ينقلوه الى احدى المدن القريبة وهناك فارق هذه الحيوة بدون ان يدري به احد حتى ان الانكليزيين انفسهم لم يعلموا بخبر موته الا بعد ذلك بيومين

فخسارة هذا القائد العظيم الذي يحفظ له التاريخ ذكراً حميداً رغماً عن عدم انسانيته نحو العدو ملأت انكاترة حزناً وغيظاً فكتب مجلس شورى الملك الى الدوق دي بدفورد في باريس يقول له : «ان خسارة هذا العبد الامين الغيور المخلص نحو ملكه ووطنه لفاجعة اليمة جسيمة فليس موته الا قصاصاً لنا من العلي . لكن ليس من الحكمة الاعتراض عَلَى احكام من يجب الخضوع لاوامره بشكر بل ينبغي تعويض هذه الخسارة عَلَى قدر الامكان ولذلك يجب عمل المستطاع للاستيلاء عَلَى مدينة اورليان» فعند تلاوة هذه الرسالة

ارسل الدوق دي بدفورد فرقة من الرجال وقسماً من العدد والمدافع مع الكونت دي سوفولك وقد كان فارساً شهماً باسلاً مقداماً الى بلاء حسناً مع الملك الظافر هنريكوس الخامس وخبيراً جداً بامور الحرب نظير ساليسبوري الا انه كان الطف منه واكرم . وقصارى الكلام انه كان متحلياً بكل مزايا الابطال الاشداء فقسم جيشه الى حزبين واقام غلاسيداس قائداً للواحد بالقرب من قلعة الجسر ليطلقوا المدافع عَلَى المدينة بدون فتور واخذ الآخر الى شاطىء اللوار الثاني ليضايقوا على المدينة من جهة الشرق والشمال والغرب . فلما رى اشراف اورليان بهذا القصد عزموا على ملاشاة ارباضهم الخصيبة التي كانت في تلك الجهة من النهر تضاهي المدينة كبراً وتعد من أخصب الاراضي الفرنسية واجملها ونووا ايضاً دك كنائسهم حتى لا تقع البيوت والمعابد تحت حوذة الانكليزيين مفضلين خسارة الارباض عَلَى خسارة المدينة والوطن

فحدث ان دخل عيد الميلاد المقدس فاتفق الفريقان عَلَى رد السيف الى غمده في اليوم الذي يذكرنا بميلاد امير السلام العظيم طفلاً حقيراً بين بني البشر وعَلَى الانقطاع عن اطلاق المدافع من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة الثالثة مساء . ثم ارسل غلاسيداس مع قواد آخرين من الانكليزيين يلتمسون من الكونت دي دونوا والمارشال دي سان سيفير ان يرسلا اليهم زمرة من المغنيين ذوي الاصوات الرخيمة والموسيقيين الماهرين مع الابواق وآلات الطرب ليقيموا احتفالاً شائقاً لائقاً بعيد الميلاد المجيد فاجابا الى طلبهم عن كرم نفس وطيب خاطر وكانت الحفلة نادرة والعيد بهيجاً .

ولما مضت الساعة المعينة رجع اطلاق المدافع الذي كان يصم الاذان ويرقد في اللحد. فكانت واقعة هائلة تقشعر من مرآها الابدان لان غلاسيداس كان قد فاق ساليسبوري همة ونشاطاً فكان يرشق السطوح والشوارع بقطع من الحجارة وزنها ٢٠٠ ليبرة «اي ١٠٠ كيلو غرام» ولولا معونة الله الخصوصية وحماية القديس اينيان شفيع المدينة لهلك كثيرون ويقال ان قطعة من هذه الحجارة سقطت مرة على مائدة كان حولها خمسة انفار فلم يصب احداً منهم شر فمثل هذه الامور يمكننا ان نعدها عجائب باهرة وعناية خاصة ولذا كنت ترى الاشراف والفرسان يزدحمون عَلَى الكنائس لرفع آيات الشكر للعزة الالهية على آلائها وهباتها

ثم بعد عيد الميلاد بقليل من الزمن ظهر الكونت دي سوفولك مع عسكره وراء المدينة وسد كل الطرقات المؤدية الى اورليان بابراج واسوار وحصون واقام في احدى جزر اللوار متراساً ليتمكن من المعاطاة بسهولة مع غلاسيداس وبهذه الطريقة اصبحت المدينة محاطة من كل جهة بثلاثة عشر حصناً وكان سوفولك يهجم عليها في كل ساعات النهار فتارة كان يضربها عند الصباح والشمس في وجوه الاعداء واخرى عند المساء في الظلام الحالك وطوراً في الليالي الكثيرة الزوابع حتى لا يستطيع الحراس والجواسيس ان يروا او يسمعوا شيئاً وآخر كان ينقض عَلَى المدينة كالصاعقة بقوة عظيمة وبصراخ هائل او بهتاف الابواق المريع ومرة كان ينسل كالافعى بين الاسوار كلص يريد مباغتة السكان وهم نيام لكنه كان يحافظ عَلَى شرائع الشرف والنزاهة ويتجنب

الضغينة والقساوة بل انه كثيراً ما كان يمدح بسالة اعدائه مثنياً على بأسهم وشجاعتهم مظهراً لهم رغبتـه في التقرب اليهم من ذلك انه ارسل يوماً الى الكونت دي دونوا صحناً مملوءاً تيناً وعنباً وبلحاً طالباً اليه ان يتكرم عليه بقطعة من الجلد الاسود ليبطن بها ثوبه تحفظاً من البرد القارس.

اما من جهة النهر الثانية فكان غلاسيداس يحارب المدينة بشجاعة سوفولك ونشاطه لكن الكبرياء كانت قد نخته والرهق والظلم قد استوليا على قلبه حسب قول المؤرخين فكان يضرب المدينة في الليل والنهار بدون انقطاع طالباً اليها ان تسلم ذاتها وتخضع له غير ان سكان اورليان من فرسان اجنبيين اواشراف كانوا يحاربون بعزم وثبات رغماً عن حالتهم الحرجة اذ انهم كانوا محاطين بالاعداء من كل جهة هدفاً لضربات المدافع وضغائن الانكليزيين وكثيراً ما كان الفرسان الابطال يتمكنون من استجلاب العدد والمدد من الخارج رغماً عن المتارس والخنادق العديدة التي كانت تحيط بالمدينة وتسد جميع الطرق المؤدية اليها. وكانت مدافع المحصورين تجيب الى مدافع المحاصرين حتى حنق غلاسيداس فاعلن من اعالي ابراجه المنيعة انه متى دخل المدينة يميت الجميع رجالاً ونساء بحد السيف غير عافٍ عن احد انتقاماً. فكان الاشراف الفرنسيون يجيبونه الى تهديده باطلاق المدافع الداوي كقصف الرعود. وكان فيما بينهم فارس من اللورين يدعى « الاستاذ يوحنا » فهذا كان خبيراً جداً بامور الحرب والضرب ولا سيما باطلاق المدافع فحيثما كان يصوب مدفعه كانت قنابله تصيب المرمى وبهذه الواسطة امات الكثيرين في

مدة ذلك الحصار . هذا فضلاً عن انه كان جسوراً بشوشاً ذا ذكاء ودهاء فكان يخاطر بنفسه في ظروف شتى عند اطلاق المدافع . واذ كان يعلم بغض الانكليزيين له كان يتظاهر احياناً بانه مصاب بضربة قاتلة فيسقط على الارض كالميت فيحمله ذووه كأنه جسد بلا روح وفي الوقت المناسب كان يقوم ويظهر بطشه نلاعدآء بقوة ونشاط عظيمين كأنه قد بُعث من بين الاموات . وكان الفرسان الفرنسيون متأكدين الظفر والانتصار فكانوا يدعون الفرسان الانكليزيين الى البراز امام الجيشين ليظهروا لهم اليد الطولى في النزال والبأس الشديد في ساحة القتال من ذلك مبارزة تذكر جرت في ٣١ كانون اول سنة ١٤٢٨ ظهر فيها فارسان من غاسكونيا من زمرة لاهير الشهير وناديا الانكليزيين ان اختاروا لكم فارسين كريمين مخلصين في الغيرة على وطنهما والحب له لمنازلة اثنين من اعدائكم في واقعة مستقيمة فتعتز امتكم بيسالتهما وتفتخر بلادكم بخبرتهما ومروءتهما . فسمع فارسان انكليزيان نداءهما واجابا الى سؤلهما فضربت الحبال حول الساحة وأقيم حرس المعسكر وقوفاً وركوباً من الجهتين بعدد متوازٍ وحينئذٍ خفض الفرسان رماحهم والتحموا كالاسد فكانت الغلبة للفرنسيين اذ إن الواحد منهما صرع خصمه بضربة واحدة فركض القوم وفرقوهما لان النزال لم يكن عن بغض او انتقام ولا للقتل بل اكراماً للوطن ورفعاً لشأنه كما ذكر .

وعلى هذا المنوال كانت الايام تنصرم والشهور تتوالى في حرب دائم وقتال متواصل بين الفرنسيين والانكليزيين بدون انقطاع لا ليلاً ولا نهاراً

فكانت نتيجة ذلك الشقاء والشدة عَلَى سكان المدينة والضيقة عَلَى جميع البلاد. وكان سكان اورليان قد عقدوا امالهم عَلَى الكونت دي كلارمون الذي كان يجمع في بلوى الجيوش العديدة ليسير الى مساعدتهم وكان قد انضم اليه امير جيوش اكرسا مع مواطنيه وعدد كبير من الامراء والاشراف الفرنسيين المشهورين ولم يكد كلارمون المذكور يستعد الى اورليان حتى علم ان بدفورد ارسل من باريس الى الانكليزيين مراكب لا يقل عددها عن ٣٠٠ تحمل مؤناً وذخائر مع جيش مؤلف من ١٥٠٠ رجل تحت قيادة فالستوف. فعزم كلارمون على حجز المراكب والقبض عَلَى الرجال وكان دونوا قد خرج من اورليان مع الفرسان الاشداء الابطال و ٥٠٠ من الاشراف لمعاونة كلارمون في مهمته هذه. غير ان الله الذي يعتني بكل شيء ويدبر الامور بحكمته الغير المتناهية قاد دونوا بالقرب من العدو في روفراي قبل ان يلتقي بالكونت دي كلارمون وهناك علم ان جيش فالستوف سائر بدون نظام غير متوقع شراً. فقصد وفرسانه ان يترصدوا للانكليزيين ليوقعوهم في اشراكهم اما كلارمون فكان يرسل اليهم رسالة بعد اخرى طالباً اليهم ان ينتظروا قدومه الى محل القتال مع القسم الاكبر من الجيش فاطاع الفرسان أمره مكرهين لعلمهم ان فالستوف قد اطلع عَلَى الخطر الذي كان فيه واخذ يصف مراكبه الواحد وراء الاخر جاعلاً قدامها اوتاداً مسننة حادة ثم لبث وراءها ينتظر المدافعة عن نفسه وعن رجاله متكلاً عَلَى الله. فلما ظهر كلارمون في البعد مع جيشه بدأت النشابة الانكليزيون برمي النبال عَلَى الفرنسيين الذين

احتدموا غيظاً وهجموا لفورهم على الانكليزيين قاصدين الفتك بهم وملاشاتهم ولكنهم لسوء الحظ كانوا بدون ترتيب ولا نظام فحدث بينهم شقاق من جرى ذلك فأبى الاكوسيون ان يثبوا عَلَى الاوتاد ركوباً بل ترجلوا وساروا مشاةً واقتدى بهم عدد كبير من الفرسان الفرنسيين اما الباقون فهجموا على تلك الاوتاد المسننة وهم ركوب فكان ان استغنم فالستوف فرصة انقسامهم وأمر جيوشه بالوثوب عليهم فدمرهم تدميراً وكان من جملة الذين سقطوا قتلى في تلك الواقعة اخوان من بيت ستوار وعدد غفير من الفرسان الاشراف من فرنسا واكوسا وأُصيب دونوا نفسه بجرح بليغ ولولا مساعدة اثنين من نشابته الامناء لكان صار في عالم الاموات اما لاهير وبوتون كسينترايل فأبديا مع ستين من رجالهم من البطش والبسالة والثبات ما اوقف العدو على حد وجعله ينثني عن مطاردة الفرنسيين ومتابعة القتال

وفي تلك الاثناء وصل كلارمون وكان قد سمي فارساً في ذلك النهار عينه فتقلد سيفه وامتطى الجواد وسار في مقدمة جيش عظيم للانتقام للاسم الفرنسي ولرفع العار عن امته الا انه خرج من ساحة الوغى ولم ينازل احداً لاغتياظه من مخالفة دونوا وجيوشه لاوامراه ومن اجل ذلك أُتيح لالف وخمسمائة انكليزي الانتصار على ثمانية الاف افرنسي . فتلك هي الكسرة التي أنبأت بها جان قائد فوكولور والتي كانت بلية كبرى حلت على مدينة اورليان فملأتها بكاء وعويلاً وافعمت سكانها غماً وكدراً لاعتقادهم ان المدينة سقطت في يد العدو فكانوا يغبطون من ذاقوا كاس المنون في ميدان القتال . اما

دونوا الشهم الباسل والبطل الصنديد فلم يقطع رجاءه بل زاده سوء الحال قوة وبطشاً فشمر عن ساعد الجد واخذ يشجع اخوته ويسليهم عن همهم الا ان الجميع كانوا قد فقدوا كل أمل بالخلاص لان كل الامال كانت معقودة عَلَى كلارمون فلما ترك هذا المدينة بعد يومين من وصوله اليها مع اشد الفرسان و٢٠٠٠ نفر من رجال الحرب يئسوا وقطعوا كل رجاء. بيد ان دونوا والمارشال دي سان سيقير كانا يؤملان النجاة والظفر . لكن ماذا يفعل اثنان مع قوم باجمعه او امة برمتها ؟ فالشعب كله كانوا مستيقنين بالهلاك ومتوقعين السقوط في ايدي الاعداء الالداء بعد ان ذاقوا مرارة حصارهم مدة خمسة اشهر كاملة . فكانوا لا ينتظرون منهم الا الوبال والعذاب الصارم اقتصاصاً منهم على مقاومتهم لهم الطويلة المدة . فهرباً من هذه البلية العظمى اجتمعوا وتحادثوا فيما بينهم وقرروا ارسال من يسترحم الظافرين . اما دونوا والمارشال دي سان سيقير فلم يسلما بذلك بل افرغا جهدهما في اقناع القوم بقبول وسيلة اخيرة يأملان بها النجاة وهي ان يسيروا وفداً الى الدوق دي بورغونيا يعرضون له بتذلل ان سيدهم الدوق دي اورليان بسبب اسره في انكلترة بعد واقعة ازانكورت لا يستطيع المدافعة عن مدينته فيلتمسون منه ان يتخذهم تحت حمايته ريثما تحسم المسألة بشأن تاج فرنسا فرضي الجميع بهذه النصيحة وسار الوفد في ١٥ شباط . فمضي عَلَى سفر الوفد شهران ولم ينالوا جواباً و كان العدو في كل هذه المدة يطارد الفرنسيين بقوة حتى صاروا الى آخر درجة من الشقاء واوى دارهم الوبال والبلاء ومع كل ذلك لم يقنطوا بل اظهروا في تلك الآونة بسالة تذكر . فمن اعمالهم انهم

ارسلوا ليلاً من كان منهم اشد بأساً فعبروا نهر اللوار وانسلوا بين المتارس الانكليزية واستأسروا عشرين نفراً من الانكليز بين وقادوهم الى معسكرهم غانمين وفي اثناء ذلك رجع الوفد من بورغونيا ولم ينجح مسعاهم فشملهم الغم واعتراهم الكدر عند رؤيتهم ان كل ما اتوه من الاعمال الخطيرة في سبيل خلاص البلاد والوطن ذهب سدًى وبدون فائدة . اجل ان فيليب لابون كان قد اظهر ميلاً الى اجابة طلبهم لكنه رأى وجوب استشارة بدفورد في ذلك فارسل الى باريس يلتمس رضاه فرفض بدفورد الطلب بعجرفة وعنف في وسط المجلس لظنه ان مدينة اورليان اصبحت في قبضة يده وانه في استغناء عن مصادقة فيليب المذكور آنفاً الامر الذي كان اوصاه به هنريكوس الخامس وهو على فراش الموت

هكذا كان الانكليزيون يفتكرون ظانين ان الظفر سيكلل مساعيهم لكنهم تاهوا وضلوا لان الساهر عَلَى تدبير الكون والذي لا يسقط عصفور واحد على الارض بدون ارادته القدوسة كان قد حكم بخلاف ما كانوا ينتظرون اذ انه تعالى أعد فتاة حقيرة لاحباط مساعيهم ورد كيدهم في نحرهم .

فلما بُلغ الدوق دي بورغونيا جواب بدفورد استشاط غيظاً وارسل مع الوفد الذي اتى من مدينة اورليان بعضاً من رجاله ليأمروا جنوده الموجودين في جيش الانكليز بين بالرجوع اليه عَلَى جناح السرعة وحال وصول امره اليهم ففرح البورغونيون بهذا الامر ولبوا دعوة سيدهم بسرور اما الاورليانيون فرأوا في ذلك هلاكهم الاكيد وظنوا انه لم يعد لاورليان وفرنسا من وسيلة

للخلاص الا عون الرحمة الالهية غير ان يد العلي كانت تقود كل شيء بحكمة كيف لا وقد رأينا ان مدينة اورليان ارسلت في ١٥ شباط وفداً الى الدوق دي بورغونيا لتسترحمه وفي ٢٤ من الشهر نفسه ارسلت جان دارك الى كارلس السابع تقول له انها قطعت ١٥٠ فرسخاً سيراً لتأتيه بالمدد والسلام والظفر.

الفصل العاشر

في قديسي تلك الايام والنبوءات المختصة بجان دارك

لتعترف لك يا رب جميع صنائعك وليباركك
اصفياؤك (مز ١٤٤ : ١٠)

ان الرؤى العجيبة والوحيّ الفائقة الطبيعة لم تكن نادرة في تلك الايام فان آيات السماء تراءت مراراً قبل جان دارك وبعدها لاناس مجهولين من العالم الذين أناروا الشعوب بسامي تعاليمهم وعجيب فضائلهم وفريد اعمالهم. اناس اقتبلوا الوحيّ من العلى وظهروا نوراً ساطعاً يضيء ويحيي المتسكعين في الظلمة وظلال الموت على حين كان الفساد عاماً والخراب الروحي شاملاً والانشقاق الديني يمزق احشاء الكنيسة في المغرب والصليب مداساً ومقهوراً من الاتراك والتتر في بلاد المشرق وكانت راية الكفر تخفق من اقاصي الهند الى اراضي سالسبورغ (النمسا) حتى خيل ان تهديد السلطان بيازيد بجعل هيا كل رومية

معالف لخيله قريب الحدوث. ففي تلك الايام التعيسة التي ظنها الكثيرون بداية النهاية وعلامة انقضاء العالم بينما كان البعض يستسلمون الى قطع الرجاء والى جميع الاهواء المنحرفة لاجئين الى السحر وعائذين بقوات الظلام وجارين من جرى ذلك عَلَى الهيئة الاجتماعية نتائج كل هذه الامور الوخيمة الآئلة الى الخراب والدمار ظهر اناس متمسكون بالحق ومستنيرون بنور الايمان القويم ايديهم مرتفعة الى السماء وعيونهم شاخصة بالملى وقلوبهم مضطرمة بحب الله والقريب . اشرقوا عَلَى العالم ولم يكن العالم يستحقهم وبدأوا يبشرون العالم بالنجاة والخلاص القريب منشطين الضعفاء ومعزّين الحزانى ومقبلين بالخطأة الى التوبة. كانوا ينادون الجميع باسم الاله العظيم ان باباوات او ملوكاً ان فقراء او اغنياء ان صالحين او اشراراً تارةً معلمين ومحرضين واخرى مستحلفين ومنبهين وطوراً متهددين وناصحين او لاعنين ومبشرين بقرب حلول العقاب الالهي العادل .

من هولاء الصالحين الابرار كانت القديسة بريجيتا سليلة ابطال اسود فظهرت بدراً متلالئاً بالفضائل والمبرات ونالت من السماء رؤى عجيبة ووحيً مذهلة نظر فيها مجمع بال (سويسرة) وأمر بنشرها لفائدة المعاصرين وعني بترجمتها الى جميع لغات البلاد الاوربية. فهذه القديسة بعد ان مارست الكمال المسيحي زارت مدينة اورشليم رغماً عن تقدمها في السن ثم توفاها الله في رومية سنة ١٣٧٣ بين يدي ابنتها الروحية القديسة كاترينا الاسودية.

ومن معاصري القديسة بريجيتا العلامة يوحنا تولار الشهير الذي كان

يأسر القلوب بمواعظه البليغة في مدينة ستراسبورغ و كولونيا (المانيا) فهذا كتب بيده ترجمة حياته وذكر سبب توبته العجيبة وهو انه لما كان بسن الخمسين سنة و كان خبر عظاته الرنانة قد ذاع في جميع الانحاء اتاه بالهام الهي رجل عالمي فقير ساذج لكنه غني بمواهب النعمة وقال له انه في الباطن ليس الا فريسيا شريراً . فاغتاظ يوحنا اولاً من هذا الكلام الغريب لكنه عاد فعرف صدقه وسأل الرجل ان يرأف به فاشار هذا عليه بالعدول عن وعظ غيره حتى يعظ نفسه اولاً ويقمع شهواته ويتذلل امام يسوع المسيح المصلوب لينال صفحاً ففعل ولما اتم ما كان يجب عليه من التوبة عاد الى مواعظه الناجمة فاتت بثمار الخلاص الغزيرة الشهية واقبلت بالقلوب الى محبة الخالق العظيم

وبعد هذا الواعظ الملفان أنت كاترينا السيانية قديسة توسكانا العظيمة فظهرت آية في الفضل وعلماً للقداسة السامية أجل ان حياتها كانت قصيرة على الارض اذ انها لم تعش سوى ثلاث وثلثين سنة لكن ايامها كانت ملأى اعمالاً تذكر فتارة كانت تغوص في بحر التأملات العالية امام المصلوب الالهي داخل قلايتها خارقة السحاب بصلواتها الحارة المرتفعة الى عرش الالوهية واخرى كانت تجول في المدن والقرى مضرمة القلوب بحب مولاها . وطوراً كانت تعتني بالمطعونين والمصابين بسائر الاوبئة والامراض بغيرة مسيحية وآخر كانت ترافق المحكوم عليهم بعذاب الموت مشددة عزائمهم مقوية رجاءهم ومحركة قلوبهم الى التوبة والتماس الغفران من العلي الرحيم . هنا كانت تخوض معامع القتال ملقية السلام بين المتحاربين وهناك كانت تشجع الجبناء وتقوي الضعفاء وتساعد

المساكين · ومن اعمالها الخطيرة انها سافرت من فلورنسا الى افينيون بالقرب من البابا غريغوريوس الحادي عشر وهناك ابدت من الغيرة والنشاط في ارجاع السكينة الى حضن الكنيسة الجامعة التي كانت ممزقة بالضغائن ومهشمة بالانشقاق ما لا يعرفه غير الله ولم تفتر عن الكد والعمل حتى نجحت مساعيها رغماً عن الصعوبات المختلفة والمخاطر العديدة · ولما شك البعض بقداستها وفضيلتها خضعت لامتحان اعدائها فتحول شكهم الي اندهاش واندهال · واخيراً كتبت الرسائل العديدة المملوءة حكمة وقداسة الى اناس مختلفين حفظ لنا منها الدهر ١٨٠ رسالة منها موجهة الى البابا نفسه ومنها الى الامرآء والكرادلة فعدها علماء ايطاليا نظراً لدقة انشائها وبليغ اسلوبها بين تآليف دانت وبترارك وينسب قوم الى هذه القديسة كتابات اخرى شعرية ونبوءات مختلفة محفوظة الى اليوم ·

وفي السنة التي فيها تركت القديسة كاترينا هذه الحياة اشرق نجم قديسين عظمين دامت حياتهما الى ايام جان دارك وهما القديس برنردينوس السياني والقديسة ليدفيج او ليدفينا الهولندية · فالقديس برنردينوس بعد ان كرس قسماً من حياته للاعتناء بالمطعونين في مستشفى مدينته وزّع كل ماله على الفقراء وطاف المدن والقرى في ايطاليا مبشراً ومنذراً بكلمة الله مدة ١٤ سنة وكانت الجماهير تتقاطر من كل فج وصوب لاستماع كلامه الفعال في النفوس ومواعظه الرائقة وكان يجتهد في القآء الصلح والاتفاق بين احزاب ملوك المانيا واحزاب الباباوات في ايطاليا وقصارى الكلام ان بلاد ايطاليا

جميعها استقت من ينابيع علومه الصافية واستفادت من اعماله الغرآء .

اما القديسة ليدفينا فعاشت حياتها كلها بالعذاب والالم وسائر انواع البلايا الارضية التي تجرعت كأسها بصبر جميل يضائي صبر الشهداء الابطال ولذلك اسبغ الله عليها التعزيات السماوية كما ذكر صاحب ترجمة حياتها الاب توما الكمبيسي (كمبيس مدينة في المانيا) . فهذا الكاتب الشهير لكي يبين للعالم ان ظهور بعض افراد البشر كجان دارك في بيعة الله ليس بنادر تطرق الى ذكر القديسة ليدفينا مفصحاً عن عظم اعتبار معاصريها لسمو فضياتها وتقاها رغماً عن انعزالها عن العالم وانزوائها في وحدة الخلوة قائلاً : « قد ذاع من ١٧ سنة في العالم كله خبر وجود عذراء تقية اسمها ليدفينا في بلاد هولندة وكان الجميع يتحدثون عن عجيب قداستها وغريب عجائبها كما اخبرني شهود عيانيون فالجميع من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى الجنوب يمدحون هاتين القديستين (اعني بهما ليدفينا وجان دارك) ويسبحون الله على عظم رحمته لانه يرفع الودعاء ويذل المتكبرين لكي تتحقق انه تعالى لا يختار الشرف والقوة ولا حكماء العالم واغنياءه بل الضعفاء هو الحي بوحدته الثلاثية والمالك الى ابد الابد »

وبعد من ذُكروا أتى القديس العظيم والواعظ الملفان الشهير القديس منصور فاريار الذي عاش الى ايام جان دارك مبشراً الشعوب بكلمة الحق ومنيراً العقول بتعاليمه السامية وتآليفه العديدة التي اقبلت بالكثيرين الى التوبة والخلاص . فهذا الرجل الجليل كان سليل اسرة اسبانية عريقة

بالحسب والنسب فترك منذ نعومة اظفاره امجاد العالم وملذاته وانضم الى رهبانية القديس عبد الاحد . ولما انتشر عرف قداسته وذاع خبر علمه استدعاه البابا مبارك الثالث عشر الى افينيون واتخذه مرشداً له ومدبراً للقصر الرسولي ولما تحقق لديه فضله وظهرت له المزايا الفريدة التي كان متزيناً بها اراد في ظروف متنوعة ان يرقيه الى الدرجة الاسقفية حتى انه عرض عليه مرة القبعة الكردينالية اما الراهب القديس فرفض كل ذلك بدموع وتذلل متوسلاً الى البابا ان يسمح له بالرجوع الى التبشير والانذار فنال متمناه وذهب مصحوباً ببركة نائب المسيح على الارض بعدان نال منه نعامات رسولية عديدة لفائدة النفوس واخذ يبشر بانجيل المسيح منتقلاً من مملكة الى اخرى ومن بلد الى آخر ناصحاً ومرشداً معلماً ومهذباً مشجعاً ومؤنباً في الكنائس وعلى الساحات العمومية في المدن والقرى في الوديان والجبال والبراري مذكراً العالم الفاسد بالعواقب الاخيرة ومنبهاً الى يوم الدين الرهيب . فطاف في جميع اقاليم اسبانيا مرات عديدة فكانت فالانسا وكاتالونيا واراغونيا وكاستيل واقليم لاون ومورشيا والاندلس مجلى لفصاحته الرسولية ومظهراً لقداسة السامية وموقعاً لعجائبه الباهرة وارسل اليه ملك غراناطة المسلم رسلاً يدعوه الى مملكته فأبدى فيها فعال الرسل الابطال فاعتنق الكثيرون الدين المسيحي فقام عليه عظماء البلاد خوفاً على معتقدهم فالتزم بالابتعاد ثم أتى توليدا وسالامنك حيث هدى الى الايمان الصحيح جماعة اليهود كلها وحول جامعهم الى كنيسة مسيحية ولما انقرضت سلالة برشلونة الملكية بشخص دون مرتينوس

قام ثلاثة ملوك وكان كل منهم يدّعي بالحق عَلَى استلام ازمة مملكة اراغون فكادت نيران الحرب الاهليـة تستعر فملافاة لها اجتمع عظماء اقاليم المملكة الثلاثة وانتخبوا تسعة رجال حكموهم في فصل الخلاف فارسل اقليم فالانسا منصور فاريار واخاه الراهب الكرتوزي فانتهت المسألة عَلَى كل خير والفضل كله في ذلك للقديس منصور نظراً لما كان له من الاعتبار في اعين الجميع فكلفه المحكمون الآخرون بان يبشر بذاته الشعب الواقف خارجاً المنتظر نهاية الامر بما اتفقوا عليه ففعل فاجابه الشعب بصوت واحد وبفرح جزيل قائلاً : « فليحيى دون فرديننس ملكنا الجديد ونحن نسأل الله ان ينصره ويوطد مجده ويمنحه العمر الطويل »

ثم طاف منصور فاريار في فرنسا مبشراً بالحقائق الابدية مبتدئاً من جبـال البيرينه الى شواطئ البحر ثم شواطئ نهر الرين حتى اللورين وبورغونيا ونورماندیا وكما حول قديماً القديس برنردوس وادي الافسنتين (وهو الوادي الزاهر في فرنسا وسمي بذلك لكثرة الافسنتين فيه ولخلوه من سكان) الى وادي الحرارة والصلاة بتشييده فيـه سنة ١١١٥ ديراً عظيماً لرهبان النرابستيين هكذا حول منصور فاريار واديا خيم عليه الفساد وضرب فيه الشر اطنابه لخلاعة سكانه الى وادي القداسة حتى دعي فيما بعد بالوادي الطاهر . وجاب ايضاً اودية سويسره وجهات سافويا ومر في جبال الالب في قلب الشتاء ثم توجه الى فلورانسا ماراً ببلاد البيامون ولومبارديا ثم استدعاه هنريكوس الرابع الى لندرة حيث باشر بالمواعظ المؤثرة فيها وفي

سائر انحاء انكلترة وفي اكوسا وايرلندة حتى جزيرة ماجورك اكبر جزائر باليار فكان يشتغل في كرم الرب بنشاط رسولي مقدس وكد لا يعرف الملل وبقي على هذه الحال مدة عشرين سنة كملة وكان الملوك والامراء والعظماء يعتمدون على قوله وحكمته في امورهم ومهامهم ويتسابقون الى دعوته والتقرب اليه ومن حسناته انه ساعد مجمعاً التئم لحسم الانشقاق الذي كان يمزق احشاء بيعة الله فأنار الاباء بعلومه وانواره وآرائه وكان محفوفاً باعتبار الجميع واكرامهم وبين كل هذه الامور كان حريصاً على حفظ قوانين رهبانيته محافظاً على الفقر الرهباني مكتفياً بقوته اليومي . وكان الله قد منحه موهبة سامية في فن الخطابة وسلطة عظيمة على العقول والقلوب وكثيراً ما كانت عظاته تسيل العبرات من الاماقي فكان يلتزم بالتوقف عن الكلام الى ان تخمد زفرات سامعيه وكان الاغنياء يوزعون اموالهم على الفقراء اتعاظاً بنصائحه والاعداء الالداء يتصالحون عملاً بتعاليمه حتى ان الكتاب الشرعيين كانوا يتبعون خطواته فيسجلون المشكلات التي كان يحل عقدها . وعند انتقاله من مكان الى آخر كان الجميع يخرجون لمرافقته ببكاء وعويل طالبين بركته . اما عدد الذين هداهم الى الطريق المستقيم فلا يعرفه الا الله . وبعد حياة مملوءة اعمالاً صالحة وفضائل راهنة ومبرات عديدة انتقل من هذه الحياة الفانية سنة ١٤١٧ في فان (بريطانيا) فلفظ روحه الطاهرة تالياً مزامير التوبة . فحفظ سكان مدينة تول (لورين) مدة اجيال المنبر الذي كان يعظ عليه مبشراً بكلمة الحق والخلاص في بلاد جان دارك .

وبينما كان القديس منصور فاريار موضوع اعتبار الجميع في جهات اوربا الغربية كان القديس يوحنا كابيستران احد تلاميذ القديس برنردينوس السياني يجذب الجميع اليه بسمو قداسته وعجيب غيرته ويقبل بالقلوب الى محبة الخالق يبليغ عظاته في جهاتها الشرقية ناشراً لواء الفضيلة في تلك الاصقاع فهذا الرجل العجيب كان مولوداً في جهات ايطاليا الجنوبية سنة ١٣٨٥ من احد اشراف مدينة انجه (فرنسا) ولما شبّ انضم الى رهبانية الفرنسيسيين وعكف على الانذار والتبشير في ايطاليا وفرنسا والنمسا وبوهيميا وموراڤيا والمانيا في جميع جهاتها اي في باڤيار وتورانج وفرانكوني وساكس وسواب وسيلازيا وبولونيا والمجر وفالاشيا حتى روسيا . وكانت الجماهير تزدحم عليه الوفاً مؤلفة مع انه كان يعظ باللاتينية ويلتجئ الى مترجم يفسر عظاته للشعب الذي كان مراراً ينتظر لاستماعه ساعات عديدة في البرد وتحت الثلج ولما أتى ارفورت (ساكس) أمها ١٠٠٠٠٠ رجل لاستماع عظاته . فما فعلته جان دارك في مدينة اورليان من اجل فرنسا فعله كابيستران في مدينة بلغراد (سربيا) من اجل الدين المسيحي والمسيحيين اجمعين اذ ان هذه البلاد لم تخلص من سطوة محمد الثاني الا بسيف هونياد احد فرسان فالاشيا وبعظات يوحنا كابيستران وتدبيره

ولما ظهرت جان دارك كان الواعظون يجولون في مدن فرنسا محرضين الشعب على التوبة وترك العيشة الغير المرتبة ليخمدوا نيران غضب العدل الالهي بالندامة والتكفير . من هولاء الواعظين كان الاخ ريشار احد تلامذة

القديس منصور فاريار وكان ينادي في مدينة باريس بان المسيح الدجال قد ولد وان آيات عظيمة ستتم في سنة ١٤٣٠ فأثر هذا الكلام في قلوب الباريسيين الذين خافوا خوفاً لا مزيد عليه فأقلعوا عن الملاهي العالمية تائبين كما ذكر احد الاشراف في اخبار تلك الايام وقصارى القول ان كلام الاخ ريشار المذكور كان له وقع عظيم في قلوب كل من كان يسمعه حتى ان الانكليزيين تخشّوا ذلك وتوقعوا منه شراً وسوء عاقبة فختموا على الاخ ريشار بالسفر من المدينة دون تأخير فأطاع فحزن الجميع على فراقه وفي تلك الاثناء كانت جان دارك بالقرب من الملك حسب أمر الله وكان كتاب الاقتداء بالمسيح قد انتشر بين المؤمنين وأثمر في النفوس ثمار الخلاص . فهذا الكتاب المقطوع النظير اظهر للبشر بطلان الدنيا وكل ما فيها ما عدا محبة الله والعبادة الخالصة له وان الحكمة العالية هي التوقان الدائم الى السماء باحتقار هذه الحياة فأتى وأيم الحق سفراً فريداً لم يخرج من قلم انسان كتاب يحاكيه فهو الاول بين الكتب الروحيـة بعد الكتاب الالهي وكفى به ذلك مدحاً وتقريظاً فتاقت اليه النفوس العابدة واستقت من مناهله زلالاً يروي كل عطش ويبرد كل غليل وجنت من افنانه علماً يفوق كل العلوم وقوة لا تغلب فترجم الى جميع لغات الارض وطبع في كل الاصقاع والبلدان وتداعت الشعوب الافتخار بالانتماء الى مؤلفـه متباهية بالادعاء انه منها كما كانت مدن بلاد اليونان تتباهى بانها كانت مسقطاً لرأس هوميروس الشهير .

فمن كل هذه الامور التي ذكرناها بان ان ظهور جان دارك لم يكن من

الخوارق المستحيلة بل يمكن القول انه كان منتظراً لان القلوب كانت شاعرت بما سيأتي كما يحدث غالباً عند توقع أمر جلل اذ تجف القلوب هلعاً وتضطرب العقول تأولاً فهكذا صار في تلك الايام الحرجة حيث كثرت النبوءات وذهب اصحابها كل مذهب فمنهم من كان يتكلم بصراحة ومنهم كان يتأول الف تأويل حتى ان جان دارك نفسها سألت السيدة التي كانت نازلة في بيتها في فوكولور اذا كانت تعرف شيئاً عن تلك النبوءة المعروفة القائلة بان عذراء من اللورين تخلص فرنسا من شقائها وتقيمها من انقاضها. هذا ما اكدته تلك السيدة تحت الأيمان المغلظة وهي تقول انها عند ما سمعت هذا الكلام من فم جان دارك انذهلت ثم تذكرت ما كانت سمعته عن ذلك وآمنت فيما بعد مع كثيرين بحقيقة بعثة فتاة دومريمي هذا فضلاً عن ان امرأة اسمها مريم من افينيون ذهبت الى الملك وقالت له حسبما ذكر جان ارولت انه قد اوحي اليها ان مصائب عظيمة وبلايا جسيمة ستنقض على فرنسا وانها رأت في احدى رؤاها العجيبة كمية وافرة من الاسلحة ظنت انها ملتزمة باستعمالها فخافت خوفاً شديداً الا انها سمعت صوتاً يدعوها الى الاطمئنان معلناً لها ان الاسلحة التي رأتها معدة لعذراء مدعوة من العناية الالهية لتخليص فرنسا من اعدائها

وقال آخر انه قرأ في كتاب قديم العهد منشور باسم مرلين ان عذراء تخرج من غابة السنديان من بلاد اللورين لتنجد امتها وبلادها وهذا الاعتقاد كان شائعاً في تلك الايام كما يحقق المؤرخون الموثوق بهم حتى ان الجميع في مدينة اورليان نفسها كانوا يتحدثون عن سفر عذراء مصحوبة بعدد ليس بقليل

من اشراف اللورين بلادها مخترقة وهي عَلَى ظهر فرس مدينة جيان مبشرة بانها عازمة عَلَى المثول امام ولي العهد كارلس الشريف فتتقدم اليه باسم الرب لتنقذه وتخلص مدينة اورليان . هذا ما حققه الكونت دي دونوا مثبتاً فيما بعد ان هذا الخبر كان منتشراً في اورليان قبل وصول جان دارك اليها بمدة طويلة .

الفصل الحادي عشر

في مثول جان دارك امام الملك في شينون

اسمي جان العذراء وانا مرسلة من قبل الله
الى ههنا لآتيك بالعون (كلماتها الى الملك)

فلما وصلت جان دارك الى شينون بعد ان نالت الاذن من الملك في المثول امامه وكانت قد اجتابت طرقاً مقطوعة من الاعداء واللصوص وعبرت انهاراً عميقة وهي غير مبالية بصعوبة ولا هيابة احداً انتصبت امامها صعوبات شتى تحول دون بغيتها اذ ان رجال القصر حالما دروا بوصولها وعلموا سبب مجيئها قاموا وقعدوا مغضبين ظناً منهم انها مشعوذة خداعة بل مجنونة فقالوا كيف يمكن ان يكون امر تخليص مملكة فرنسا العظيمة في يد ابنة حقيرة أمية مجهولة بيد أن اكابر الحكماء واعاظم الرجال والابطال الشجعان قد ذهب تعبهم سدى وسال دمهم هدراً ؟ فطلب الملك حينئذ احضار الفارسين اللذين رافقا جان في

سفرتها اعني بهما السيدين دي متز ودي بولانجي وامر باستنطاقهما امام مجلسه وبحضرته فقص الفارسان المذكوران ما كانا يعلمان من جان وباية اعجوبة اتموا سفرهم في بلاد كلها اخطار وكيف انهم وصلوا بدون ادنى انزعاج الى الغاية المقصودة . ثم اخذ اعضاء المجلس يتباحثون فيما اذا كان يليق بالملك ان يسمع الى الفتية المجهولة فقرّ رأيهم على ان يستنطقها المستشارون الاكليريكيون اولاً وان يستفهموها عوائدها ومقاصدها وبعد ذلك يرون هم ما يجب فعله

فأتم المستشارون الاكليريكيون ما عهد اليهم بكل دقة فألقوا عليها اسئلة عديدة فلم تجبهم جان عليها الا بقولها لهم « لي كلام اقوله للملك رأساً » فارسل الملك يأمرها بان تجيب الفاحصين فأطاعت واجابت قائلةً انها أتت بأمر ملك السماء لتتميم امرين وهما : ١ً تخليص حصن اورليان ٢ً اخذ الملك الى مدينة ريمس لمسحه ملكاً وتتويجه . فرغماً عن هذا التصريح لم يتفق مستشارو كارلس على شيء بالنسبة الى جان فالبعض كانوا يقولون لا يجب تصديق قولها والآخرون كانوا يقولون بما انها مرسلة من الله وهي تريد ان تكلم الملك رأساً يجب على الملك ان يسمع اليها . اما كارلس السابع فلم يكن يعرف كيف يتصرف فقرروا حينئذٍ اخضاع جان لفحص دقيق صارم وارسال من يستخبر عن احوالها وسيرتها في بلادها وعينوا لها مسكناً في قصر كودراي تحت ملاحظة السيد دي غوكور قيم بيت الملك وكان هذا التأخير يحزن جان جداً فكانت تبتهل اليه تعالى بصلوات حارة ان يسهل الامور وينجح المسعى لخير مليكها وبلادها . وكثيراً ما كانت تقضي الساعات الطول

ساجدة على ركبتها ذارفة الدموع السخينة متوسلة الى الله ان يقصر ايام الامتحان ويأتي بايام الفرج والانتصار . وكان كل من يذهب لزيارتها يدهش من تقواها وحبها لله وتواضعها ورقة اخلاقها والفضائل السامية التي كانت متزينة بها وبالاخص من شديد ثقتها برسالتها الالهية وهذا ما كان يجعل الجميع يصدقون قولها مسبحين من ارسلها

وفي تلك الاثناء وصل الى شينون اثنان من الاشراف وهما السيد دي فيلار وجاميت دي تيلوا آتيين بامر الكونت دي دونوا من مدينة اورليان المحاصرة ليستعلما عن احوال الفتاة التي قيل انها مرسلة من الله وكان ان اجتمع اهل الديوان وبحثوا مليًا مدة يومين كاملين عن امر جان ورأوا اخيراً ان يسمحوا باحضارها امام الملك وكان ذلك في ٩ اذار سنة ١٤٢٩ فعند دخولها نظر اليها احد الفرسان بوقاحة واهانها بالكلام مستهزئاً بها وهو يتلفظ ببعض التجاديف فلم تعبأ بكلامه ولا بشتمه بل شق عليها جداً تجديفه فصرخت قائلة له « ما بالك تجدف وقد اشرفت على الموت » فلم يمض عليه ساعة واحدة حتى تمت نبوة جان اذ ان ذلك الشقي وقع في النهر ومات كما شهد الاب يوحنا باسكيريل . اما الملك فبعد ان كان قد سمح باحضار جان لديه سمع اناساً ذوي مآرب وغايات يقولون له بعدم وجوب قبول ابنة مثل جان ولا تصديق كلاماً مثل كلامها زاعمين انها كذابة خداعة فاقدة العقل الى غير ذلك . فعاد الملك الى تردده ووقع في حيرة عظيمة الا انه لما افتكر في سفر الفتاة العجيب عزم على ارضائها والاستماع لها فسمح بدخولها . وكانت الساعة مساء وكان

الكونت دي فندوم بمعيتها وهو الذي ادخلها على الملك في القاعة الفسيحة المتلالئة بالانوار الساطعة فهناك كان الملك وارباب الدولة والامراء والاشراف والاكابر مع ثلثمائة من الفرسان وكلهم بالملابسة الفاخرة الثمينة ما عدا الملك الذي كان واقفاً على حدة بلباس عادي قصد ان يختبر جان فيما اذا كانت تعرفه من بين رجاله ام لا . وكان الشريفان اللذان اتيا من مدينة اورليان حاضرين ايضاً فتقدمت الفتاة بهدو وسكينة الى وسط القاعة وذهبت تواً الى الملك المتنكر وكان لها من العمر يومئذٍ سبعة عشر عاماً وهي ذات قد واعتدال طويلة القامة بيضاء البشرة بعينين سود اويتين وشعر اسود مقوص الى كتفيها حسب عادة الفرسان الاشراف . وكانت نشيطة قوية شجاعة لا مثيل لها بين اهل الفروسية في حمل الرمح او الضرب بالسيف . ومع ما كانت عليه من مثل هذه الصفات الغريبة كنت تراها على جانب عظيم من الحشمة والسذاجة قليلة الكلام الا في امر رسالتها الالهية فانها كانت اذ ذاك تفيض بالكلام بجماسة واسهاب كمن فيه روح الله . وعندئذٍ كان وجهها يتلألأ ضياء ويتميز جمالاً وعذوبة معلناً لكل عين ناظرة ما هي عليه من التقوى والثقة بالله . فلما وصلت الى الملك سجدت له باحترام وحيته باتضاع ووقعت على رجليه تقبلها حسب عوائد تلك الايام قائلة له بعذوبة « ادام الله السعادة لك ايها الملك الشريف » فأجابها الملك قائلاً « اخطات ايتها الفتاة انا لست الملك بل هذا هو » واشار الى احد الحضور وهو الكونت دي كلارمون الذي كان جالساً على سدة الملك متظاهراً بانه الملك فقالت له « باسم الله انت الملك وليس

سواك » وعندها سألها الملك عن اسمها وعن غاية مجيئها اليه فاجابتـه « اسمي جان الفتاة ولقد ارسلني الله اليك لكي اساعدك ايها السيد الاثيل واخلص مملكتك من اعدائها ولذلك يأمرك ملك السماء بلساني بان تنطلق الى مدينة ريمس لتمسح ملكاً وتُتوّج فيهـا فتصبح اذ ذاك نائب ملك السماوات كما يجب ان يكون كل ملك أقيم شرعياً على فرنسا

فلنحى بها الملك وتحدث معها سراً وألقى عليها مسائل مختلفة ومرجداً من اجوبتها فلحظ ذلك كل من كان موجوداً اذ رأوا علامات السرور بادية على وجهه وبذلك تمت نبوة القديستين اذ قالتا لها ان تذهب بثقة وشجاعة وانه سيحدث امام الملك امر غريب يجعله يصدق مقالها . وكان هذا الامر الغريب ان جان كشفت للملك سراً عظيماً كان قد اخفاه في قلبه ولم يكن يعرفه غير الله وحده حسب قول الملك نفسه وهو انه لسوء سيرة ايزابيل دي باڤاريا امه كان مشتبها في امر مولده مرتاباً من كونه ابن كارلس السادس وكان لشدة قلقه وحزنه من جرى ذلك يسأل الله يوماً في اعماق قلبه ان يظهر له الحقيقة ليكون عَلَى بصيرة من امره فذكرته جان ما كان قد ناجي به الله سراً وقالت له : « اني اقول لك من قبل الرب انك ولي العهد الحقيقي وابن ملك فرنسا الشرعي » فلما سمع الملك ذلك علم انها ملهمة وكانت جان اثناء حديثها مع الملك ادبية محتشمة كانها واظبت عَلَى المعاطاة مع الملوك دهراً طويلاً فازداد عجب الملك لها وتيقن ان لها شأناً غريباً وان فيها روحاً لكنه كان متردداً في الحكم فيما اذا كان هذا الروح من الله ام من الشيطان ولذلك قبل ان يسلطها عَلَى

الجنود حسب مرغوبها اراد ان ينقصى الامر بامعان بليغ ليتحققه وان يستشير في ذلك ذوي الاراء الصائبة والرجال الخبيرين وجميع علمآء المملكة

ثم ان الملك استدعى جان مراراً ليحادثها فطار صيتها في البلاد وكان الجميع يتحدثون بامرها العجيب فاتصل خبرها ببعض امراء بيت الملك يقال له الدوق دي الانسون وهو في الصيد فتوجه حالاً الى شينون ودخل عَلَى الملك وكانت جان عنده فقال الملك لجان « هوذا الدوق دي الانسون » فالتفتت جان الى الدوق وقالت له « مرحباً بك ايها الامير كثر الله عدد امراء بيت الملك لان بذلك خيرنا ونجاحنا » فسر يوحنا الانسون من مشاهدتها ومال جداً الى تصديق قولها. ثم في ١١ اذار سنة ١٤٢٩ دعا الملك ثانية جان امام الدوق دي الانسون والقائد لاتريمويل فكررت جان كلامها الاول للملك ونبهته باحترام ممزوج بالحزم والشجاعة الى ما يجب عليه فعله لصيانة مملكته وخلاص شعبه فيُرجع اليه الرب تاج اجداده ويؤيد عرشه فساء كلامها هذا لا تريمويل الخبيث الذي عدّها منذ ذلك الحين عائقاً لنجاح سياسته المعوجة وخطراً لحياته ذاتها فاضمر لها الشر وعزم على مقاومتها وعرقلة مساعيها . اما الملك والدوق دي الانسكون فكانا معجبين بها وبالاخص عندما رأياها بعد ظهر ذلك النهار آتيةً اليهما حينما كانا يتمشيان عَلَى المروج التي بازاء القصر وقد كانت راكبة حصاناً وهي تقوده كما تشآء وماسكة رمحاً وهي تديره كاكابر الفرسان فعندها دهش الدوق دي الانسون وصاح قائلاً لها « يا لك من ماهرة في فن ركوب الخيل ومسك السلاح فانا اقدم لك اليوم حصاناً من

اجود خيلي »

وفي اثناء ذلك رجع الرسولان اللذان كانا اتيا من اورليان الى قومهما في المدينة المحاصرة ليخبراهم بكل ما سمعا ورأيا من الغرائب عن جان وليحرضاهم عَلَى الثقة بها وعلى امل الخلاص بواسطتها فقام دونوا وجمع جميع الشعب فقص الرسولان الخبر عليهم واعلماهم بان جان ستأتي اليهم لتخلص المدينة وتقود كارلس السابع الى ريمس ليمسح ملكا ويتوج

الفصل الثاني عشر

في استنطاقها في مدينة بواتيه

اننا لم نرَ في هذه الفتاة ولم نعلم منها
الا ما يوافق مسيحية صالحة وكاثوليكية
حقيقية (كلمات العلماء)

قد تقدم القول ان كارلس السابع كان يريد ان يتقصَّى امر جان بامعان وان يبالغ في الفحص عنها قبل ان يسلمها الجنود ويسمح لها بالذهاب الى محاربة الاعداء. فامر قوماً من اهل العلم والخبرة باستنطاقها بتدقيق وكان من جملتهم اربعة اساقفة والدوق دي الانسون فاجابتهم كما في المرة الاولى « انا مرسلة من قبل الله وقد سمعت اصواتاً سماوية تقول لي ما يجب فعله اتماماً لارادة الله » فلم يجسروا على الحكم عليها بشيء خوفاً من استهزاء الاعداء. اما رئيس اساقفة ريمس فلم يصدق قولها ومواعيدها البتة ولذلك عزموا عَلَى

ارسالها الى مدينة بواتيه التي اصبحت بعد اخذ الانكليزيين مدينة باريس مركز الديوان العظيم والمدرسة الكلية ومسكن العلماء والفقهاء والملافنة ليفحصوها ويحكموا في امرها فكان تصرف الملك والعلماء بالنسبة الى جان عين الصواب والحكمة لانه كيف كان يمكنهم ان يسلموا زمام المملكة الى ابنة مجهولة استناداً الى مجرد قولها لهم انها مرسلة من الله ؟ فلو كانوا فعلوا ذلك بدون الفحص والتحقيق لكانوا ولا شك اخطأوا واذنبوا . لكن لكل شيء حداً في هذا العالم ولا بد لحكمة الله من الانتصار عَلَى حكمة البشر وليس من مانع لنفوذ احكامه ذلك ما كانت جان تشعر به في داخلها ولذلك لما بُلغت قصد الملك ارسالها الى بواتيه دون ان يقال لها شيء عن سبب هذا السفر وعن الغاية منه قالت « باسم الله اني عارفة ما ينتظرني في مدينة بواتيه حيث نحن ذاهبون لكني واثقة بعون سيدي . فلنذهب اذن باسم الرب » وكان السفر في ٢٨ اذار سنة ١٤٢٩ وذهب الملك ايضاً الى بواتيه ولدى وصوله اليها امر باجتماع العلماء والاساتذة والجهابذة والفقهاء الماهرين في تفسير الكتاب المقدس وفي الشرائع المدنية والحق القانوني ليفحصوا عن تعاليم الفتاة التي تدعي بانها مرسلة من الله اترجع الى الملك سلطته وترد عليه تاجه المختلس وعن ايمانها وذلك تحت رئاسة وزير الملك رانيو دي شارتر الذي كان عامئذ رئيس اساقفة ريمس ثم ليعلموه بما يجب عليه فعله بالنسبة اليها واذا كان يمكنه براحة ضمير ان يتبع مشوراتها ويتكل على مساعدتها . فاجتمع كل من ذكر في دار رجل فقيه من فقهاء الدولة اسمه راباتو وكان رجلاً معتبراً من الجميع

لاستقامته وهو الذي قبل عنده جان مدة بقائها في بواتيه تحت ملاحظة امرأته التي كانت من النساء الفاضلات التقيات . ولما جلس كل في مكانه اقيمت جان بين ايديهم فرفعت صوتها وقالت لهم « ماذا تريدون مني » فقام احدهم وتكلم بالنيابة عن الجماعة معلناً للفتاة ما بلغهم عنها اذ قالت للملك انها مرسلة اليه من قبل الله وانهم اجتمعوا ليفحصوا عن شأنها . ثم قام العلماء والفلاسفة والملافنة والفقهاء الواحد بعد الآخر واخذوا يبينون لها بالبراهين العلمية الدالة عَلَى انهم لا يستطيعون تصديق مقالها . اما جان فلم تضطرب بل جعلت تدحض بالاقوال السديدة كل اعتراضاتهم ثم شرعت تقص عليهم كيف ظهر لها الملاك والقديستان في الغاب حيث كانت ترعى قطيعها وان القديستين اخبرتاها عن البلايا الحالة بفرنسا فبكت بكاء مراً فامرتها القديستان اذ ذاك بالذهاب الى قائد فوكولور ووعدتاها بالوصول الى الملك سالمة رغماً عن الاخطار المحدقة بها في سفرها الطويل . وكانت تورد لهم كل ذلك بحماسة وبلاغة ورزانة حتى أذهلت عقول العلماء وحيرت البابهم فاخذوا يقدمون لها الشواهد العديدة ذاكرين لها الكتب والتصانيف المختلفة التي تنهي عن تصديق قولها اما هي فكانت تجيبهم بكل هدو وسكينة « ان في كتب ربي زيادة عَلَى ما في كتبكم » ثم تنبأت لهم فقالت « اسمعوا ايها القضاة ما انا قائلة : اني ابشركم اولاً باستئصال سلطة الانكليزيين من فرنسا وبتخليص مدينة اورليان بشرط ان يعطيني الملك جنوداً وعندها ارسل الى الاعداء اقول لهم ليرحلوا من تلقاء ذواتهم . ثانياً : بان الملك سيمسح في ريمس . ثالثاً : بانه سيملك بباريس

رابعاً : بان الدوق دي اورليان سيخرج من سجنه في انكلترا» فتمت هذه النبوات بالحرف الا ان العلماء ابوا تصديقها قبل وقوعها بل ظنوا حدوثها ضرباً من المحال وبالاخص تتويج الملك في ريمس لعلمهم بان الطرقات والحصون والقلاع التي بين اورليان وريمس في يد الاعداء ولذلك جعلوا يعترضون على قولها من كل وجه فقال لها الاستاذ غيليوم ايماري « انت تدعين بان الصوت قال لك ان الله يريد انقاذ شعب فرنسا من البلية التي سقط فيها والحال انه تعالى لو اراد ذلك فهو ليس بمحتاج الى جنود » فلم تضطرب جان بل اجابت على البديه قائلة « باسم ربي اقول ان الجنود سيحاربون والله يعطي النصر » فسر الاستاذ من هذا الجواب وعندها قام راهب اسمه سيغان وقال لها « ان الله لا يريد ان نصدق كلامك ان لم تصنعي آية واضحة تثبت صدق قولك فان لم تفعلي ذلك لا نشير على الملك بان يعطيك جنوداً على مجرد زعمك فقط لئلا تعرضيهم للخطر » فوافق الحضور على هذا الطلب وسألوها بالحاح ان تأتي آية تثبت صحة رسالتها فاجابتهم قائلة « باسم ربي اني لم آت الى بواتيه لاصنع عجائب بل خذوني الى اورليان فاريكم الآيات التي تدلكم على حقيقة رسالتي . فليعطني الملك بعض الجنود ولو كانوا قليلي العدد وانا اسير معهم بدون خوف وانال الغلبة باذن الله »

فلما سمع العلماء هذا الكلام المقرون بالشجاعة والاخلاص احتاروا في امرهم واخذوا يتجادلون ويتباحثون ثم يعودون الى فحصها وسؤالها وبقوا على هذه الحال اكثر من ساعتين وبعد ذلك صرفوها متحيرين من امرها . ثم

عادوا الى فحصها واستنطاقها في جلسات متعددة كانت جان تظهر في اثنائها من الحكمة والفصاحة ما يذهل العقول . وهم لم يكتفوا بفحصها في الجلسات العمومية الرسمية بل كان كل منهم يأتي اليها على انفراد وفي اوقات مختلفة فيطرح عليها الاسئلة المتعددة كانوا يفعلون ذلك ليصطادوها بكلمة فلم يستطع احد ان يؤاخذها بشيء . فطار صيتها في تلك النواحي وهب الناس من كل طبقة ومقام من كبير وصغير من رجال ونساء لينظروا باعينهم العجوبة ذلك الزمن وكانوا كلهم يخرجون من عندها ذارفين الدموع قارعين صدورهم قائلين « في الحقيقة انها لنبية مرسلة من الله لانقاذ بلادنا » ولما كانوا يسألونها لماذا لا تلبس ثوب النساء كانت تجيب قائلة « نعم ان ذلك يدهشكم لكني لما كنت اتيت لمساعدة ولي العهد وللمحاربة عنه كان من الواجب عليّ ان البس لبس الرجال لئلا اكون في خطر من فقد بتوليتي » ولما سألها البعض عن السبب الذي من اجله تسمي كارلس السابع ولي العهد لا ملكاً اجابت قائلة «لا لا اسميه ملكاً الا بعد مسحه ملكاً وتتويجه في ريمس حيث اريد ان اذهب به لاجل هذه الغاية » ومن هذا الجواب يظهر تدين جان واعتبارها لعوائد الكنيسة القديمة . فهي لا تريد ان تعرف كارلس ملكاً على فرنسا قبل ان تمسحه الكنيسة وتنادي باسمه للشعب بالنيابة عن الله

وهكذا كان القضاة يستعملون كل الوسائط لايقاعها في اشراكهم حتى انهم جعلوا معها بعض النساء لمراقبتها في جميع حركاتها وسكناتها وكانت نتيجة كل ذلك مديحها والثناء عليها . ولما رأت الفتاة ان الايام تمضي على

هذا المنوال ضاق ذرعها ولم يعد في وسعها الاصطبار تعلمها بان الموت يحصد اخوانها في اورليان والجوع والبلاء ضاربان اطنابهما فيها والعدو ظافر على امتها وبلادها وبالاخص لمعرفتها ان ايامها معدودة لاتمام عملها . ولذلك لما سألها ذات يوم رجلان من العلماء قائلين لها لاية غاية جئت ومن ارسلك؟» اجابت « اني جاهلة لا اعرف شيئاً انما جئت من قبل ملك السماء لارفع الحصار عن مدينة اورليان واذهب بالملك الى ريمس ليمسح ملكاً ويتوج لكن ينبغي لي قبل ذلك ان اكتب الى الانكليزيين وآمرهم بان ينصرفوا من تلقاء ذواتهم اطاعة لارادة الله . فهل عندكما ورق وحبر للكتابة ؟ » فأتياها بما طلبت اليهما فجعلت تملي عليهما رسالتها الى الانكليزيين كما اشارت . وفي يوم آخر تقدم اليها الراهب سيغان وكان خشن الجانب ويتكلم بلهجة قبيحة وسألها بلغة بلاده الرديئة اذ كان من اقليم ليموج فقال لها « باية لغة كلمك الصوت السماوي ؟ » فاجابته « بلغة خير من لغتك » ثم انه اراد اختبار ايمانها فقال لها « أتومنين بالله ؟ » فلما سمعت ذلك نفرت منه كالغزال مظهرة كدرها لاتهامه اياها بالكفر وقالت له بشهامة وقوة « انا او من به تعالى اكثر منك » ثم اضافت « ما بالكم تضيعون الوقت بالكلام فاي متى تبتدئون بالعمل ؟ »

وقصارى الكلام ان الملك وكبار المملكة وعلماءها لم يدعوا وسيلة الاوقد استعملوها ليطلعوا على حقيقة امر جان وداموا على ذلك مدة ثلاثة عشر يوماً افرغوا في اثنائها كل ما في كناناتهم من الاسئلة والاعتراضات والحيل

فكانت تجيب على اسئلتهم بكل اصابة مبدة غياهب الشك عن عقولهم في امر بعثتها داحضة اعتراضاتهم بكل حكمة ظافرة بمكايدهم بكل افراز ومعلنة لهم ارادة الله الصريحة بكل قوة وسذاجة. فاعلن كريستوف دي هركورت اسقف كاستر انه يعتبرها مرسلة من الله في الحقيقة وانها صادقة في كل ما تقول وذكر يوحنا دي اولون ان الذين كانوا معينين لفحصها واستنطاقها جاهروا بعد الفحص الدقيق بما يلي : « انا لم نرَ في هذه الفتاة ولم نعلم منها الا ما يلائم مسيحية صالحة وكاثوليكية حقيقية ونحن نحكم انها كذلك. ذلك هو عتقادنا» فهؤلاء العلماء لم يعلنوا هذا الحكم الا بعد ان تحققوا اخلاص جان وقداسة سيرتها والحكمة الغريبة التي كانت متزينة بها وبجمل القول كل الصفات الدالة عَلَى انها صادقة في ما تقول . وبناء عليه حكموا باعتبار اقوالها وُحيَ آلهية وبوجوب اتباع مشوراتها لاسباب عديدة منها لان المملكة في احتياج عظيم الى مساعدة ولان الملك في تعاسة عظيمة وقد فقد كل رجاء بالخلاص وقطع كل أمل في نجاح مسعى من المساعي في سبيل النجاة واشرفت مدينة اورليان عَلَى الخراب القريب ان لم يلطف الله بها ويرسل اليها في العاجل من ينجدها وينقذها فاشاروا عَلَى الملك ان يستنجد بهذه الفتاة وان يرسلها الى اورليان

فرغماً عن حكم علماء كلية بواتيه هذا اراد كارلس السابع ان يستشير الاشراف الفضلاء والاساقفة العلماء في كل المملكة حتى يكون عَلَى يقين من صحة امر الفتاة ومن جملة من استفتاهم كان يعقوب جيلو رئيس اساقفة امبرون فسأله اولاً اذا كان يليق بالعظمة الآلهية ان تهتم باعمال الافراد او بتدبير

احدى الممالك فاجاب الاسقف قائلاً « ان الحكمة الآلهية تقول : بي الملوك يملكون والعظماء يشترعون ما هو عدل فالله هو مبدأ كل الكائنات وهو يحفظها ويقودها كلها بحب متساوٍ » فسأله ثانياً اذا كان يليق بالعظمة الآلهية ان تختار البشر دون الملائكة لصنع العجائب فاجابه الاسقف « أجل ان الملائكة لأشرف من البشر ولأجدر منهم بان يكونوا الوسائط لاظهار عجائب الله لكن العناية الالهية شاءت في ظروف شتى استخدام البشر لاتيان المعجزات الغريبة حتى انها استخدمت غراباً لحمل القوت الى النبي ايليا في البرية » فسأله ثالثاً اذا كان يليق ان تقلد فتاة وظيفة لا تليق الا بالرجال فاجابه الاسقف « نعم ان الله في العهد القديم قد نهى النساء عن لبس ثياب الرجال تمييزاً للجنس لكنه تعالى قد كشف لبعض العذارى في ظروف شتى غيوباً كتمها عن الرجال ولذلك لا أرى ما يمنع عن تخويل فتاة قيادة جيش . اما اذا اردنا ان نعرف اذا كانت جان مرشدة من الشيطان فيكفينا النظر في سيرتها حتى نحكم بالخلاف اذ لا بد من تمييز الروح الصالح من الروح الشرير لان العقل هبة من العلي ولا بد من استعماله في الفحص عن الامور الصادرة عن تدبير عنايته وامرها »

اما كارلس السابع فلم يكتفِ بجميع ماتقدم من الشهادات والبينات عن صحة بعثة جان بل اراد ان يسلمها الى حماته زوجة ملك صقلية والى بعض السيدات الشريفات لكي يتأكدن انها حفظت نذر بتوليتها فعلم اذ ذاك انها صادقة ومرسلة من الله فجمع اهل ديوانه واظهر لهم حيرته وتردده الا انه عزم

في آخر الامر على ان يثق بها ويرسلها لنجدة اورليان طبقاً لارادة العلي

وزد عَلَى ذلك ما كتبه اينياس سيلفيوس الشهير الذي ارتقى الى عرش الحبرية العظمى باسم بيوس الثاني في سنة ١٤٥٧ اي بعد موت جان دارك بأقل من ثلاثين سنة قال : « ان ولي العهد لم يثق اولاً برسالة جان بل اسلمها الى اسقف كاستر ليفحصها وهو من اللاهوتيين الكبار والعلماء المشاهير ثم وكل بعض السيدات الشريفات بان يسهرن عليها ليتحققن فضيلتها . ولما سُئلت عن ايمانها كانت اجوبتها مطابقة تعاليم الديانة المسيحية وحقائقها ولدى الفحص عن آدابها وجدت بتولاً طاهرة لاعيب فيها ذات ادب رائق فدام فحصها عدة ايام فلم يوجد فيها مايشتم منه رائحة التصنع او المكر او الكذب »

وعلى هذا الوجه انتهى الفحص عن امر جان واذن لها كارلس الملك في الهجوم عَلَى العدو مع الجُند واشراف المملكة امتثالاً لامر الله .

الفصل الثالث عشر

في تأهب جان للسفر الى اورليان

وفوا ملك السما حقه وردا عَلَى الفتاة
المرسلة من قبل الله مفاتيح جميع المدن
والامصار التي افتتحتموها واستحوذتم عليها ظلماً
في ارض فرنسا (كلمتها الى ملك انكلترة ورجاله)

فاوعز الملك الى الدوق دي الانسون ان يسبق الفتاة الى مدينة بلوى ليجهز مراكب المؤن والحراس اللازمين لها حتى اذا ما أتت جان تجد كل شيء

مهيأ فتسير بدون عائق الى نجدة اورليان فأعدت المؤن بعناء جزيل لان بيت المال كان صفراً وكان الملك لايستطيع سبيلاً الى دفع مالابد منه للسفر. ومن ثم البست الفتاة ثياب قواد الجنود على عادة تلك الايام فوهبها الملك مايلزم لها من الاسلحة والرجال اما السيف والراية فقبلتهما من الله باعجوبة باهرة وذلك ان قديستيها اعلمتاها بوجود سيف مطمور في كنيسة القديسة كاترينا في فيار بوا بالقرب من المذبح فأمرت بان يكتب الى كهنة تلك الكنيسة لطلب ذلك السيف ولما حُفرت الارض في الموضع الذي اشارت جان اليه وجد سيف عليه خمسة صلبان منقوشة وكان الصدأ قد علاهُ فازاله الكهنة عنه ووضعوه في غمد فاخر من المخمل الاحمر وقد طرزت عليه ازهار زنبقية بديعة الصنع فلما بلغ ذلك اشراف مدينة طوراهدوا الى جان غمداً منسوجاً بالذهب الخالص لكنها أبت تواضعاً قبول الغمدين المار ذكرهما وأخذت لها غمداً غليظاً من الجلد لكنه متين حملته ما دامت في حومة القتال

وكانت جان قد اخفت على الملك امر سيفها الغريب ولم تقر له به الا بعد الالحاح الشديد وكانت القديستان مرغريتا وكاترينا قد ارأتاها راية وقالتا لها « خذي هذه الراية باسم ملك السماء واحمليها بلا جزع » فأمرت ان يصنع لها راية على هيئة الراية التي ابصرتها في الرؤيا وكانت هذه الراية من القماش الابيض وقد نقش عليه ازهار من الزنبق وصورة المخلص جالساً في السحاب على عرش فوق قوس قزح وفي يمينه كرة الارض وعند قدميه ملاكان ساجدن احدهما على اليمين والآخر على اليسار وفي يد الاول زنبقٌ شعار

ملوك فرنسا يباركه الله وقد سطر على جانب الراية اسما يسوع ومريم وقُرن بها عصبة عليها صورة البشارة مع ملاك يقدم زنبقاً لمريم البتول

وكان كارلس السابع قد عين لخدمة الفتاة يوحنا اولون الذي كان يدعوه دونوا اشرف فرسانه ثم غلامين وناظر دار ومنادبين وسلاحدارين وامر لها بشكة كاملة تناسب جسمها وتغطيها من الراس الى القدم . اما هي فطلبت بالحاح ان يكون لها كاهن يرشدها فأتاها اخوها بطرس دارك وواحد من الذين رافقوها الى شينون بالاب يوحنا باسكيريل من رهبان القديس اغوسطينس في طور وهو رجل فاضل حكيم كثير العبادة والتقى . فبقي هذا الراهب القديس يرشدها بنصائحه الخلاصية الى حين وفاتها وقد شهد فيما بعد امام الحكام بانه رأى منها فتاة كاملة لا عيب فيها

ولما تمت اهبة السفر عمدت جان الى الملك لتودعه وقبل ان تستأذنه في الذهاب اثبتت له حقيقة بعثتها العجيبة بنبوءة اذ قالت له ان القديستين مرغريتا وكاترينا اظهرتا لها انها ستصاب بجرح اثناء مدافعتها عن اورليان ولكنها لا تموت منه بل تتمم عملها الى النهاية وانه سيُتوّج في ريمس في فصل الصيف . ثم كررت هذه النبوءة في اورليان في صباح اليوم السابع من ايار فتم قولها بالحرف حيث جُرحت في اليوم نفسه وتوج الملك بريمس في ١١ تموز . وكان احد اشراف الفلمنديين واسمه السير دي روتسلاير قد ذكر هذه الحادثة في رسالة انفذها الى الدوق دي برابانت مؤرخة من مدينة ليون في ٢٢ نيسان اي قبل دخول جان الى اورليان بسبعة ايام وقبل ما جرحت

بخمسة عشر يوماً يقول فيها « انه علم من ناظر دار السيد كارلس دي بوربون بوجود فتاة من اللورين بالقرب من كارلس السابع وقد وعدت بانقاذ اورليان وانبأت بانها ستجرح بسهم من سهام الانكليزيين اثناء مقاتلتها اياهم بازاء مدينة اورليان وانها لا تموت من هذا الجرح وهي تؤكد ان كارلس ولي العهد سيُتوَّج بريمس في الصيف المقبل وقد أنبأت باشياء اخر كثيرة يحفظها الملك في سره ولا يريد اعلانها . وهذه الفتاة تمتطي الجواد كل يوم وهي شاكة السلاح والرمح في يمينها كعادة الفرسان ويظهر ان الملك واعوانه واثقون بها كل الثقة » هذه الرسالة التي كتبت قبل وقوع الحادث كما تقدم هي برهان قاطع عَلَى صحة نبوءة جان دارك كما ان اظهارها للملك ما كان قد ناجى به الله سراً بشأن شرعية ميلاده هو دليل واضح عَلَى انها مرسلة من قبله تعالى وبالاختصار ان كل حياتها واعمالها تدل على ان العناية الالهية شاءت اثبات بعثتها العجيبة بالبراهين الدامغة والآيات التي لا تحتمل الريب ازهاقاً للباطل واخماداً للناكرين

وكان الدوق دي الانسون قد اتم ما عهد اليه بكل تدقيق وهيأ كل شيء حسب ارادة الملك للسفر فانضم اليه بعض افراد الفرسان وساروا وفي مقدمتهم جان رافعة رايتها متكلة عَلَى من ارسلها وكان سفرهم من طور في ٢١ نيسان من تلك السنة قاصدين بلوى وكان بالقرب من الفتاة رئيس اساقفة ريمس وقيم بيت الملك وعدد قليل من الجند

ففي بادىء الامر لم يثق بجان من كان معها من رجال الحرب لانهم كانوا يسمعونها تقول ان اتكالها في الحرب عَلَى الله ورجاءها في نوال الغلبة

عَلَى بركته تعالى فهذا الكلام جعل اولئك الرجال يستخفون بها فكانوا يتوقعون الانكسار لا الانتصار ما داموا معها اما هي فعزمت على تطهير قلوبهم من الاثم لعلمها ان اناساً كهؤلاء عاشوا في حروب متتالية لا بد من ان يكونوا نسوا الله وواجباتهم وتلطخوا ببعض المآثم وبناءً عَلَى ذلك حين وصلت الى بلوى نصبت بيرقاً مصوراً عليه يسوع المصلوب وطلبت الى كهنة المدينة ان يجتمعوا حوله كل صباح ومساء لينشدوا المدائح اكراماً لسلطانة السماء ولم تكن تسمح لاحد من الرجال بالحضور الى هذه الحفلة الا لمن كان قد سبق فاعترف للكاهن بخطاياه في اليوم نفسهِ اما هي فكانت في ذلك الحين تركع عَلَى ركبتيها في وسطهم رافعة يديها وقلبها الى العلي بصلوات حارة وكان الكهنة حسب رغبتها في استعداد دائم لاقتبال التائبين في منبر التوبة هذا فضلاً عن انها كانت تحرض الجميع عَلَى العبادة والرجوع الى الله بقلب منسحق لانها كانت تطلب ايدي نقية طاهرة لمساعدتها في اتمام رسالتها لا ايدي ملطخة بالاثم وبعد ان مكثت على هذه الحال يومين في بلوى راسلت الانكليزيين بامر القديستين فانذرتهم باسم الله بالانصراف عن ارض فرنسا قالت :

+ يسوع ومريم +

يا ملك انكلترة وانت يادوق دي بدفورد الذي تدعي بانه نائب الملك في فرنسا وانت يا غليوم دي لا بول وانت يا كونت دي سوفولك وانت يا يوحنا دي تالبوت وانت يا توما دي اسكال الذين يزعمون انهم نواب الدوق دي بدفورد وفوا ملك السماء حقه وردوا عَلَى الفتاة المرسلة من قبل الله مفاتيح جميع المدن والامصار التي افتتحتموها واستحوذتم عليها ظلماً في ارض فرنسا. فهي اتت الى ههنا لكي تطالبكم بالدم الملكي الذي

هرقلموه وهي تسالمكم بطيبة خاطر أن عرفتم حقها وخرجتم من فرنسا واصلحتم الاضرار التي اصابت اهلها مدة حلولكم بها . واما انتم ايها النشابة والحلفاء والاشراف وسائر الجند المحاصرين اورليان فاذهبوا الى بلادكم ذلك هو امر الله وان خالفتموه فستأتيكم الفتاة عما قريب وسيكون في اتيانها بلاؤكم العظيم . فيا ملك انكلترة ان لم تعرني اذناً مصغية فاعلم اني رئيسة الحرب واني ساواقع جندك اينما لقيتهم وساطردهم من فرنسا طائعين كانوا او مكرهين واذا عاندوني فسأقتلهم عن آخرهم لان الله ملك السماء قد ارسلني لاحاربهم واطردهم من جميع اراضي فرنسا واذا انقادوا لي لاطفتهم وامنتهم . ولا تظنوا انكم تبقون من الان وصاعداً في فرنسا فانكم لن تملكوا مملكة فرنسا لانها مملكة الله رب السماء وابن العذراء مريم وانما يملكها كارلس الوريث الشرعي فتلك هي ارادته تعالى الموحاة الى الفتاة . انهُ سيدخل مدينة باريس بمجد وعزٍ في خلق كثير فاذا ابيتم تصديق قول الله هذا وقول الفتاة التي ارسلها تيقنوا انا نطاردكم حيثما نصادفكم ونضربكم ضرباً ونمزقكم تمزيقاً بحيث نريكم اهوالاً لم يسمع بها في فرنسا منذ الف سنة . وليكن ثابتاً عندكم ان ملك السماء سيعضد الفتاة بنوع عجيب لتضرب وتغلب فتكون هي ورجالها في أمن من ضرباتكم وفي ساحة الوغى ومعمعة القتال سيعرف اذا كان الله هو الظافر ام انتم هم الظافرون . اما انت يا دوق دي بدفورد فاسمع قول الفتاة واحتذر لنفسك لئلا تهلك واذا وفيتها حقها فيمكنك ان تأتي لمرافقتها حيث سيكون للفرنسيين ظفر عظيم يجدي دين المسيح مجداً لم يكن له نظير في سالف الايام واذا اردت ان يجري الصلح بيننا وبينك في مدينة اورليان فاخبرنا والا فاذكر ان عاقبة امركم وخيمة .

سطر نهار الثلثا من السبة العظيمة سنة ١٤٢٩ بعد التجسد الالهي

القسم الثاني

جان دارك مظفَّرةٌ ومحتقَرةٌ

الفصل الاول

في سفرها الى اورليان

اصبروا قليلاً فكل شيء سيتم عَلَى خير
بعون ربي (كلمتها الى جنودها)

ففي السابع والعشرين من شهر نيسان خرج الجيش الفرنسي من بلوى قاصداً مدينة اورليان تحت قيادة جان بامر الملك . وكانت الفتاة قد أمرت الرؤساء بان يسيروا حتى يدخلوا المدينة من جهة نهر اللوار اليمنى حيث كان الكونت دي سوفولك ومعه معظم عسكر الانكليزيين في احرز متارسهم . اما الرؤساء فلم يستحسنوا هـذا الامر فاظهروا لها قلقهم وخوفهم من ذلك الطريق قائلين لها ان الامير دي دونوا الخبير بامور الحرب أشار بالدخول من جهة النهر اليسرى اي عَلَى ظهر الماء . فلم تعرهم جان اذناً مصغية معلنـة لهم انها لا تخاف لا من سوفولك ولا من جنوده ولا من متارسـه وانها تأبى الا الهجوم عَلَى الاعداء اولاً حيث كان معظم قوتهم حسب امر قديستيها فوعدها الرؤساء مكرهين بالانقياد لاوامرها فساروا يتقدمهم الكهنة وامامهم بيرق المخلص وكانت الفتاة وراءهم يحيط بها المشيران دي سان سيفير ودي

رايس وامير البحر دي كولان وغوكور ناظر دار الملك ولاهير البطل الصنديد وكثيرون من الفرسان البسل الذين اتوا من بلوى لمرافقتها وكانت تتبعهم كتيبة مؤلفة من نحو ٥٠٠٠ رجل يحرسون المواشي والمؤن المعدة لسكان اورليان. وكان الكهنة ينشدون الاناشيد الكنسية ولا سيما انشودة « هلم ايها الروح الخالق » متوسلين الى روح الحكمة الازلية ان يحل عَلَى الجيش وعلى قائدته الباسلة

وكان الشتآء قد ولى وشهر ايار قد حلّ كاسياً الطبيعة حلة من الورود والازهار فاخرة ناسجاً برد التسابيح للخالق المنان من السنة البشر وعصافير الجنان. وما زالوا سائرين عَلَى هذا المنوال مدة يومين كاملين بين صلوات وتسابيح وتاملات وتهاليل مخترقين بساتين تلك الارض المخصبة وقاطعين سهولها ومروجها الخضراء الباسمة التي سميت « جنة فرنسا » لخصب تربتها وجمال موقعها ومنظرها حتى خيل انهم ذاهبون الى حجّ ديني لا الى محاربة الاعداء . وكانت جان تدبر كل شيء بحكمة وترشد الجميع بفطنة محرضة اياهم على التوبة ويغض الزلات منعشة في قلوبهم الثقة العظيمة برحمة الله مؤكدة لهم انهم ان تابوا عن خطاياهم واعترفوا بها نالوا الظفر لا محالة وهي لم تعظهم بكلامها فقط بل ان مثلها الصالح كان لهم اكبر واعظ واعظم قائد اذ انها كانت تكثر من الصلوات مغرمة بحب مولاها حريصة على مرضاته تعالى ولما وصلت اثناء السير الى احدى الكنائس دخلتها بورع وتناولت فيها القربان الاقدس امام جميع الرجال فاثر فيهم ذلك المشهد جميعاً فاعترفوا بذنوبهم بين ايدي الكهنة

وعند ذلك امرت جان بطرد النسآء الفاجرات اللواتي كن قد لحقن بالجيش واتخذت كل الوسائط اللازمة للمحافظة على طهارتها حتى انها نامت ليلتها دون ان تنزع عنها شاكتها ولا سلاحها الامر الذي ازعجها جداً وهي غير مبالية

ولما اصبح صباح اليوم الثالث وصلوا بازاء اورليان المدينة الامينة التي طالما تاقت نفس جان الى مشاهدتها الا انها حزنت جداً لدى رؤيتها ان الرؤساء غشوها اذ حنثوا في وعدهم وقادوا الجيش من جهة النهر اليسرى على خلاف امرها فتبين اذ ذاك ان مخالفتهم لامرها كانت مصيبة كبرى ذات نتائج مكدرة وان الرؤساء كانوا مخطئين في استبدادهم برايهم ورذلهم قول الفتاة المرسلة من الله لان الجيش كان حينئذٍ قد امسى في حالة حرجة للغاية اذ لم يكن لهم جسر على النهر ليعبروا ولا غمر للمياه لتجري عليها السفن بالمواشي والمؤن لا في موضع كان الانكليزيون قد تحصنوا فيه وقد خيف ان العدو يقوم عليهم بكل قوته في ساعة لا يظنونها . فلما عاين الرؤساء الذين خالفوا امر الفتاة نتيجة عملهم ضاقت بهم الحيل اما جان فتوكلت على الله واشارت عليهم بالهجوم على الحصن الموماً اليه فأبوا لقلة عددهم و كثرة عدد الاعداء

وفي تلك الاثناء قطع الامير دونوا النهر في خلق كبير من اهل المدينة فقالت له جان «أأنت الامير دونوا» فاجابها « انا هو ولقد فرحت بقدومك» فقالت له وقد ظهر عليها الكدر « أأنت اشرت بان يؤتى بي من هذه الجهة من النهر لا من جهته اليمنى حيث تالبوت مع رجاله الانكليزيين ؟ فلو كنتم فعلتم كما امرت لكانت المواشي والمؤن قد دخلت المدينة بدون ان تعبر النهر »

فاخذ دونوا يعتذر قائلاً انه والرؤساء الخبيرين بامور الحرب رأوا ان ذلك كان الاولى والآمن فاجابته جان « لعمري ان رأي ربي لأولى وأسلم من رأيكم . كان مرادكم ان تغشوني فما غششتم سوى نفوسكم لاني آتية اليكم بنجدة لم يكن مثلها لغيركم قط وهي نجدة رب السماوات ولست انا المنجدة انما ينجدكم الله لانه استجاب صلاة القديسين لويس و كارلس الكبير (شارلمان) وتحنن عَلَى مدينة اورليان لانه غير راضٍ بان يستولي الاعداء عَلَى شخص الدوق دي اورليان وعَلَى مدينته معاً » وعقيب ذلك اتفقت مع الرؤساء على الذهاب بالسفن والجيش الى قرية تدعى شاسي وهي في شرقي اورليان وتبعد عنها نحو ساعتين وفيها جنود فرنسيون الا ان الامر كان عسيراً جداً لتهطل الامطار ودنوّ الليل ومضادة الريح وقلة مياه النهر بحيث كانت السفن لا تستطيع جراكاً فقالت جان لقومها برباط جأش كانها عارفة بالمستقبل « اصبروا قليلاً فكل شيء سيتم على خير بعون ربي » ولم تكد تتلفظ بهذا الكلام حتى تغيرت الريح وفاضت مياه النهر بغتة فجرت السفن بسهولة مارة بالقرب من مدافع الانكليزيين دون ان يصيبها ادنى اذى . هذا ما شهد به الاب باسكيريل وأثبته الامير دونوا بقوله « بان لي ان كل ما عملته الفتاة في الجيش انما عملته بامر الله وبعونه تعالى كيف لا وقد رأيتا تغيير الاحوال عَلَى الفور حينما كنا في ضيقة عظيمة وحالما صلّت الى آلهها داعيةً قلوبنا الى الرجاء » فرأى الجيش ما كان وازدادت ثقتهم بقائدتهم الباسلة

ولمّا وصلوا الى شاسي نقلوا المؤن الى جهة النهر الثانية دون عائق الا ان

السفن كانت قلائل والجنود عديدين لا يستطيعون العبور فيها فعزموا على الرجوع الى بلوى ليقطعوا النهر على الجسر ويعودوا مع من ينضم اليهم لمساعدتهم سالكين الطريق الذي كانت جان قد اشارت اليه فقالوا لها ان تتبعهم لتدخل دون ابطاء المدينة حيث كان الاشراف ينتظرونها بفروغ صبر فأبت الا ان ترافق جنودها قائلة « ان جنودي قد تابوا الى الله واعترفوا بخطاياهم وهم الآن في احسن استعداد فلا بدّ لي من الهجوم بهم على الاعداء » اما الرؤساء فالحوا عليها كثيراً حتى ثنتني عن عزمها هذا فلم تجبهم الى سؤلهم الا بعد ان وعدوها بانهم سيرجعون بجيش عظيم فينيلونها مرامها فعندها أمرت الاب باسكيريل مرشدها بان يتقدم الجيش مع الكهنة الحاملين بيرق المخلص ولما اتمت كل شيء ركبت سفينة دونوا وعبرت نهر اللوار ورايتها في يدها وبقربها لاهير البطل الصنديد ودي بوساك المشير وهو المدعو دي سان سيقير وغيرهما من الاشراف

وفي غضون ذلك هجم سكان اورليان على الجنود الانكليزيين الذين كانوا يسدون معبر النهر واختطفوا بيرقهم وبددوا شملهم وكانت السفن الحاملة اليهم المؤن قد دخلت المدينة دون ان يتعرض لها احد من الاعداء فجاءت في حينها وعلى هذا النحو تمت نبوة الفتاة القائلة « ان المؤونة ستدخل مدينة اورليان دون ان يتعرض لها الانكليزيون اما جان فخشيت ازدحام الشعب عليها » فأبت ان تدخل المدينة في النهار بل انتظرت في مكانها مع الذين رافقوها حتى مالت الشمس الى الغروب وانسدل ستر الظلام وحينئذٍ قامت وامتطت

جواداً ابيض ودخلت اورليان وذلك في ٢٩ نيسان عند الساعة الثامنة مساء وكان قد أتى ٢٠٠ فارس من جندها ليكونوا برفقتها هازّين الرماح فمرت على هذه الحال بالقرب من متارس الانكليزيين لكنهم لم يفكروا في استلال السيف عَلَى المرسلة من الله بل انهم لم يتحركوا من مكانهم كأن يد الله قد أرخت أذرعتهم واوهنت قوائم فسبحان القدير عَلَى كل شيء . فما ذاع في اورليان خبر قدومها حتى هرعت الجموع من كل جهة حاملين المشاعل المضيئة متقاطرين عليها رافعين اسمها ثم ذهبوا بها عَلَى هذا النمط بين اصوات الفرح والاحترام البليغ الى دار يعقوب بوشه خازن الدوق دي اورليان حيث حلت عَلَى الرحب والسعة في استقبال حافل لم يسبق له مثيل وبعد ان اخذت قليلاً من الراحة مع رجالها بُسطت موائد الاطعمة الفاخرة اللذيذة المتنوعة لكنها لما كانت تصوم كل يوم جمعة لم ترد ان تأخذ الا قليلاً من الخبز المغموس بخمر ممزوجة بالماء في قدح من الفضة مع انها لم تكن قد اكلت شيئاً من الصباح الى تلك الساعة ولم تنزل عن ظهر فرسها طول النهار وهي حاملة على بدنها اللطيف شاكتها واسلحتها الثقيلة وبعد ذلك دخلت مخدعها لتبيت وحدها مع شارلوت ابنة مضيفها الكريم البالغة من العمر ١٠ سنين وبات ايضاً في غرفة بالقرب منها اخوها بطرس ويوحنا دي متز وبرتراند دي بولانجي ويوحنا دي اولون سلاحدارها الامين

ولما تبلج الفجر في الفضاء اقبلت الجماهير الغفيرة الى دار يعقوب بوشه طالبين رؤية من ارسلها الله لنجدتهم فاجابت جان الى رغبتهم اذ كانت قد

أتت لانقاذهم باسم الرب وخرجت وهي راكبة حصانها الابيض فاخترقت صفوفهم المرصوصة كالبناء فشمل الجميع فرح لا يوصف وكانوا ينظرون اليها بعين الحب والانذهال رافعين نحوها ايديهم وقلوبهم وكانوا يبتغون تقبيل رجليها او لمس ثيابها فاحاطوا بحصانها باجلال كانه حامل رب الجلال اما هي فكانت تهش بهم داعية اياهم الى الاتكال على الله ورافعة قلبها وعينيها بحب نحو الباري المنان الذي ترأف على هؤلاء المظلومين فارسلها اليهم ووعدها بالانتصار وكانت تقدم لعزته الصمدانية هذا الاكرام الذي تعد ذاتها غير مستحقة له طالبة اليه ان يعضدها بنعمته الالهية ولذلك ارادت ان تذهب راساً الى الكنيسة الكبرى لتشكره تعالى علناً على رحمته الغزيرة فتتبعها اهل المدينة بهيبة ووقار كانهم سائرون وراء ملاك سماوي ظهر بصورة انسان

الفصل الثاني

في مراسلتها الانكليز بين ليرحلوا عن فرنسا

باسم الله الحي ارجعوا الى انكلترة والاّ انزلت
بكم غضبي (كلماتها الى الانكليز بين)

وفي غد ذلك اليوم عقدت الفتاة مجلساً حربياً عند الكونت دي دونوا فحضره كل الرؤساء والقواد فاشارت بوجوب الهجوم دون تأخير على متاريس الاعداء فاستصوب رأيها لا هير الباسل وفلورانتينوس دي ايليار الفارس الشريف اما الباقون فلم يوافقوا عليه فقامت جان وتكلمت بقوة وبهالة باسم

السلطان المعطى لها وأمرتهم بالطاعة لاحكامها فهاجوا وماجوا وكثر بينهم القال والقيل فصار الذين من حزبها يظهرون بحماسة وشدة اصابة رأيها وموافقة احكامها حتى قنعوا جميعهم فلما رأى احد قواد الصيد المدعو يوحنا غاماش ميلهم الى اتباع امرها والسير ورائها استشاط غيظاً واخذ يقول وكاد يخنقه الحنق « اذا كان القواد والفرسان يفضلون رأي ابنة حقيرة لا اصل لها ولا فصل على رأي فارس نظيري فانا قادر ان اظهر لهم غلطهم وان العب فيهم سيفي البتار لكنني حباً بالملك وبشرفي انتزل عن وظيفتي مفضلاً ان اكون سلاحداراً بسيطاً تحت امر رجل شريف على ان اكون خاضعاً لامرأة لااعرف لها نسباً » قال هذا وطوى بيرقه وقدمه للامير دونوا علامة لخضوعه له فقام حينئذ دونوا وبين للجماعة سوء تصرفهم وعدم اصابتهم في ما يرتأون الى غير ذلك من الكلام المقرون بالبراهين حتى هدأ روعهم ولكنهم رفضوا بتاتاً الهجوم على العدو بل قرروا ارسال عضداً للجيش الفرنسي الآتي من مدينة بلوى فحزنت جان جداً لهذا الامر وشق عليها رفض القوم لرأيها لكن لاهير الباسل وفلورانتينوس دي ايليار ارادا اتباع مشوراتها والعمل بها فخرجا من السور وقاتلا الانكليزيين قتالاً شديداً وحينئذ ارسلت جان كتابة ثانية الى تالبوت بواسطة مناديها تدعوه فيها الى الانصراف بدون قتال فلما سمع الانكليزيون بذلك فار فائرهم ورشقوها بالاهانات واوسعوها سباً وشتماً ونعتوها بأقبح النعوت وشر الاوصاف ناسبين اليها الفجور والفسق والعهر ودعوها هزءاً وسخرية « راعية البقر » ثم توعدوها بالحريق والعذاب وجعلوا يسفهونها

ويستهزئون باقوالها وكتاباتها بل بلغ بهم الغيظ والجور الى ان تناسوا عهود الحرب والشرف المرعية وتجاوزا كل حد في الخيانة اذ قبضوا عَلَى احد المنادين وشاؤوا القاءهُ في النار الا انهم عدلوا عن ذلك ريثما يأتيهم الاذن بذلك من كلية باريس واما الثاني فاطلقوا سبيله موسعاً اهانات وقد حملوه كتاباً الى سيدته فلما ابصرته جان قالت له « ماذا قال تانيوت ؟ » فاجابها « ان تانيوت وسائر الانكليزيين يستقذفونك بالكلام ويريدون لو قدروا ان يميتوك بعذاب النار » فقالت له « عد اذن اليهم ولا تخف لانك سترجع بصاحبك عما قليل » ثم اردفت قولها بقولها « قل لتانيوت انني مستعدة لمحاربته فان تقلد سيفه فاني لمتقلدة سيفي ايضاً وان تقدم نحو سور المدينة فاني لخارجة اليه وان قبض عليَّ فليحرقني وان انتصرت عليه فلينصرف من المدن التي يحاصرها وليرجع الى بلاده » فلم يجسر المنادي على الرجوع الى معسكر الانكليزيين خوفاً من شرهم لكنه عاد وامتثل امر مولاته وذهب . اما هي فقالت مشيرة اليه « باسم ربي لا بأس عليه فان الانكليزيين لا ينزلون به أدنى ضرر » فوقع الامر كما قالت كما سترى

وفي مساء ذلك اليوم صعدت جان الى قمة مترسة مشيدة بالقرب من شارع بلكرواعَلَى الجسر بازاء الابراج ورفعت صوتها قائلة للانكليزيين « اني آمركم بالانصراف دون حرب والاَّ ألجئت الى طردكم بقوة السلاح بعد ان يصيبكم ضرر جسيم » فاجابها غلاسيداس وارفاقه بالسب والشتيمة حسب عوائدهم وفاقهم في ذلك رجل اسمه غرانفيل ويلقب « بالنغيل » فقال لها

بوقاحة « اتظنين ان اشراف الانكليزيين يهابون امراة نظيرك» ثم اضاف الى ذلك قوله بهزء وتهكم « في الحقيقة ان الفرنسيين سحرة وهراطقة لانهم يتبعون ساحرة مثل هذه » فشق هذا الكلام عَلَى جان فصرخت قائلة « كذبت ياغلاسيداس فاعلم ان الانكليزيين لراحلون عما قريب لامحالة الاَّ انك لاترى ذلك وسيهلك من رجالك عدد كبير » قالت هذا وقفلت راجعة الى المدينة .

وفي الغد اي نهار الاحد اول ايار قام دونوا وسار في جنده نحو مدينة بلوى للقاء الجيش حسب الاتفاق اما جان فخرجت وهي مدججة بالسلاح واقامت مع من معها من الجنود بين اسوار المدينة وبين متاريس الانكليزيين لى ان صار الامير دونوا في أمان من الاعداء الذين لم يبرحوا مكانهم معما كانوا عليه من القوة والقدرة ولما غاب دونوا عن النظر التفتت جان الى الانكليزيين وناديتهم قائلة «باسم الله الحي ارجعوا الى انكلترة والاَّ انزلت بكم غضبي» فاستشاط الانكليزيون غضباً عليها وجعلوا يغلظون لها في الكلام فرجعت مسرعة الى المدينة اما الانكليزيون فكانوا قلقين لانهم كانوا يرون ذواتهم خامدي الهمة مغلوبين بقوة غير منظورة رغماً عن قدرتهم وكثرة عدد رجالهم وقلة عدد رجال الفرنسيين فبعد ان كان ٢٠٠ انكليزي يدحرون ٥٠٠ فرنسي صار ٤٠٠ انكليزي ينهزمون امام ٢٠٠ فرنسي هذا فضلاً عن ان ٤٠٠ او ٥٠٠ رجل من سكان اورليان كانوا يخرجون كل يوم اليهم ويقاتلونهم ويلجئونهم الى الفرار وراء متاريسهم وعَلَى هذا النمط كانت الايام تزيد الفرنسيين بسالة وثقة بالفتاة وكلما اجتمعوا للتشاور كانت جان تفوق الفرسان والابطال شجاعة وخبرة

في الامور متفردة في سداد الرأي وبُعد النظر ومع كل ذلك كانت تظهر وديعة متعبدة طاهرة متجردة عن امور الدنيا زاهدة بكل ما فيها غير ناظرة الا الى السماء وغير واثقة الا بالله فاستحقت ثناء الجميع واستمالت قلوبهم فصدقوا ما كانت تقول في كل حين « ان الله ارسلني اليكم فتوكلوا عليه ولا ريب في انه ينقذكم من ايدي اعدائكم » ولما كانت تحضر القداس الآلهي كان منظرها يأخذ بمجامع القلوب اذ انها كانت تسجد بتهيب بليغ للقربان الاقدس المعروض لاكرام المؤمنين وكانت عيناها تغرورقان بالدموع خشوعاً وحباً . ولم تكن تملّ من ذكر الله ومريم العذراء في كل آن محرضة الجميع على التوبة والتمسك بحبه تعالى وممارسة الصالحات والعمل لخلاص النفس الخالدة وموبخة بحزم من منهم شرد عن خطة الدين والآداب حتى تعجبوا جميعهم من جرآءة مثل هذه الفتاة مع حداثة سنها . فانتصح الكثيرون بكلامها واتعظوا باقوالها واقلعوا عن الشر على يدها منهم لاهير الباسل الذي كان من عادته السب في كل ما يقول تلك ملكة كانت قد تأصلت فيه فلم يعد في امكانه استئصالها لو لم تسهر عليه جان جادة في اصلاحه من هذه العادة الذميمة بكل الوسائط الممكنة لديها حتى انها قالت له يوماً « يا لاهير بما انك لا تستطيع الكفّ عن الحلف احلف بالعصا التي في يدك ولا تحلف بالله ولا تستعن بالشيطان » فقبل لاهير النصيحة فكانت مفيدة ولكي يثبت هذا البطل على ما هو عليه من التفاني في رضى الملك مولاه وحب الوطن ووطيد الايمان به عز وجل والتحذر التام من الرجوع الى عوائده السيئة

كانت جان تحثه كثيراً على الاعتراف السري والتوبة الصادقة فكان ذلك يساعده كثيراً عَلَى العيشة المسيحية والسير في طريق الخير .

ولم تكن جان رغماً عن اعتنائها باصلاح نقائص رجالها غافلة عن متابعة عملها في المدافعة عن المدينة والسعي في انقاذها من حصار العدو فكانت من الصباح الى المساء راكبة حصانها متدججة باسلحتها لا تفتات الا بقليل من الخبز والخمر الممزوجة بالماء حتى حيرت العقول وبات كل يقول « ان تلك لاعجوبة فمن يقدر عَلَى مثل هذه الاعمال غير من كان الله معه ؟ » ولذلك كان يزداد تعلقهم بها وينمو حبهم لها طالبين التقرب منها والنظر الدائم اليها حتى انهم كانوا يتوسلون اليها بان تطوف في المدينة لتلقي السلام في القلوب وتنعش الرجاء في النفوس حسب ما ذُكر في تواريخ تلك الايام

الفصل الثالث

في انتصارها الاول عَلَى الاعداء

باسم الله لقد امرتني القديستان بالهجوم عَلَى الانكليز بين
لكن لا اعلم هل اذهب الى متاريسهم او ازحف الى
فالستوف الآتي لمساعدتهم (كلماتها)

ولما كان نهار الاثنين ركبت جان فرسها وخرجت خارج الاسوار لتتأمل في متاريس الانكليزيين وكان يصحبها جمع غفير من سكان المدينة فمرت بالقرب من ابراج الاعداء دون ان يصيبها منهم ادنى ضرر كأن أعينهم قد عميت عنها

ثم رجعت الى المدينة وحضرت صلاة المساء في كنيسة الصليب المقدس

مضت الايام ولم يعد دونوا ولا الجيش المنتظر فقلق سكان المدينة وخافوا على المشير دي سان سيفير الذي كان قد ذهب ليكشف عنهم الخبر . اما جان فكانت تقول « اني لمتأكدة ان المشير مقبل ولم يمسه ضرٌ » ولم تكد تتلفظ بهذا الكلام حتى ظهر الجيش في البعد فخرجت الفتاة لملاقاته وذهب معها لاهير ودي ايليار وكثيرون من الفرسان لمساعدة رجالهم والمدافعة عنهم عند الحاجة . غير ان الانكليزيين مع كونهم يفوقون الفرنسيين عدداً وقوة لبثوا في متاريسهم جامدين كأنهم صعقوا بصاعقة فمر القوم بازائهم دون ان يكون معارض او مقاتل ودخلوا المدينة مع قائدتهم الباسلة يمشي امامهم الاب باسكيريل وسائر الكهنة وهم ينشدون الاناشيد الروحية

وكان ان حدث بين الرؤساء شقاق عظيم حين تشاوروا في مدينة بلوى فاتى دونوا في الوقت الموافق واصلح بينهم ومن هنا يظهر ان جان كانت مصيبة في رفضها الافتراق عن الجيش يوم وصولها الى اورليان كما تقدم القول فأخبرها دونوا عن الحادث بتفاصيله كلها وأعلمها بمسير فالستوف احد القواد الانكليزيين نحو معسكر الاعداء بمدد ومؤن فسرت بذلك سروراً عظيماً لكنها خشيت غدر الرؤساء ومخالفتهم لاوامرها مرة ثانية مع كونها صاحبة الامر والنهي من قبل الملك وخافت من سوء العاقبة اذ اتبعوا اهواءهم فقالت لدونوا بجزم وسلطان « يا دونوا يا دونوا باسم الله آمرك بان تخبرني بمرور فالستوف حال وصوله والاَّ قطعت رأسك » فدهش دونوا من هذا الكلام

الخارج من فم امنة الا انه اجابها بكل احترام قائلاً « القي مقاليدك اليّ فاني ممتثل اوامرك » قال وانصرف من عندها و كانت الظهيرة قد حانت و كان دي اولون سلاحدار جان قد اخذ منه التعب مآخذه فقصد فراشه ليذوق قليلاً من الراحة وكانت جان مع مضيفتها قد عمدتا الى الراحة ايضاً فنام السلاحدار الا انه استيقظ مذعوراً اذ سمع الفتاة تصرخ قائلةً « باسم الله لقد امرتني القديستان بالهجوم على الانكليزيين لكني لا اعلم هل اذهب الى متاريسهم او ازحف الى فالستوف الآتي لمساعدتهم » فسمع من في بيت هذا الكلام فبهتوا فدخل عليها الاب باسكيريل مع بعض الكهنة فسمعوها تصرخ وتقول « اين الرجال ليسلحوني . ويلاه ان دم رجالنا يسيل يارب يا للمصيبة . لِمَ لم يوقظوني قبل الآن . ان القتال قد اشتد بازاء البرج وساءت الحال على قومنا الذين أثخنوا جراحاً . ائتوني بسلاحي . ائتوني بسلاحي و بفرسي » قالت هذا كانها امام رؤيا او كأني بها قائمة بازاء الابراج ناظرة الى القتال والى الدماء الجارية من رجالها . فتعجب كل من رآها على هذه الحال واحتار السلاحدار في امره اذ لم يكن يسمع صوتاً لا حول الدار ولا في الازقة ولما اتاها بسلاحها وجدها قد انحدرت بسرعة كلية الى الباب حيث كان غلامها لويس دي كونت يتحدث مع من كان هناك فالتفتت اليه بغضب وقالت له « ايها الغلام الشقي لماذا لم تخبني بان دم الفرنسيين يسيل ؟ » ثم أمرت باحضار فرسها وعادت مسرعة الى مخدعها لتلبس شكتها وما كادت تفرغ من لبسها حتى سمع ضجيج وصخب في الازقة فاخذ السلاحدار يتسلح هو

ايضاً اما جان فكانت قد ركبت حصانها الا انها نسيت رايتها فذهب غلامها ليأتيها بها غير انها لم تصبر على رجوعه فنادته بان يناولها اياها من الطاقة ففعل فأخذتها بيدها وضربت بالمهماز خاصرتي جوادها فطار بها بسرعة البرق حتى كان الشرر يتطاير من تحت حوافره ومن عجيب امرها انها توجهت رأساً الى باب بورغونيا وهي لم تسرقط في الطريق المؤدي اليه . اما غلامها فلزم مكانه مبهوتاً فقالت له صاحبة الدار ان الحق بسيدتك فركب وركب معه دي اولون وتأثرا مولاتهما فلم يلحقا بها الاَّ عند الباب المتقدم بالذكر حيث كان ازدحام الجيش الفرنسي الهارب من وجه العدو عظيماً . واليك تفصيل ما كان قد جرى :

كان الفرنسيون قد هجموا على الانكليزيين بدون إذن من الامير دونوا ومن الفتاة فتسلقوا متراساً ابتناه الاعداء بالقرب من كنيسة القديس لود فانتصروا بادىء بدء على الانكليزيين الا ان هؤلاء لم يلبثوا ان بددوا شملهم ودحروهم مثخنين جراحاً . فلما رأت جان في طريقها بعض الجرحى من رجالها محمولين الى المدينة لم تتمالك ان قالت « اني كلما رأيت دماً فرنسياً يسيل انتصب شعر رأسي » ثم اخترقت صفوف المنهزمين وتوجهت تواً الى المتراس حيث الاعداء ومعها بعض الفرسان فاستقبلها الجيش باصوات الفرح وانقلبوا راجعين معها على العدو فعلمت ان الظفر لها ولذلك نهت رجالها عن انتهاب كنيسة القديس لود التي كانت محاطة بمتاريس الانكليزيين ثم أمرتهم بالوثوب على اعدائهم فدبت في عروقهم نشأة جديدة واستأنفوا القتال بمزيد نشاط

وعزم فاستدعى تالبوت رجالاً من سائر متاريس قومه ليمدوا الذين في مترسة كنيسة القديس لود الا ان المشير دي بوساك والبارون دي كولونج أتيا بستمائة فارس من اورليان وقطعوا لهم الطريق واما جان فاستولت على المترسة بعد ان حاربت اعداءها مدة ثلاث ساعات فقُتل من الانكليزيين في تلك الوقعة ١١٤ فارساً وأُسر اربعون وانهزم ٢٠٠ واختبأ كثيرون منهم في كنيسة القديس لود فاتشحوا بالحلل الكهنوتية تستراً فقبض عليهم الفرنسيون وكان البعض منهم يريدون قتلهم والبعض كانوا يرغبون في تخلية سبيلهم احتراماً للحلل التي كانوا متشحين بها . فرفعوا الامر الى جان ليعرفوا ماذا يصنعون بهم فامرتهم بان يعاملوهم ككهنة ونهتهم عن ان ينزلوا بهم ادنى ضرر بل ذهبت بهم الى بيتها ولم تفارقهم لحة بصر لئلا ينتقم منهم سكان المدينة كما فعلوا بجميع المسجونين خفية عنها فلما علمت بذلك بكت بكاء مراً واستحضرت كاهناً واعترفت بين يديه بخطاياها لانها لم تتمكن من الاعتراف قبل القتال كما كانت عادتها ثم امرت جنودها بان يعترفوا هم ايضاً ليشكروا الله على الانتصار الذي خولهم اياه قائلة لهم «ان لم تعترفوا بخطاياكم يتركم الرب في القتال قصاصاً لكم» واخيراً أوصت باحراق المترسة وتخريبها عن آخرها وبعد ذلك قفلت راجعة الى المدينة مع رجالها وفرسانها فقُرعت الاجراس في جميع الكنائس إيذاناً بالنصر ورُفعت صلوات الشكر الى العزة الالهية التي فرّجت على يد الفتاة عن اهل اورليان ضيقتهم وبؤسهم اما الانكليزيون فكان لهم ذلك اليوم يوم حزن وكدر أرخى عزائمهم وأوهن قواهم . وعند المساء صرحت جان بانها في

الفـ ... صعود الرب الى السماء لا تنزل الى ساحة القتال ولا تلبس شكتها اكراماً لهذا العيد الشريف بل انها ستقدسه بقبولها سرّي التوبة والقربان الآلهي كما يجب عَلَى كل مسيحي

الفصل الرابع

في انتصارها الثاني

الآن باسم الله الوثوب عَلَى الانكليز بين
بثبات جأش (كلمانها لرجالها)

ولما كان عيد الصعود الآلهي تشاور الروساء في امر الحرب خفية عن جان فقرّروا الوثوب عَلَى المتاريس التي على ناحية اللوار التي من جهتهم قصد ان يجذبوا العدو اليهم ليهجموا بعد ذلك عَلَى المتاريس التي عَلَى الناحية الثانية من النهر ظانين ان عملهم هذا يوليهم النصر التام ويريحهم من اعدائهم الظلمة ولكنهم اتفقوا عَلَى ان يكاتموا الفتاة هذا القصد وبعد ذلك استدعوا جان واطلعوها عَلَى ما رأوا فظهر الكدر على وجهها وقالت «اخبروني بكل ما قررتم وحكمتم وانا احفظ السر . كما اني حافظة اموراً كثيرة في طي الكتمان» فاجابها دونوا «لا تغضبي لاننا كنا عازمين عَلَى اخبارك بالامر رويداً رويداً» ثم اعلمها بكل ما كان فاستحسنته لكنها قالت «ان الرأي حميد بشرط ان تتموه كما اشرت الآن» فكانت عالمة المستقبل لانهم غيروا عند المساء ما كانوا صمموا النية عَلَى اجرائه وقرروا الهجوم عَلَى البرج المدعو برج يوحنا الابيض

وهو وراء النهر . فنودي بامر جان في كل المدينة بما يلي:

« لايسمح نهار غد لاحد بالخروج من المدينة والهجوم عَلَى الابراج الا بالشرط الآتي : عَلَى كل من سكان اورليان بالاعتراف بخطاياه وعَلَى رجال الحرب بطرد النساء العاهرات ويمنعهن من الدنو الى الفتاة لان الله معاقبة للبشر على آثامهم يسمح بانكسارهم في الحرب . »

ثم املت عَلَى مرشدها كتاباً الى الانكليزيين تقول لهم فيه :

اما انتم يا رجال انكلترة فاعلموا ان لا حق لكم عَلَى مملكة فرنسا ولذا يأمركم ملك السماوات ويحتم عليكم بلساني بان تتركوا ابراجكم وترجعوا الى بلادكم والاَّ دمرتكم تدميراً يحفظ له الدهر ذكراً خالداً . هذا ما اكتبه اليكم للمرة الثالثة والاخيرة ولست بمراسلتكم مرة اخرى بعد + يسوع ومريم : جان العذراء

وأضافت في آخر الكتاب ما يلي :

«لكنت ارسلت اليكم كتابي هذا بطريقة شريفة لو كنتم لا تحبسون رسلي ولكنكم قبضتم على رسولي غويان فاطلقوا سبيله وانا ارد عليكم بعض رجالكم المأسورين في معركة كنيسة القديس لود لانهم لم يهلكوا كلهم . »

ثم طوت الكتاب وربطته الى نشابة وعهدت الى بعض الرماة بان يرمي بها اليهم قائلاً « اقرأوا الكتاب اذ فيه اخبار هامة » فلما فك الانكليزيون الكتاب المومأ اليه جعلوا يسبون جان ويشتمونها بغليظ الكلام وقبيحه حسب عوائدهم واخذوا يصرخون قائلين باعلى اصواتهم « لقد بلغتنا اخبار فتاة حزب ارمانياك العاهرة » فتنهدت جان عند سماعها هذا الكلام وذرفت الدموع السخينة واستشهدت رب السماء عَلَى برارتها فشعرت في نفسها بتعزية سماوية وقالت لمن كان حولها « الآن كلمني ربي »

وحينئذٍ كتب دونوا الى الانكليزيين يقول لهم « ردوا رسول الفتاة والا قتلنا شر قتلة من استأسرناهم منكم مع من ارسلتم الينا لافتدائهم بالمال » فلم يرد احد حمل هذا الكتاب الى الاعداء فاشارت جان الى مناديها بحمله اليهم واعدة اياه بالرجوع سالماً ثم عاد مع رفيقه كما تنبأت

وفي النداي نهار الجمعة ٦ ايار حين طلع الفجر اقام الاب باسكيريل القداس الآلهي فحضرتهُ جان وجنودها وبعد ذلك خرجت من السور نحو الساعة التاسعة مع الفرسان والابطال و ٤٠٠٠ رجل فقطعوا النهر ونزلوا في جزيرة قريبة من برج القديس يوحنا الابيض ثم جعلوا سفينتين الواحدة وراء الثانية فعبروا عليهما الى جهة النهر اليسرى وتسلقوا البرج فلما رأى غلاسيداس ذلك اشعل النار في البرج وذهب ومن معه الى مترسة فسيحة منيعة كانت بالقرب من كنيسة الاباء الاغوسطينيين فخشي الرؤساء الفرنسيون الهجوم عليهم هناك لقلة عددهم ولمنعة تلك المترسة الحصينة ورأوا الاولى بهم الرجوع الى اورليان . اما جان فذهبت غير هيابة وليس معها سوى عدد قليل من الرجال ونصبت رايتها بازاء مترسة الاغوسطينيين المذكورة انفاً فانتشر اذ ذاك خبر بان الانكليزيين الموجودين على ضفة النهر اليمنى قطعوا النهر بعدد وافر من الرجال فدخل الخوف قلوب الفرنسيين فولوا هاربين وتفرقوا شذر مذر حتى اضطرت جان الى الفرار معهم فجعل الانكليزيون يسبونها ويعيرونها كعادتهم . الاّ انها عند وصولها الى الجزيرة التي ذكرناها خجلت من هزيمتها فساقت فرسها الى سفينة كانت هناك وأمرت الجذافين

بان يقذفوا الى جهة الاعداء. ولحق بها لاهير الشجاع فلما نزلت الى البر صرخت قائلةً : « الآن باسم الله الوثوبَ عَلَى الانكليزيين بثبات جأش » واشهرت رمحها وفعل فعلها لاهير فوثبا عَلَى الاعداء ببسالة وشدة فدحرا الاعداء دحراً الى ان لاذوا بمتارسهم . فركزت جان حينئذٍ رايتها ثانية امام مترسة الاغوسطينيين وتألبت حولها الجماهير الفرنسية فاستعرت نيران القتال بين الفريقين واشتد الضرب من الجهتين لان غلاسيداس كان ذا بطش لا يهاب الموت لكن الفتاة فاقت الجميع في الشجاعة والخبرة بأمور الحرب

وكان بين الرجال الفرنسيين فارس اسباني الاصل اسمه الفونس دے بارتادا وكان ذا قوة وبسالة غريبتين وكان قد أمر بحراسة الجسر مع دي اولون وغيره لينجدوا الجيش عند الحاجة فمر احد فرسانهم الشجعان من امامهم فقال له دي اولون « قف مكانك » فرفض فالتفت اليه ذلك الاسباني وقال مغضباً « قف قف فان هنا من يضاهيك بطشاً وبأساً » ثم تشاتما فافضى بهما الامر الى الوثوب على العدو فيظهر من منهما صاحب البأس والبطش ثم امسك احدهما بيد الآخر وركضا مسرعين نحو الاعداء. وكان الشرط بينهما ان من يدخل قبل رفيقه الى البرج يكون الافضل والاكرم غير ان احد الانكليزيين الاشداء كان واقفاً في اعلى البرج وكان يضرب ضرب الابطال فلم يجسر احد عَلَى التسلق او الوصول الى البرج فرأى ذلك دي اولون فاوعز الى الاستاذ يوحنا بان يرشقه بالرصاص ففعل فسقط الانكليزي من اول ضرب فدخل الفارسان المومأ اليهما البرج ودخل وراءهما خلق كثير ولما قُرعت

الاجراس في المدينة لصلاة المساء استولت جان ورجالها على برج الاغوسطينيين ووجدوا فيه جمهوراً من الاسرى الفرنسيين وشيئاً كثيراً من الاسلحة والمؤن فقُتل من كان هناك من الانكليزيين ولم ينجُ منهم الا القليل واما الاسلاب والغنائم فحرقت بامر جان هرباً من الانشقاق والمشاجرة في قومها

ثم عند المساء تقدم الفرنسيون نحو الجسر وتحصنوا هناك بالقلعة الحائلة دون الوصول اليه فلم ترجع جان الى المدينة لتبيت الاَّ عَلَى كرهٍ لانها كانت قد جُرحت في القتال والح عليها الرؤساء بالرجوع فاطاعت وكان ذلك اليوم يوم صوم فلم ترد ان تفطر الا عند المساء مع ما كانت عليه من التعب والعناء وبينما كانت تأكل دخل عليها احد الفرسان العظام وقال لها « ان الرؤساء والقواد لمتحققون ان انتصارنا في هذا اليوم رغماً عن قلة عددنا وكثرة عدد العدو كان منة منه تعالى ليس الاَّ وانهم لا يستحسنون استئناف القتال غداً اذ ان المدينة اصبحت في يسر والمؤن كافية لها الآن فضلاً عما سيوافيها من المساعدة في القريب العاجل » فنظرت اليه الفتاة وقالت له عن يقين ثابت في بعثتها الالهية « لكم مجلس شوراكم ولي مجلس شوراي لكن اعلموا ان رأى مولاي ثابت ولا بد من ان يتم اما رأي البشر فباطل ولا بد من ان يضمحل » ثم التفتت الى مرشدها وقالت له « يجب ان تبكر الينا في الغداة لانني سأتم اعمالاً عظيمة لم اعملها الى الآن وسأصاب بجرح يُسيل دمائي امام القلعة التي عند الجسر »

الفصل الخامس

في استيلاء الفرنسيين على قلعة الجسر

باسم الله ان دخولكم القلعة لقريب (كلمات الرجالها)

فباتت جان ليلتها كلها على قلق عظيم متخوفة هجوم العدو على رجالها فجأة لان الانكليزيين كانوا قد احرقوا في ظلام ذلك الليل الحالك احدى متاريسهم التي وراء النهر وضموا من كان فيها من الجنود الى الجيش فلم تفهم ما كان مرادهم بذلك وهذا ما ازعجها واقلقها . فلما كان الغد حضرت الذبيحة الالهية ولبست شكتها وارادت الخروج واذا برجل آتٍ وبيده سمكة كان قد اصطادها فقالت لها صاحبة الدار « كلي يا جان هذه السمكة قبل انصرافك » فاجابتها « ابقيها الى المساء فاني راجعة اليك برجل انكليزي بعد مروري على الجسر او استيلائي على قلعة الترنيل فيأكل شيئاً منها » فلما سمع من كان حاضراً هذا الكلام اندهشوا لعلمهم بصعوبة المرور على الجسر لتخريب احدى قناطره . قالت وركبت فرسها وذهبت الى باب بورغونيا يصحبها جم غفير من اهل المدينة ورجال الحرب وكان السيد دي غوكور قيم بيت الملك يحرس الباب المذكور وكان رجلاً حازماً عزوماً فلما أبصر الجمع المقبل صرّح بانه مأمور بان لا يدع احداً يمر فعلا اذ ذاك ضجيج الجمهور واخذوا يتهددونه ويتوعدونه بصراخ عظيم وعندها جاءت جان وامرتهم بالصمت والهدوء ثم قالت لغوكور « انت رجل سوء فاعلم ان الجند يمرون من

هنا رضيت ام أبيت» فاراد الجمع كسر الباب فمنعتهم جان وامرت رجال غوكور بفتحه للحال فاطاعوا ومرّ الجميع وعبروا النهر والشمس مشرقة وحينئذٍ اجتمع الرؤساء وائتمروا فيما بينهم بالهجوم عَلَى القلعة هجمة واحدة لانها كانت منيعة حصينة وحولها المتارس والخنادق العميقة وعَلَى قمتها المدافع المخيفة وفيها الرجال العظام من اشراف الانكليزيين وافاضلهم .

ولما قرروا ذلك وتم اتفاقهم عليه كانت الساعة العاشرة قد حانت فنفخت جان بالبوق علامة الوثوب على الاعداء وأطلقت المدافع من الجانبين وعلا الصراخ والضجيج . فوثب الفرنسيون كالاسود وفي مقدمتهم الامير دونوا احد امجاد فرنسا ودي اولون ولا هير والفارسان الشهيران كسانترايل وفلور تينوس دي ايليار وسائر قواد كارلس السابع الابطال وأحاطوا بالقلعة ولكن الانكليزيين ثبتوا غير هيّابين وقاوموا مقاومة عظيمة ببأسٍ لا يُماثل وشجاعة تُذكر اما جان فكانت تفوق الجميع ببسالتها وخبرتها في تدبير الامور وهي لا ترتعب من مدافع الاعداء ولا تهاب بأسهم وقواتهم بل تقود جنودها بجرأة لا مثيل لها مقوّية ضعيفهم ومشجعة باسلهم ناهجة للجميع سبل الانتصار محرضة اياهم عَلَى الثقة بالله قائلة « تشجعوا وتقووا وثقوا بالله فان ساعة انهزام الانكليزيين قد قربت ويكون لكم الفرج والنصر » ورغماً عن ذلك خمدت همة الفرنسيين ولم تكن الساعة الواحدة بعد الظهر حتى سقط كثيرون منهم في الخندق مصابين بجراح بليغة ومن بقي من الجند كان قد اعياهم التعب وقطعوا الرجاء من الظفر وعند ذلك نزلت جان الى الخندق واتخذت

سلماً وجعلتها عَلَى السور لتصعد عليها واذا بسهم أصابها كما كانت تنبأت ونفذ فيها بين رقبتها وكتفها فوقعت على الارض وكاد يغمى عليها من شدة الالم فوثب عليها الانكليزيون فكانت تردهم بسيفها بقوة رغماً عن وجعها وسيل دمائها وكان بالقرب منها يوحنا دي غاماش وهو الذي قاومها واهانها في ندوة الرؤساء كما سلف واغلظ لها في الكلام لكنه لما رآها على تلك الحال وثب وثبة الاسد عَلَى الانكليزيين يضرب بفأسه يمنةً ويسرةً مبـدداً شملهم ولما وصل الى جان قدم لها حصانه قائلا اقبلي هذا الحصان هديةً لك ايتها الباسلة الشهمة واسألك ان تغضي الطرف عن ذنبي الماضي وان تصفحي عن جسارتي وسوء ظني بك » فاجابته « كيف لا اصفح لك وانت فارس حسن الاخلاق كريم العنصر والجوهر ؟ »

قالت هذا ولكنها أبت الخروج من الخندق فحملوها رغماً عنها وذهبوا بها الى موضع بعيد عن ساحة القتال وارقدوها على العشب ونزعوا عنها شكتها فأتاها مرشدها والامير دونوا مع سائر الرؤساء وكانت النشابة نافذة من رقبتها بمقدار نصف ذراع . فبكت ولكن القديستين ظهرتا لها وقوتاها فمدت يدها ونزعت هي بنفسها النشابة من جرحها فسالت الدماء منها بكثرة حتى خاف الجميع فقام البعض حولها يرقونها ليقطعوا الدم بكلام السحر ففضبت عليهم وقالت لهم « اسكتوا لاني افضل الموت عَلَى مخالفة ارادة ربي » فسالها سائل يقول « هل تموتين من هذا الجرح » فاجابته « لا بد لي من الموت يوماً لكني لا اعرف اين اموت ولا كيف اموت ولا متى وفي اية ساعة اموت

فاذا امكنكم مداواة جرحي من غير خطيئة فانا ارغب في الشفاء» وبعد ان ضمدوا لها الجرح قالت لهم «ابتعدوا قليلاً» واعترفت بين يدي مرشدها الاب باسكيريل بدموع غزيرة

فما اصاب الفتاة ألقى الهلع في قلوب الفرنسيين فقطعوا كل رجاء واستسلموا الى اليأس رغماً عن تحريضها اياهم عَلَى الثبات والثقة في المستقبل فامرهم دونوا بالكف عن القتال والرجوع الى معسكرهم فنكصوا على اعقابهم خاسرين وقائلين «انها كذبت علينا وخدعتنا حين قالت لنا اننا سنفوز عَلَى الاعداء وننال الانتصار» وفيما هم راجعون واليأس ملء قلوبهم واذا بالفتاة قد شعرت بنشاط يفوق كل نشاط وبقوة لا تغلب فصاحت بدونوا وبسائر القواد قائلة «باسم الله ان دخولكم القلعة لقريب فمتى نظرتم رايتي تخفق من جهتها تسلحوا لانها تكون في حوزتكم اما الان فاستريحوا قليلاً وكلوا واشربوا حتى ترجع اليكم قواكم» قالت واسلمت رايتها الى احد الرجال ثم ركبت فرسها بخفة كأن ليس بها جرح ولا تعب وتوجهت مصحوبة بأحد الفرسان الى كرمة كانت هناك فنزلت عن فرسها وقالت للرجل «انظر الى رايتي واذا رأيتها تخفق من جهة القلعة اخبرني بسرعة» ثم ابتعدت وسجدت عَلَى ركبتيها تصلي بخشوع ودموع . فلم يمضِ الا القليل حتى صرخ الرجل «ياسيدتي ان الراية تخفق من جهة القلعة» فقامت جان لساعتها وركبت فرسها واخذت رايتها ورفعت صوتها تقول لرجالها «هيا هيا قد حان الانتصار» فهجم الفرنسيون هجمة واحدة وتسلقوا السور بسهولة عجيبة فذعر الانكليزيون

وخافوا خوفاً شديداً فالتحم القومان واشتد القتال بين الفرنسيين والانكليزيين اي اشتداد فظهر اذ ذاك في الجو ملائكة يسطعون جمالاً راكبين خيلاً بيضاً وقد احدقوا بالانكليزيين من كل صوب والملاك ميخائيل يسير امام الفرنسيين ولم يرَ هذه الرؤيا الا الانكليزيون كما اخبر اسراهم انفسهم .

فلما رأى الاورليانيون ان القتال قد اشتد ثانية بين رجالهم وبين اعدائهم ركض الضعفاء والنساء منهم الى الكنائس يرفعون الصلوات الحارة الى المنان ليوليهم الانتصار وهرع الشبان والرجال الى جسر الترنيل المهدومة احدى قناطره فجعلوا مكان تلك القنطرة المهدومة خشباً طويلاً ضخماً ووصلوا بهذه الطريقة قلعة الترنيل بمتراسها بلكروا فمر عليه نيقولاوس دي جيراسم مشحاً بيزته الرسمية وفي يمينه الفأس وفي شماله الترس وكانت اسهم الاعداء تنزل عليه كالمطر فلم يصبه ادنى ضرر فوثب على اسوار القلعة وتبعه خلق كثير من رجاله واما جان فتسلقت القلعة من الجهة الثانية ووقفت في اعلاها منصورة مظفرة وركزت هناك رايتها وصاحت قائلة « يا غلاسيداس يا غلاسيداس سلم سلاحك الى رب السماء . لقد سميتني عاهرة فاجرة واما انا فمشفقة على نفسك وعلى نفوس رجالك » فدبَّ الرعب في قلب هذا القائد المتكبر الظالم واراد الفرار مع قومه وبينما كان هو ومن معه على الجسر واذا بقنبلة سقطت عليه فزعزعت اركانه فانكسر بغتة فهبط غلاسيداس ورجاله في النهر وهلكوا شر هلكة وهكذا تمت نبوة جان اذ قالت لغلاسيداس « ان الانكليزيين راحلون عما قريب لا محالة الا انه لا يرى ذلك » كما تقدم

الكلام . فعند ذلك بكت جان على هولاء التعساء قائلة « ان نفوس هولاء لاشقياء هي الآن في مجلس الملك الديان تؤدي له الحساب عن الخطايا والمآثم والشرور التي ارتكبتها » فلم يبقَ من ٥٠٠ فارس وجندي كانوا مع غلاسيداس في قلعة الجسر وهم من اشراف الجنود الانكليزيين واكابر الرجال الفرنسيين الذين خانوا بلادهم سوى ٢٠٠ اسير لا غير .

مات غلاسيداس البطل الصنديد وكان قد تحامل عَلَى الفتاة جان دارك مقبحاً عليها سيرتها متطاولاً عليها بالسب والشتيمة ومتهدداً بقتل الجميع من رجال ونساء واطفال بعد استيلائه عَلَى المدينة فما كانت جان قد تنبأت به في الصباح تمَّ بالحرف في المساء . اجل انها مجروحة ولكنها ظافرة منصورة وها هي تمر الان على الجسر المكسور مصحوبة بدونوا رفيقها الشهم الباسل وبخلق لا يحصى ولا يعد وهم يحيونها باصوات الفرح رافعين اسمها مثنين على بسالتها جاءت فقرعت الاجراس في جميع الكنائس واضيئت انوار الفرح في كل جهات المدينة إيذاناً بالنصر التام واشعاراً بظفر جنود الملك والفتاة الباهر فقصدت مع شعبها الكنيسة لتؤدي مفترض الشكر لله ولقديسيه ورتلت الكهنة ترنيمة الشكر للعزة الالهية . اما الانكليزيون فكانوا في حزن لا مزيد عليه لانهم خسروا اتعابهم ورجالهم وشرفهم ولم يعد لهم من خلاص من ايدي الفرنسيين واما جان فكانت منذ الصباح حتى المساء لابسة شكتها الثقيلة ولم تذق طعاماً ولا شراباً ومع ذلك ابلت بلاءً حسناً ونالت الظفر التام الا انها لما اقبل الليل لجأت الى الراحة واخذت قليلاً من الخبز والخمر الممزوجة بكثير من الماء

الفصل السادس

في انصراف الانكليزيين من اورليان

دعوا الانكليزيين يذهبون ولا تنزلوا
بهم ضرراً لانهم منصرفون وهذا
بكفينا (كلماتها)

فلما نشر الليل ستاره الحالك اجتمع رؤساء الانكليزيين وتشاوروا في امرهم كئيبين كاسفين فعزموا على رفع الحصار والانصراف من مدينة اورليان قبل الفجر وكان اليوم يوم الاحد في ٧ ايار الواقع فيه عيد ظهور الملاك ميخائيل على جبل غرغان في بلاد صقلية فخرجوا من متارسهم وانقسموا الى فئتين واصطفوا امام الاسوار التي كانوا قد ابتنوها فظن الفرسان الفرنسيون انهم يريدون استئناف القتال والكرة عليهم فركضوا الى خارج الاسوار فلحقتهم جان وصفت الجند تأهباً للقتال وكانت لابسة في ذلك اليوم درعاً لان الشكة كانت تزعجها بسبب الجرح الذي اصابها الا انها نهتهم عن معاركة الاعداء او مبادأتهم بالشر او الاعتداء عليهم اجلالاً ليوم الرب وقالت لهم : « هذه مشيئة الرب ان نخلي سبيل الانكليزيين ان شاءوا الانصراف لكن ان وثبوا علينا نحاربهم وندافع عن ذواتنا بكل قوانا ولا خوف علينا لانهم سيقعون في ايدينا » ثم امرت بان ينصب مذبح في البرية فجثت هي والجند واهل اورليان امامه وحضروا قداسين بكل خشوع واخبات على مرأى من الاعداء الذين كانوا واجمين كان على رؤوسهم الطير لشدة خوفهم . ولما

انتهى القداس الثاني سألت جان وهي ساجدة اذا كان الاعداء يديرون وجوههم نحو الفرنسيين فقيل لها انهم ملتفتون نحو قرية مونغ فقالت : « باسم ربي انهم منصرفون فخلوا سبيلهم وتعالوا نسدي الشكر لله ولا تسيروا في اثرهم تعظيماً ليوم الرب »

انصرف الانكليزيون من اورليان خاسرين خائبين ولم يرد الفرنسيون ان يسيئوا العمل اليهم اطاعة لامر جان الا ان بعضهم جدّ في اثرهم وخطف منهم بعض الاسلحة فصاحت بهم جان قائلة : « دعوا الانكليزيين يذهبون ولا تنزلوا بهم ضرراً لانهم منصرفون وهذا يكفينا » وهكذا قفل الانكليزيون الى بلادهم بعد ان خسروا نحو ٦٠٠٠ او ٨٠٠٠ رجل فاستولى الفرنسيون على ذخائرهم الكثيرة ومدافعهم الضخمة ومتارسهم العديدة فاحرقوها وادخلوها في خبر كان . ثم عادت الفتاة الباسلة مع الرؤساء والفرسان والقواد الى المدينة وشكروا الله مع الكهنة واهل المدينة على آلائه واحسانه اليهم فخطب الخطباء ورُفعت الصلوات الحارة وأُنشدت تسابيح الشكر للعلي وأُقيم تطواف حافل في الشوارع وعلى اسوار المدينة بكل ورع واخبات وفي الختام أُقيمت الذبيحة الالهية باحتفال عظيم عن نية الذين سقطوا في ساحة القتال ايام الحصار وكان ذلك في ٨ ايار سنة ١٤٢٩ فاتخذ اهل اورليان ذلك اليوم عيداً يحتفلون به كل سنة حتى يومنا هذا تذكاراً لخلاص اورليان بمدة سبعة ايام بواسطة فتاة لاتبلغ من عمرها غير الثامنة عشرة من حصار هائل ضيق به عليها الانكليزيون مدة سبعة اشهر على حين كان كل امل بالخلاص مفقوداً فسبحان من يختار

الضعفاء ليخزي الاقوياء ان له في خلقه آيات بينات وليس له في حكمه شريك

هذا ما شهد به اهل اورليان وكل الروساء والفرسان الذين حاربوا مع جان معترفين ان خلاصهم كان اعجوبة من الله بواسطة تلك الفتاة النادرة المثال كما اثبت ذلك البطل دونوا تحت الايمان المغلظة وكما اقر دولون سلاحدارها الامين مؤيداً كلامه بالقسم اذ قال « تخلصت مدينة اورليان من ايدي اعدائها وانصرف الانكليزيون خائبين خاسرين وذلك بعون سيدنا يسوع المسيح وذراع البكر جان »

الفصل السابع

في رجوعها الى الملك وتحريضها له على الذهاب الى ريمس

ايها الامير الشريف اعدل عن التردد وعقد
المفاوضات الطويلة وهلم مسرعاً الى ريمس
ليوضع على راسك التاج الذي تستحقه
« كلمتها للملك »

ولما كان الغد اي يوم الاثنين انفرط عقد الرؤساء والفرسان ورجع كل الى شأنه واستعدت جان للسفر الى مدينة لوش حيث كان الملك مقيماً فخرجت من المدينة بصحبة المشير دي رايس وكثيرين من الفرسان والسلاحدارية لتذهب الى الملك وتبشره بحسن المآل وتقنعه بالذهاب الى ريمس ليمسح ملكاً حسب ارادة الرب لانها كانت عارفة بقصر زمان مبعثها

وبان وقتها قد قرب · فتقاطر اهالي اورليان افواجاً افواجاً حولها يبثونها شكرهم الحميم عَلَى ما اتته في سبيل خلاصهم وراحتهم فشيعوها بالدموع السخينة وودعوها بالصراخ والعويل

ابتعدت جان عن اورليان واستصحبت معها القلوب كيف لا وقد رأى منها سكان تلك المدينة ما يعدّ اكبر العجوبة اجراها الله بواسطة عبيده من آلام سيدنا يسوع المسيح حتى اليوم كما قال احد المعاصرين العلماء ولذلك حق لاورليان ان تبكي على فراق منقذتها دماً لا دمعاً وان تحفظ لها ذكراً مخلداً وسيحفظ لها التاريخ لقب « فتاة اورليان » ابد الدهر

وكان خبر انتصار جان قد ملأ البلاد فانطلقت الالسنة بالشكر لله والثناء عَلَى الفتاة التي ارسلها لاتمام مقاصد رحمته العظيمة نحو مملكة فرنسا فبلغ الخبر اذني الملك كارلس السابع فسرّ واي سرور وأمر باقامة الصلوات الحارة والاحتفالات الدينية الباهرة شكراً لله على نعمه الغزيرة اخصها ارساله تلك الفتاة القديسة التي كانت له ولبلاده عوناً لا يُغلب وعضداً لا يُقاوم فكان لصوته صدى في كل المملكة ولا سيما في ناربونه وكركسون وبرينيول وشاتودون وتورنه الخ · وكان الجميع يتحدثون عن امر جان وهم لا يعرفون الى اية قوة ينسبون عملها هذا الغريب أالى قوة روح الله ام الى قوة روح الشيطان الا ان الكنيسة لم تدع العقول زمناً طويلاً في تلك الحيرة وذلك التردد والارتياب بل اقشعت الحجاب عن البصائر واعلنت بسلطانها المعصوم عن الزلل انه بعد الفحص الدقيق الذي اجراه الملك والاحبار والكهنة

والعلماء واللاهوتيون والفلاسفة عن امر جان في مدينة بواتيه كما تقدم الكلام وبعد نظر ما أتته من الاعمال الخطيرة والانتصار الباهر الذي نالته يجب القول والاعتقاد الراسخ ان هذه الفتاة العجيبة مرسلة من الله لا محالة . هذا ما اثبته اثنان من اكابر العلماء المشهورين في التاريخ الكنسي اولهما يوحنا جرسون اللاهوتي الذائع الصيت ومدير كلية باريس الخالد الذكر ومعتمد الملوك والبابوات الفريد المثال وخطيب عصره المقطوع النظير فهذا الرجل نشر في تلك الآونة كتاباً مطولاً أبان فيه ان « جان مرسلة من قبل الله » وثانيهما يعقوب جالو رئيس اساقفة امبرون ومرشد ضمير الملك فهذا العالم الجليل والرجل الممتاز بصفاته وفضله اذاع كتاباً آخر اثبت فيه بفصاحة وبالبراهين الدامغة القاطعة ان بعثة جان الهية لايمكن الشك بها

فكان وصول جان الى مدينة لوش موافقاً لوصول دونوا اليها فتسارع الملك والاشراف والاعيان لحسن استقبالها والحفاوة بها . اما هي فالحت على كارلس السابع بالذهاب الى ريمس ليمسح ملكاً فاجابها الملك انه لا يستطيع ذلك دون استشارة وزرائه ورجاله فانطرحت الفتاة على قدميه قائلة باتضاع: « يا ولي العهد الشريف هلمَّ الى ريمس لتمسح ملكاً ولا تتأخر لان مدتي قصيرة جداً وانا متضايقة من جرى ذلك فيجب اذن التعجيل في الامر لئلا تفوت الفرصة » فقال لها الاعيان ان الرحيل الى ريمس لخطر جداً لبعدها عن لوش ولكثرة الاعداء في الطريق فضلاً عن انه يجب عبور ثلاثة انهار كبيرة غزيرة المياه وان الاوفق ان يبتدأ اولاً بالاستيلاء على المدن القريبة

فكانت جان مصرة عَلَى رأيها قائلة : « ان الذهاب الى ريمس لامر يريده الله وان كارلس متى وُضع التاج عَلَى رأسه ومُسح بالزيت المقدس يزداد قوة وانتصاراً عَلَى اعدائه وان لا خطر عليه ولا عليها في المسير الى ريمس » ورغماً عن كل ذلك بقي الجميع مصرين على رفض قولها فحدث يوماً ان كان الملك مختلياً بمرشده اسقف كاستر في قاعة منفردة فدخلت عليه جان وسجدت بين يديه وقبلت ركبتيه وقالت له : « ايها الامير الشريف اعدل عن التردد وعقد المفاوضات الطويلة وهلمَّ مسرعاً الى ريمس ليوضع عَلَى رأسك التاج الذي تستحقه » فسألها الاسقف اذا كان هذا القول قد سمعته من قديستيها فاجابته بالايجاب فقال لها الاسقف حينئذٍ : « هل لكِ ان توضحي لنا امام الملك كيفية محادثتهما اياكِ حين تخاطبانك » فاجابته جان « قد فهمت ما تحب معرفته مني فانا مطيعة لما انت آمر به » فقال لها الملك « هاتي يا جان بما عندك وانبئينا لمام هؤلاء الاسياد عما تطلبه منك القديستان ؟ » فاجابته « سمعاً وطاعةً يا سيدي » ثم اضافت « اني عند ما أرى عدم اعتقاد الناس كلامي وقلة ثقتهم بي اطلب الانفراد ضارعة الى الله شاكية امري اليه سائلة اياه تعالى عن سبب عدم تصديق الناس لقولي فاسمع حينئذٍ صوتاً يقول لي : يا ابنة الله اذهبي اذهبي اذهبي اني ساعضدك : وحين اسمع هذا الصوت اشعر بفرح لا مزيد عليه ويحوقني سرور عظيم وابتهاج لا يوصف فاتمنى ان ابقى عَلَى هذه الحال حياتي كلها » وكان وجه جان عند تفوهها بهذا الكلام مشرقاً يتدفق بشراً واينساساً وكانت ترفع الحاظها الى السماء كانها تكلم ارواحاً سماوية . فاندهل

لحضور ورأى الملك ان لا بد من اتباع رأيها بشرط ان تفتتح اولاً المعاقل والحصون التي في ايدي الانكليزيين حول مدينة اورليان وامر باعداد الجيش واستئناف الحرب تحت قيادة الفتاة الباسلة . فاستعد الرجال للرحيل وكان حب جان قد استأسر قلوب الجميع فكانوا يبالغون في اكرامها فمنهم من كانوا يركعون امامها ومنهم من يقبلون طرف ثوبها او حوافر فرسها ومنهم من يلتمسون رؤية يديها ورجليها ليتحققوا انها من بنات آدم فكان ذلك يشق عليها جداً غير انها لم تستطع رد الناس عنها لئلا تكدرهم فلامها بطرس دي فرسايل يوماً على ذلك فاجابته « في الحقيقة لا اعرف كيف امنع الناس عن ذلك اذا لم يمنعهم الله نفسه » قالت هذا وهي غير عارفة بالكاس الطافحة مرارة المعدة لها من الله جاهلة ان تلك الافواه التي كانت تتسارع الى لثم حوافر فرسها ستشعل يوماً النار المتأججة لالتهام جسدها

وفي تلك الاثناء اتاها احد اخوتها مخبراً اياها بان الناس يقولون عنها انها نالت قواها ووحاها تحت شجرة الجنيات فاجابته بان الناس لضالون في زعمهم وبانها ترذل من كل قلبها كل عمل سحري يضاد ارادة المولى

وبعد ان اتم الملك معدات الرحيل أمر الدوق دي الانسون على الجيش تحت قيادة الفتاة فسرت جان بذلك غير ان الدوقة امرأة دي الانسون أبت الا ان يبقى زوجها بالقرب منها لان الانكليزيين كانوا قد استأسروه وحبسوه في انكلترة مدة طويلة وكان قد رجع الى بيته من مدة وجيزة بعد ان افتدى نفسه بالمال الكثير فضلاً عن انهم كانوا قد قتلوا اباه في واقعة ازانكورت

فقالت لها جان : « لا تخافي ايتها السيدة الشريفة لاني سارده اليك حياً سالماً بل على احسن حال » فوثقت الاميرة بكلامها ورضيت بسفر زوجها فقامت جان بوعدها حق القيام كما سنرى وتنبأت بخروج الدوق دي اورليان من سجنه رغماً عن وصية هنريكوس الخامس ملك الانكليزيين لاخوته قبل وفاته في عدم اخراجه منه طول الحياة طالبة الى الملك كارلس ان يسمح لها باخذ اسرى من الاعداء ليكونوا عند الحاجة فدية عن الدوق دي اورليان المذكور ففعل

الفصل الثامن

في اخذ جارجو وانتصار باتاي الباهر

قاتلوهم باسم ربي فاننا سندركهم ولو كانوا في السحاب
لان الله ارسلنا لنضربهم وسيكون اليوم لملكنا النبيل
ظفر لم يكن له مثيل من قبل فان القديستين قالتا لي
ان الله اسلمهم جميعهم الينا (كلماتها لرجالها)

ولما وصلت جان الى المكان المجتمع فيه الجيش الفرنسي وقع اختلاف عظيم بين القواد فكان منهم من يريد الهجوم على مدينة جارجو ومنهم من يرفض ذلك زاعمين انه لاسبيل لهم الى مقاتلة الكونت دي سوفولك الذي فضلاً عن كونه من افضل رجال الحرب في تلك الايام كان محاصراً تلك المدينة المنيعة مع نخبة من الفرسان الابطال المشهورين بخبرتهم وبطشهم فلما سمعت جان ذلك هتفت قائلة : « لا يهولنكم عدد الرجال ولا يعوقنكم عائق

عن الوثوب على هؤلاء الانكليزيين لان الله قائدكم فلو لم اكن متأكدة ذلك كل التأكيد لكنت افضل رعاية غنمي على تجشم الاهوال والمضادات والمخاطر »

فلما سمع القوم هذا الكلام دبّت الحماسة في قلوبهم وانتعشت في ارواحهم الثقة العمياء ببعثة جان فوثبوا كرجل واحد على مدينة جارجو وكان عددهم نحو ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ رجل وعند بلوغهم اليها وهم يظنون انه يسهل عليهم الاستيلاء عَلَى ارباضها وجدوا الامير سوفولك ينتظرهم بجنوده بالقرب من الاسوار فالتحم حينئذٍ الفريقان وكاد الانكليزيون ينالون الظفر لو لم تتقدم جان وتخطف العلم الفرنسي من يد حامله وتثب كاللبوءة عَلَى اعداء امتها وبلادها مشتتة شملهم اي تشتيت ببأس لايهاب الموت فلما عاين الفرسان الفرنسيون ماصنعت هبوا وراءها هبوب الريح وضربوا في الانكليز بين ضرب الابطال فبددوهم وهزموهم فانحازوا الى المدينة وباتوا هنالك

وحين اضاء الصباح بنوره امرت الفتاة باطلاق المدافع عَلَى اسوار المدينة وابراجها فسقطت جميعها في ظرف اربع ساعات من الزمان حتى انذهل الجميع من خبرة جان باطلاق المدافع ومما هو اعجب من ذلك ان الدوق دي الانسون كان واقفاً يتأمل من اين يستطاع الدخول الى المدينة واذا بجان تصرخ به عَلَى الفور قائلة : « تنحَّ قليلاً والا ضربك المنجنيق من فوق وقتلك » ولم يكد الامير يتنحى حتى اطلق المنجنيق كلةً نزلت في المكان الذي تنحى عنه فاطارت راس رجل شريف كان هناك فاندهش دي الانسون من الامر وحفظ له ذكراً لا يمحى

وفي تلك الاثناء ذاع خبر ان فلاستوف الذي نال انتصاراً باهراً في واقعة روفراي آتٍ لنجدة الانكليزيين ورفع الحصار عن المدينة فاخذت جان تنشط رجالها وتحيي فيهم امل الفوز والغلبة مبينة لهم كم ان الانهزام والرجوع الى الوراء يجلب عليهم الشقاء والعار فازداد نشاطهم في القتال وأتوا اعمالاً تشكر . ولما كان اليوم الثالث ضاقت ابواب الحيل على سوفولك فالتمس هدنة تدوم اسبوعين فاجابته جان : « فليذهب الانكليزيون سالمين فنحن نخلي سبيلهم ان خرجوا من المدينة طوعاً والا فتحناها عنوة وقبضنا عليهم » قالت ونفخت بالابواق ولبست خوذتها وصاحت بالدوق دي الانسون صارخة « الوثوب ايها الدوق الشريف » لكنه توقف متردداً فقالت له : « لا تشك في الامر فقد اتت الساعة التي عينها الله فلا بد للانسان من العمل متى اراد الله وكان له فيه نصيراً » فبقي الامير متردداً ايضاً فقالت له بقوة : « أأنت واجل ايها الامير الشريف ألا تعلم اني وعدت امرأتك باني ساردك اليها سالما معافى ؟ » وعند ذلك هجمت بلا خوف على الانكليزيين واشتد القتال بين القومين مدة اربع ساعات ابان الانكليزيون فيها بسالة وبطشاً فنزلت جان ورايتها في يدها الى خندق القلعة ثم صعدت على سلم كانت هناك الى حيث كان العراك شديداً فرماها احد الأعداء بحجر ضخم فاصاب رايتها فانكسرت على خوذتها فسقطت جان على الارض فصاح الانكليزيون من اعلى القلعة فرحاً وصرخ الفرنسويون في الخندق هولاً ورعبةً اما جان فاستوت هاتفة نحو رجالها : « الهجوم يا اصحابي الهجوم يا اصحابي قووا قلوبكم فان الله

قد قضى على الانكليزيين وحان ظفرنا بهم » فوثب الفرنسيون كالاسود وتسلقوا السور ودخلوا القلعة وفتحوا مدينة جارجو المنيعة وذلك بعد ٢٧ يوماً من اخذ اورليان فقتل في ذلك اليوم الف ومائة انكليزي وقبض على سوفولك نفسه الا ان هذا البطل الصنديد ابى ان يقع الا بين يدين شريفتين فدعا احد الرجال الفرنسيين ووضع عليه سيفه وجعله شريفاً ثم سلم ذاته اليه فشمل السرور قلوب الفرنسيين حتى سكروا من خمرته فاخذوا يفتكون بالانكليزيين فتكاً ذريعاً فاضطرت جان بالاتفاق مع الدوق دي الانسون الى اخذ سوفولك مع كثيرين من الاشراف الانكليزيين بحراً الى اورليان لتخلصهم من سيف الفاتكين.

وكان الدوق دي بدفورد في باريس في قلق عظيم من جرى الحرب وكان يريد معرفة نتيجتها فكان ينفذ الرسالة بعد الاخرى الى انكلترة حيث كان الانقسام قد ساد بين كبار المملكة. ففي احدى رسالاته المحفوظة الى اليوم في لوندرة نرى ما يأتي:

كل اعمالكم كانت مكللة بالنجاح حتى حصار اورليان الذي باشرتم به بايعاز من يعلمه الله لكن بعد حادثة نسيبي سالسبوري رحمه الله المكدرة انكسرت رجالكم العديدون المجتمعون في ذلك الحصار بسماح خاص من الله كما نظن وكان سبب كسرتهم ظهور ابنة مرشدة من الروح الخبيث تدعى الفتاة كانت تخدع الناس بسحرها وخزعبلاتها واعتقاد الناس بعثتها. فكانت نتيجة تلك الكسرة وخيمة جداً على جنودكم اذ استهلكت كثيرين منهم في هذه البلاد والقت القنوط والفشل في قلوب الباقين فتقوى الاعداء ونشطوا الى مقاتلتهم بعد ان ضموا قوامهم فالتفوا حولهم كالافعى وفعلوا فيهم فعال الابطال الاشداء.

أجل كان يحق للدوق دي بدفورد ان يقلق ويضطرب لان رجاله كادت تتلاشى بيد ان عدد المقاتلين تحت راية جان كان ينمو يوماً فيوماً حتى بلغ ٦٠٠٠ او ٧٠٠٠ فارس من نخبة الرجال ومن ثم زحفت بهم الفتاة العجيبة الى جسر مونغ فاستولت عليه ودخلت بوجانسي حيث كان تالبوت لكنه نزح عنها لينضم الى فلاستوف بالقرب من جانفيل ولما كانت القلعة منيعة اخذت جان تضربها بقوة عظيمة وفي تلك الاثناء اقبل الدوق ارتور دي ريشمونت امير جيوش فرنسا السابق في مقدمة عدد غفير من الامراء والاشراف و ١٢٠٠ راجل و ٨٠٠ فارس فارسل يسأل الدوق دي الانسون ان يأذن له في ضم رجاله الى جيش الملك فاحتارت الفتاة والقواد في الجواب على هذا السوال لانهم من جهة كانوا يرون المنفعة الكبرى المتأتية من هذا المدد العظيم ومن جهة اخرى كانوا يعرفون ان ارتور المذكور كان بينه وبين اكبر رجال كارلس السابع عداوة لدآء وكان الملك قد غضب عليه لكبريائه وحتم عليه بان يلزم بيته واراضيه متهدداً اياه باستعمال القوة ضده ان خالف اوامره فلم يعبأ الدوق ارتور بذلك بل ادعى ان ما يأتيه آئل الى خير الملك والملكة وانه يستهزئ بكل قوة مضادة وبناء على ذلك أتى برجاله قريباً من بوجانسي طالباً محاربة الانكليزيين تحت راية الملك فوقع اختلاف كبير بين القواد من جرى ذلك فالبعض ارادوا اتباع اوامر الملك والاخرون ارتأوا قبول ارتور ورجاله بينهم . ولما اخذ الشقاق حده قام الدوق دي الانسون متهدداً بانه يترك الجيش ان اجابوا الى طلب

ارتور وهكذا فعلت جان فتصدى لها الفريق الاخر حانقاً ومتهدداً وفيما هم على هـذا الحال ورد خبر قدوم جيش كثيف من الانكليزيين تحت قيادة تالبوت ولم يلبثوا ان سمعوا صراخ الحرب من كل جهة وكان ارتور يتقدم رويداً رويداً فالتفتت جان الى الدوق دي الانسون وقالت له : « لا بد من قبول مدد ارتور » لكنها لم تقبله ورجاله معها الا بعد ان أقسم بين يديها وامام رجالها بانه يكون مخلصاً للملك في اعماله واقواله ثم امرت رجاله بان يقسموا ايضاً بين يديها بانهم يحفظون هذا الشرط اذا كان ارتور لا يحفظه

ولما كان الغد اصطفت الجيوش للحرب وكان جيش الاعداء قد قرب من ذلك المكان فسأل الدوق دي الانسون الفتاة عما يجب عمله فرفعت صوتها لكي يسمع الجميع كلامها وقالت : « وهل في ارجلكم مهاميز جيدة ؟ » فهتفوا جميعاً قائلين « وهل نحن منهزمون امام الاعداء ؟ » قالت : « كلا لستم انتم المنهزمين بل انما هم الانكليزيون لانهم سيولون الادبار من دون ان يحاربوكم ويخلفون بينكم الظفر التام ولذا انتم محتاجون الى مهاميز جيدة لتتأثروهم » ثم تنبأت بانه في هذا القتال لاتراق نقطة دم واحدة من رجال الملك فتمت النبوة بالحرف كما اثبت ذلك فيما بعد في المحكمة الفارس تيبوت دي ارمانياك الذي كان سامعاً ومعايناً لما جرى

وكان ان اقبل القواد الانكليزيون تالبوت وسكالس وفلاستوف وساروا نحو الفرنسيين في عسكرهم الجرار على غاية ما يرام من النظام فصاحت جان بمن معها قائلة : « انزلوا اليهم واضربوهم برباط جأش فانهم لا يلبثون ان يهربوا

من امامكم » ولكن قبل ان يتمكن الفرنسيون من الهجوم اسرع الانكليزيون الى جاثيل من وراء اسوار مونغ حيث وجدوا من انضم اليهم من الفرسان اما الفرنسيون فلزموا مكانهم مترددين خوفاً من الانكسار فنادتهم جان قائلة : « انقضوا عَلَى الانكليزيين لانهم لا محالة منكسرون » فقال لها البعض «ان في ذلك خطراً عظيماً علينا» فاجابتهم « سيروا بشجاعة اليهم لان الله قائدكم » ثم رفعت صوتها وقالت بحماسة : « قاتلوهم باسم ربي فاننا سندركهم ولو كانوا في السحاب لان الله ارسلنا لنضربهم وسيكون اليوم لملكنا النبيل ظفر لم يكن له مثيل من قبل فان القديستين قاتنا لي ان الله اسلمهم جميعهم الينا » فما سمعوا هذه الكلمات حتى اندفعوا كالسيل في طلب الاعداء وكان في مقدمتهم الفرسان الاشداء الاكثر خبرة بامور الحرب وعددهم لا يقل عن ١٥٠٠ فارس وفي اول الجميع لاهير الشجاع . فسار اولاً ٦٠ او ٨٠ الاشد بأساً منهم ليفحصوا عن مكان الاعداء الذين كانوا غابوا عن انظارهم فلم يدروا اين ذهبوا لان الانكليزيين لما رأوا الحالة حرجة عليهم فرُّوا مسرعين نحو مكان يدعى باتاي فتاه الفرنسيون في غابة كثيفة ولما لم ينظروا للانكليزيين أثراً شملهم الخوف واستولى عليهم الفشل وبينما هم على هذه الحال من الحيرة والقنوط واذا بأيل خرج من دغلة كانت هناك وبدأ يقفز متوجهاً نحو الشمال فرآه الانكليزيون واخذوا يستصرخون لصيده فسمع الفرنسيون صراخهم فعلموا انهم ليسوا ببعيدين من هناك فوثبوا عليهم وكانوا قد وصلوا الى باتاي عدا فضيق عليهم لاهير البطل الصنديد مع فرسانه اي تضييق

فدحروهم ومزقوا شملهم وهزموهم شر هزيمة وقتلوا منهم نحواً من ٢٠٠٠ او ٣٠٠٠ رجل وقبضوا عَلَى قوادهم وكان فيهم تالبوت وسكالس اما فلاستوف فأفلت لسرعة جواده فلم يستطع احد ان يلحق به فكان للفرنسيين انتصار باهر ويوم فرح جزيل وللانكليزيين انكسار تام ويوم بؤس اليم ودعيت تلك الواقعة واقعة باتاي نسبةً الى القرية التي هناك

وحدث بعد الغلبة ان التفت الدوق دي الانسون الى تالبوت وقال له : « هل كنت تنتظر هذا في الصباح ؟ » فاجابه ذاك : « هذا هو شأن كل حرب » فأبان له الدوق دي الانسون ولسوفولك النبوءات التي كانت تنبىء عن خلاص فرنسا بواسطة عذراء .

ولما كانت الساعة الثانية بعد الظهر اجتمع القواد في ساحة القتال وشكروا الله عَلَى مساعدته اياهم وعونه لقائدتهم التي انالتهم هذا الظفر المجيد . اما جان فكانت تنظر الى القتلى المطروحين على الارض مخضبين بدمائهم بعين الحزن ذارفة دموع الاسف عَلَى موت اخوانها العديدين المنكودي الحظ الذين ذهبوا ضحية الحرب . وكانت تعامل المأسورين منهم بكل شفقة ومحبة ولطف وبينما كانت تسرح ابصارها في تلك الناحية رأت جندياً شرس الاخلاق يضرب احد الاسرى عَلَى ام راسه ضرباً عنيفاً حتى سقط على الارض مغشياً عليه فركضت اليه ونزلت عن فرسها واخذته بين ذراعيها وضمته الى صدرها بحب ولما تحققت انه عَلَى آخر رمق من الحياة حرضته بدموع عَلَى التوبة الصادقة واخذت تعزيه بكلام كله عذوبة وحنان وجعلت راسه عَلَى

ذراعها بينما كان كاهن الله يلقي في نفسه السلام الحقيقي مفعول الحلة السرية مسمعاً اياه كلمات الصفح والغفران واعداً اياه بالملكوت السماوي حيث لا بكاء ولا عذاب بل راحة دائمة وفرح لايشوبه كدر .

الفصل التاسع

في مسيرها مع الملك الى ريمس وافتتاحها مدينة تروا

لا تمضي ثلثة ايام حتى ادخل بك مدينة
تروا كرهاً او طوعاً (كلماتها للملك)

فلما رأى الانكليز بون واتباعهم في فرنسا ما حاق بهم من الذل والعار وقعوا في حيرة عظيمة وعندما وصل خبر انهزامهم وكسرتهم الى مجلس باريس بكى الجميع بكاء مرًّا على حالتهم التعيسة فقام جميع الاشراف الموجودين في تلك المدينة وبدأوا يستعدون لمحاربة احزاب ارمانياك الذين كانوا يظنونهم بالقرب من المدينة آتين للفتك بهم ثم احدثوا ترتيباً جديداً ونظاماً موافقاً للسهر مدة الليل والنهار لئلا يقعوا في ايدي اعدائهم ويخسروا عاصمة المملكة وجعل الدوق دي بدفورد يتخذ كل الوسائل لمقاومة كارلس السابع فارسل وفداً الى الدوق دي بورغونيا يستدعيه الى باريس ليمده بنصائحه فجاء فأجل وفادته وبالغ في اكرامه طالباً اليه ان يساعده على النجاة من الخطر العظيم الذي يتهددهم ثم دعا الاعيان والاشراف الى ساحة القصر وهناك قام بينهم خطيباً مذكراً اياهم بمقتل يوحنا سان بور على جسر مونترو كما تقدم القول وقام بعده ابن القتيل المذكور واخذ يندب حظ ابيه التعيس بكلام يفتت

الاكباد فكل ذلك احيا البغضة المتأصلة في قلوب الباريسيين واحزاب بورغونيا ضد ملكهم الشرعي وحرك فيهم رغبة الانتقام العاجل فرفعوا ايديهم الى السماء واقسموا يمين الطاعة والاخلاص للحاكم الانكليزي وللدوق فيليب دي بورغونيا واقسم ذوو الحكم والامر اليمين انهم سيدافعون عن مدينة باريس ضد اعدائها بكل قواهم واخيراً انفذ الدوق دي بدفورد رسالة الى ديوان الملك في انكلترة ملحاً عليه بارسال المدد الكافي فلم يكن من الديوان المذكور الا ان يشتروا بالمال جيش الصليبيين الذين كانوا قد تألفوا لمحاربة تعاليم اشياع يوحنا حوس (١) فامالوهم عن غايتهم الى محاربة فرنسا فكان ذلك عملاً معيباً على مملكة انكلترة

وبينما كان الانكليزيون يتدبرون امرهم كانت جان مجدة في اتمام عملها فذهبت الى سولي حيث كان الملك مقيماً وهو غير مبالٍ بما يجري وكان اعوانه قد منعوه عن مصالحة ارتور وعن قبول عون الكونت دي لامارش الذي كان قد اتى مع رجاله لمساعدته ثم عاد فصفح عن ارتور حباً بالفتاة لكنه رفض بتاتاً المدد الذي كان آتياً به اليه. فلما وصلت جان الى الملك الحت عليه بالذهاب الى ريمس في العاجل القريب وكانت تهيء كل شيء للرحيل وتعجل قدوم الجنود وتذهب الى ملاقاتهم وتزودهم للسفر وقصارى الكلام

---

(١) ولد في بوهيميا واعتنق مذهب ويكلف القائل بعدم الاستحالة الجوهرية في القربان الاقدس فحرمه البابا اسكندر الخامس واحرق حياً بالنار بامر مجمع قونستنس سنة ١٤١٥ وتلاشي حزبه سنة ١٤٧١

كانت لا تألو جهداً في تسهيل كل شيء للذهاب الى ريمس ومسح الملك انجازاً لامر الله واتماماً للمهمة التي تلقتها من السماء . اما كارلس فكان متباطئاً في امر السفر لان اعوانه كانوا قد اشاروا عليه بعدم الاصغاء الى كلام الفتاة ولذا كان يؤجل الرحيل من يوم الى آخر الى ان شاهدها ذات مرة وقد اخذ منها التعب كل مأخذ فرقّ لحالها قائلاً : « يا جان ما لي اراكِ مهزولة اريحي جسمك قليلاً » فلما سمعت هذا الكلام بكت بكاءً مرًّا وقالت للملك « لا تشكّ في امرك فانك ستملك بلاد فرنسا وسيوضع على رأسك التاج الملكي » ثم اردفت ذلك بقولها له « وسيتبعك قوم كثيرون فما عليك الا ان تشجع قلبك » والتفتت الى من معها وقالت لهم : « حاربوا بشجاعة لانكم ستنتصرون » وعندها تلفظ احد الاشراف بكلمة تجديف على الله فتقدمت اليه جان وقالت له بغضب مقدس « أتتجاسر على التجديف على اسم الهنا وسيدنا فانا احتم عليك بان ترذل في هذه الساعة ماتلفظت به مكفراً عن ذنبك » فاعتبر الرجل متعظاً بهذا الكلام وتاب الى ربه نادماً

وكان ان اجتمع قواد الحرب في مكان يدعى جيان لينظروا في الامر فقرروا انه لا بد من افتتاح بعض المدن التي في حوزة الانكليزيين قبل تتويج الملك فتكدرت جان من ذلك وافرغت وسعها في ترجيعهم عن هذا الرأي وتأجيل انفاذه الى مابعد حفلة التتويج . فتمّ الرأي اذن في السفر وكان كل شيء مهيأ بادق ترتيب وابلغ نظام وكان الاشراف والاعيان والرجال قد تراكضوا من كل ناحية للانضمام الى رجال جان والسير تحت رايتها الى ريمس

ليحضروا حفلة التتويج فأنفـذت في ٢٥ حزيران الكتاب الآتي الى سكان مدينة تورني وهو :

+ يسوع ومريم +

يا اشراف الفرنسيس الامناء في مدينة تورني ان الفتاة تنبئكم عما جرى من الحوادث في هذه الجهات فانها في خلال ثمانيـة ايام قد طردت الانكليز بين من جميع المدن التي في نهر اللوار تسلقاً لجدرانها او بغير واسطة فقتل وجرح منهم كثيرون وكسروا كسرة عظيمة واعلموا حق العلم ان الكونت دي سوفولك ولابول وشقيقه والسير دي تالبوت والسير دي سكالس وجان فلاستوف وكثيرين من الفرسان والقواد قـد أُسروا وقُتل شقيق الكونت دي سوفولك وغلاسيداس . فاستحلفكم ان تثبتوا مخلصين لملك كما كنتم واسألكم ان تكونوا جميعكم مستعدين للمجيء الى حفلة مسح الملك كارلس المحبوب بالزيت المقدس في ريمس حيث نصل قريباً فتعالوا الى ملاقاتنا حين يبلغكم وصولنا الى تلك المدينة . واني استودعكم الله فليكلأكم بحراسته ويبقيكم نعمة المقدرة على الدفاع عن مملكة فرنسا وضمان بقائها

كتب في جيان في ٢٥ حزيران

وكتبت على عنوان الكتاب هكذا : الى فرنسيي مدينة تورني المخلصين الامناء

ثم كتبت رسالة اخرى وجهتها الى الدوق فيليب لابون دوق بورغونيا وفيها تدعوه الى الحضور الى ريمس ليوقع على عقد الصلح بينه وبين الملك كارلس سيده

ولما كان نهار الاربعاء في ٢٧ حزيران سبقت جان بقية الجيش وسارت مع رجالها واخويها اللذين كانا قد لحقا بها الى ريمس بين المخاطر العديدة لان المسير كان ثمانين ساعة وكان الاعداء قد استحوزوا على جميع المعاقل والحصون والجسور والطرقات فضلاً عن ان الزاد كان قليلاً اما جان فلم تعبأ بكل

ذلك بل اعتصمت بحبل ربها الذي كان قد قادها في سفرها الاول بين اعدائها الانكليزيين ونجاها من كل خطر . وفي غداة اليوم التالي ٢٩ حزيران تبعها الملك في اثني عشر الف محارب يتقدمهم ابطال اورليان وعدد كبير من الاشراف والفرسان والاعيان والقواد وكلهم كانوا مدفوعين بشجاعة لا تُغلب وغيرة عظيمة على صوالح الملك وخير الوطن واما الملكة ماري دانجو فبقيت في جيان الى ان ياتي اليوم الذي فيه تحضر الى ريمس لتتوّج مع زوجها الملك

فلما كان اول تموز وصل الفرنسيون الى مدينة اوكسير الحصينة وكان سكانها متحزبين للانكليزيين وليت بورغونيا فظنت جان انهم يخضعون بسهولة لكنهم قاوموهم واقفلوا في وجوههم ابواب مدينتهم فاشارت جان على الملك بفتحها عنوة واعدة اياه بالنجاح التام اما الملك واعوانه فرفضوا هذا الرأي وكان المحرك الاول لهذا الرفض لاتريموايل الذي كان قد قبض من سكان المدينة ٢٠٠٠ ريال ليقنع الملك بان لا يلحّ عليهم بفتح الابواب بل ان يكتفي بان يقدموا ما يلزم من الزاد لجيشه وبان يحلفوا له الطاعة عندما تخضع له تروا وشالون وريمس فشق الامر على جان وخطأت الملك في ما فعل فلم يمضِ الا مدة وجيزة حتى تبين كونها مصيبة في رأيها . فسار الملك والجيش من اوكسير في ٣ تموز وفي طريقهم افتتحوا سان فلورانتان وبريانون وسان فال . وفي ٤ تموز ارسل الملك من بريانون الى ريمس رسالة يخبرهم فيها ما صار اليه من الفوز العظيم بعون الله ومحرضاً اياهم على ان يكرموا وفادته واعداً اياهم بانه سيعاملهم كعبيد امناء مخلصين . وفي اليوم نفسه كتبت جان

من سان فال الي اهل مدينة تروا رسالة كلها لطف واخلاص نقول لهم فيها

+ يسوع ومريم +

ايها الاصدقاء الاعزاء الصادقون

ان الفتاة جان تسأل سادات مدينة تروا واعيانها وسكانها باسم ملك السماء سيدها المنفذة كل يوم اوامره الالهية ان يقدموا الطاعة الصادقة لملك فرنسا المحبوب بصفة كونه ملكهم الشرعي وهو سيصل قريباً بعون الملك يسوع الى ريمس وباريس وجميع مدنه الجميلة في مملكته المقدسة منتصراً عَلَى جميع المضادين له ظافراً بالعوائق المانعة . فيا ايها الفرنسيون المخلصون تعالوا الى ملاقاة ملككم كارلس ولا تتأخروا مخطئين والاَّ فحذار لاجسامكم واملاككم فتضربون بها واذا رفضتم نصيحتي هذه اعدكم بل احقق لكم اننا سندوخ بعون الله جميع مدن المملكة المقدسة ونعيد اليها الامن والراحة مهما كانت الموانع والصعوبات واني استودعكم الله فليحرسكم اذا شاء . اجيبوا سريعاً

كتب في سان فال امام مدينة تروا يوم الثلاثاء ٤ تموز

وكتبت العنوان هكذا : الى سادات مدينة تروا واعيانها

فضحك مجلس المدينة من هذه الرسالة واحرقوها بالنار دلالة عَلَى احتقارهم لكاتبتها التي رشقوها بالكلام المهين واوسعوها شتيمة وسباباً ونعتوها بالمهزارة قائلين انها مجنونة . وفي ٥ تموز الساعة التاسعة صباحاً عسكر الجيش الفرنسي حوالي اسوار مدينة تروا فرفض سكانها قبول الملك وردوا الرسول الذي كان ارسله اليهم ليدعوهم الى طاعته خائباً واظهروا له ولرجاله كل مقاومة وعاملوهم معاملة الاعداء الالداء وخرج الاشراف منهم الى خارج الاسوار وقاتلوا جند مقدمة الجيش قتالاً شديداً وعادوا الى المدينة وقد كانت منيعة حصينة ولذلك رفض سكانها كل معاطاة مع كارلس ورجاله نابذين الوعد

والوعيد ومستهزئين بكل قول وتهديد. فبقي جيش الملك مدة ثمانية ايام على هذه الحال وهم لا يملكون كسرة من الخبز بل كانوا يقتاتون من سنبل القمح المفروك فضلاً عن انهم كانوا قد استسلموا الى اليأس وقطع الرجاء لو لم يكتشفوا على حقل كبير مزروع فولاً بنوع عجيب واليك تفصيل الخبر: كان في ذلك التاريخ راهب يدعى الاخ ريشار وكان قد جاء باريس ليلقي فيها المواعظ الناجعة فطرده الانكليزيون من تلك المدينة فأتى مدينة تروا ليلقي فيها بذار الانجيل وكانت الجماهير تتقاطر الوفاً الوفاً الى استماع كلامه البليغ المؤثر في النفوس ففي ذات يوم بينما كان يعظ بحماسة مقدسة هتف قائلاً: «ايها السامعون اكثروا من زراعة الفول لان الآتي يأتي قريباً» قال هذا وهو يريد تهديد الخطأة التابعين شهواتهم المحزنة بقرب يوم الحساب فظن السامعون انه يريد أمرهم بزرع الفول فذهبوا كلهم واخذوا يلقون بذر الفول بكثرة في الحقول التي خارج المدينة وهذا هو الفول الذي قات جيش كارلس السابع في ضيقته فكان ذلك تدبيراً من العناية الربانية لنصرة جان على اعدائها لكن لما نفد الفول اضطرب القوم وخشي كارلس عواقب الامر فجمع الاشراف والاعيان والقواد فاستشارهم فرأوا كلهم انه لابد من العدول عن افتتاح المدينة وقام رئيس اساقفة ريمس بصفة كونه كاتم اسرار المملكة والقى خطاباً مسهباً فذهب الى انه يجب رفع الحصار في الحال وابان وجوب الهرب بحجج كثيرة منها نفاد المؤونة وضيق ذات اليد واستحالة افتتاح المدينة لحصانتها وسعة خنادقها ومتانة اسوارها وتوفر المؤونة فيها وبسالة رجال الحامية وكثرتهم واباء السكان

الخضوع للملك بيد انه لم يكن لدى الجيش الملكي مدافع لهدم السور كما ان مدينة جيان سور لوار المدينة الفرنسية القريبة الوحيدة التي يؤمل الاستنجاد بها وجلب بعض المساعدات منها تبعد ثلاثين فرسخاً ونيف ثم ختم خطابه مصرحاً بوجوب الرجوع القهقرى اتقاء الوقوع في خطر عظيم . فوافقه الجميع على هذا الراي وكادت مساعي جان تحبط اذ نسي القوم عجائب بعثتها واغمضوا عيونهم على فعالها بل تركوا الله ظهرياً ليستعينوا بالوسائط البشرية وتلك عادة البشر فانهم يؤمنون بالله طالما يظهر لهم عجائبه لكنهم يعرضون عنه حالما يرسل اليهم اقل امتحان او ادنى تجربة فتراهم يشربون الماء المحوّل بأمره تعالى الى خمر ويكفرون به عندما ينقصهم امر . هذه هي خطة البشر اما خطة الله فبعكسها لانه رحوم طويل الروح ولا يريد هلاك احد فانه سبحانه وتعالى يدبر كل شيء بحكمة ويقود الامور بمعرفة سابقة الى غاياتها . فلو اتبع القوم هذا الراي وعادت الجنود القهقرى بعد سيرها الجريء لكانت ضربة قاضية على الحزب الملكي ولكان خسر ثمرة انتصار الفتاة بفراره المذل عند اول عقبة لقيها في طريقه وعليه فان رأي كاتم اسرار المملكة كان طائشاً فامره الملك ان يجمع آراء الاعضاء الحاضرين فافاض الجميع مؤيدين كلامه عاضدين مذهبه بقولهم « اذا كانت مدينة او كسير وهي اقل مناعة ورجالاً من تروا قد رفضت الطاعة فماذا يرجى هنا ؟ » ولما جاء دور روبرت لوماسون وهو شيخ مسن قد حنكته الامور واختبرته الايام وقد كان سابقاً كاتم اسرار المملكة قال : « انا ارتأي في ان تستدعوا الفتاة جان لحضور الجلسة لاننا اتينا الى هنا بامرها وربما جاء قولها

مفيداً للملك ولاتباعه لان الملك لما عزم على هذا السفر المخطر لم يفعل مدفوعاً بكثرة رجاله ولا بالمال بل برأي جان الفتاة وحدها التي كانت تلح عليه يومياً بالسير الى الامام ليتوّج في ريمس مؤكدة له بانه لا يلاقي في طريقه الا مقاومة ضعيفة لان الله كان يريد ذلك ويرضى به » فلم يستحسن الاعضاء رأيه فاحتدم الجدال في هذا الشان وعندها طُرق الباب ففُتح واذا بجان دخلت وسلمت على الملك باحترام بليغ فخاطبها كاتم اسرار المملكة على الفور قائلاً لها « يا جان ان الملك واعوانه لفي حيرة عظيمة لتقرير ما يجب فعله » واخذ يورد لها مفصلاً الآراء التي أُبديت في المجلس فلم تجاوبه جان بل التفتت الى الملك وسألته اذا كان يثق بكلامها فاجابها كارلس « لا اعلم لكنني اصدقك لا محالة ان قلتِ قولاً حسناً مفيداً » فاعادت كلامها قائلة « اتصدقونني ام تكذبونني ؟ » فاجابها كارلس « اجل نصدقك حسب ما تقولين » فقالت « يا ولي العهد الشريف مرجنودك بمحاصرة مدينة تروا ودع عنك المفاوضات الطويلة فاني اقول لك باسم ربي انه لا يمضي ثلثة ايام حتى ادخل بك مدينة تروا كرهاً او طوعاً وسنذل احزاب بورغونيا العاصية » فقال لها كاتم الاسرار وامارات العجب بادية على وجهه « لو كنا محققين اننا ندخل المدينة بعد ستة ايام لانتظرنا انما لا اعلم اذا كنت صادقة في ما تقولين » فشق عليها هذا الكلام فصرفت وجهها الى الملك محدقة اليه قائلة بصوت عالٍ : « لا تاخذنك ريبة بكلامي انك من الغد تستولي على المدينة » ثم انتثر عقد المجلس وخرجت جان وركبت فرسها وفي يدها عصا

واخذت في اصدار اوامرها الى الجنود فاقدموا جميعهم عَلَى العمل بنشاط وجد من فرسان ورماة وسلاحدارية ومن الخاصة والعامة وجاءوا بحزمات حطب واخشاب وابواب وشبابيك وجسور وما شابه ذلك مما وجدوه امامهم في المعسكر وما يجاوره ليملأوا به الخندق ليتمكنوا من الهجوم عَلَى المدينة وباتوا ليلتهم كلها يشتغلون بذلك حتى اتموه عَلَى ادق نظام بتدبير جان الفتاة فدهش دونوا من هذا العمل الخطير واعلن انه من النادر ان يوجد بين رجال الحرب من يضاهي جان خبرة ومهارة في مثل هذه الاعمال ولما كان الصباح وكان كل شيء مهيأ للوثوب استلمت جان علمها ونفخت بالبوق علامة الاستعداد للهجوم عَلَى السور ثم اوعزت الى رجالها ان يلقوا في الخندق كل ما جمعوه مدة الليل ففعلوا. اما اهل تروا فلما رأوا الفتاة بالقرب من اسوارهم متسلحة بقوه العلي هاجمة عَلَى مدينتهم ورايه الانتصار تخفق عَلَى رأسها تولاهم الرعب وتذكروا ما اتته في اورليان من الفعال العظام وكيف ضربت اعداءها بيد من حديد لا تلوي فرغبوا في الاستسلام واعدين بالخضوع لاوامر الملك وكانوا يترددون الليل كله الى الكنائس متضرعين الى الله ان يرأف بهم ولما اصبحوا ظهر لهم كأن فراشاً بيضاء لا يحصى عديدها تتطاير حول راية جان فزادهم ذلك رعباً على رعبهم ولما سمعوها تصيح برجالها آمرة اياهم بالهجوم فتحوا ابواب المدينة في الحال وتقدم اسقف المدينة مع القواد والاشراف ووافوا الملك يلتمسون منه العفو ويعدونه بالخضوع والطاعة. فدهش الملك من سرعة انقلاب الحالة وقبلهم بلطف وبشاشة وتساهل معهم ووقع في الحال

على معاهدة مآلها ان مدينة تروا تخضع باحترام واتضاع لملكها الشرعي وان الاشراف يعدون بان يكونو له عبيداً امناء مخلصين وان الملك لقاء ذلك يتناسى خروجهم عن طاعته في الماضي ويسمح للانكليزيين وللبورغونيين بمغادرة المدينة مع كل ما يخصهم. فسر سكان تروا بهذه المعاملة التي لم يكونوا يتوقعونها واشعاراً بمعرفتهم جميل الملك عزموا على اقامة عيداً باهراً احتفالاً بقدومه وخرج السكان جماهير عديدة وجاءوا المعسكر الملكي فرحين مطلقين العنان لعواطفهم وطفقوا يقبلون الجنود ويتآخون معهم وأتوهم بالطعام ليا كلوا فاكلوا وشربوا وسرُّوا بما قيض لهم الله بواسطة فتاته البكر القديسة

ولما كان الغد خرج الانكليزيون والبورغونيون من المدينة وارادوا ان يستصحبوا معهم الاسرى الفرنسيين استناداً الى مباني المعاهدة فأبت عليهم جان ذلك ووقفت في طريقهم واوقفتهم عن السير قائلة « باسم ربي انكم لا تأخذونهم ابداً » فكان كما شاءت فاضطر الملك الى افتداء جميع الاسرى بماله الخاص فشكروا لها عملها

وبعد ذلك دخلت جان في مقدمة الجميع الى المدينة وصفت جنودها الى ناحيتي الطريق من باب المدينة الى الكنيسة لدخول الملك فجاء الى ملاقاتها الاخ ريشار الواعظ الشهير من قبل اهل المدينة فلما رآها وقد كان في ريبة من امرها هل هي من الله ام من الشيطان اخذ يرسم اشارة الصليب المقدس وينضحها بالماء المبارك فضحكت الفتاة وقالت له « اقترب بجرأة فاني لا اطير اذ لست بساحرة » فدنا منها الراهب حينئذٍ ومن ذلك الحين لم يعد

يفارقها في جميع غزواتها محرضاً القوم على الطاعة للملك فلما سمع الباريسيون بذلك حنقوا عليه وعادوا نكاية له الى سيرتهم الرديئة الماضية التي كان قد نشلهم منها بعظاته النفيسة . ولما تم كل شيء لاستقبال الملك ذهبت اليه جان ودخلت به المدينة وقد كان راكباً فرسه ولابساً بزة جميلة ثمينة للغاية فتوجه الى الكنيسة وجان راكبة عن يساره ورايتها في يدها وسار معهما الامراء والاشراف والقواد وكلهم راكبون من الخيل اجودها ولابسون الالبسة الفاخرة وعلى هذا المنوال وصلوا الى الكنيسة وقد كانت غاصة بالجماهير الغفيرة وبعد القداس الاحتفالي اقسم مجلس المدينة بحضرة الملك يمين الطاعة والخضوع والامانة بالنيابة عن المدينة كلها فنودي بأمر الملك في جميع شوارع المدينة بما يأتي : ان الملك ينهي الجميع من الخاصة والعامة عن اهانة سكان تروا عبيده الامناء ويحظر عليهم التلفظ بادنى كلمة لوم او شتيمة بالنسبة اليهم من اجل الماضي .

وهكذا تمت نبوة جان لكارلس السابع اذ قالت له في الامس امام اعضاء ديوانه « انك من الغد تستولي على المدينة »

الفصل العاشر

في وصولها الى ريمس وفي تتويج الملك

لاتخف فان اهل ريمس سيخرجون لملاقاتك
ويخضعون لك قبل وصولك الى ابواب
مدينتهم (كلماتها للملك)

ومذ الغد قام الجيش وسار بكل نظام وترتيب نحو مدينة ريمس بين اصوات الابواق وازدحام الخلق الذي لا يحصى المتراكض من كل صوب وهم يهتفون باصوات الفرح والبشر وكانت جان تسير بالقرب من الملك وهي شاكة السلاح وقلبها يطفح سروراً لقرب بلوغ الارب وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى مدينة شالون فخرج لملاقتهم اسقفها ومعه جم غفير من اهلها فقدم للملك مفاتيح المدينة بكل احترام ودخل به اليها باحتفال عظيم. وكان ان لقيت جان هناك اربعة رجال من دومريمي كانوا قد اتوا من بلادهم ليشاهدوها في مجدها وانتصارها بعد ان كانت خاملة الذكر مجهولة من الناس فسألها احدهم قائلاً: «الا تخشين مخاطر النزول في ساحة القتال؟» فاجابته: «كلا انا لااخشى امراً سوى الخيانة والغدر» وبعد ان اهدت اليهم الهدايا انصرفوا مسرورين.

فسار الملك وجان والجيش كله نحو مدينة ريمس وكان كارلس السابع خائفاً من ان يصيبه في المدينة المذكورة ما اصابه في مدينة تروا من الضيق والضنك خاشياً تمرد سكانها عليه فقالت له جان مسكنة بلباله بهذا الكلام

النبوي « لا تخف فان اهل ريمس سيخرجون لملاقاتك ويخضعون لك قبل وصولك الى ابواب مدينتهم فسر اذن مطمئناً لانك ان كنت رجلاً فلا شك انك تسترجع كل مملكتك » فتمت هذه النبوة بالحرف لان القواد الانكليز بين الموجودين في ريمس والبورغونيين جمعوا الاشراف للمفاوضة في الامر فرأوا انه يلزمهم مقدار ستة اسابيع ليستعدوا للمقاومة وانه لا يمكنهم ذلك قبل هذه المدة فرفض الاشراف هذا الرأي وطال بينهم الجدال فادّى بهم الامر الى القتال فغضب القواد من ذلك وخرجوا من المدينة مع الجنود فعندها قام احزاب الملك ورئيس الاساقفة واشاروا على الشعب بالخضوع فرضي الجميع بذلك وارسلوا للحال الى كارلس السابع وفداً مؤلفاً من علية الاكليروس ووجوه القوم يضعون على قدميه مفاتيح المدينة علامة الاستسلام والطاعة حسب نبوة جان فوعدهم بالغفران والصفح عما مضى . وفي اليوم نفسه قام رينو دي شارتر رئيس اساقفة ريمس وكاتم اسرار المملكة ودخل المدينة قبل الملك ليستلم كرسيه ولم يكن يتسنى له ذلك الا بواسطة جان الفتاة التي لم يكن يثق بكلامها حتى بعد انقاذ اورليان وانتصار باتاي . وعند المساء دخلها الملك مصحوباً بالفتاة والجند وسائر الجيش بابهة وجلال عظيمين لانك كنت ترى الناس كالبناء المرصوص واقفين الى جانبي الطريق وكلهم عيون شاخصة بتلك الابنة الباسلة التي كان وجهها يقطر بشراً وفرحاً والتي كانت تسير الى جانب الملك كأنها ملاك مرسل من السماء ليحرسه ويقوده الى محل الظفر فعلقت بها قلوب الجميع وحيوها والملك بهتاف مستطيل مرددين كلمات اجدادهم

في مثل هذه الظروف وهي « يالليلاد ! يالليلاد ! » الدالة على جذلهم وشكرهم لله . وهكذا دخل كاراس مدينة ريمس التي هي من اعظم مدن فرنسا والتي كانت في وسط الاراضي التي تحت حوزة البورغونيين وذلك دون ان يحتاج الى سيفه كما كانت سبقت البكر وتنبأت فكانت تلك العجوبة عظيمة آتاها الله بواسطة جان دلالة عَلَى انه هو الذي ارسلها لانقاذ مملكة فرنسا من ايدي اعدائها

فاستقر رأي الجميع في الاحتفال بمسح الملك وتتويجه في صباح اليوم التالي الواقع نهار الاحد ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ . فاجتمع كبار المملكة في الكنيسة حسب المراسيم القديمة واجلسوا الملك عَلى منصة عالية حيث يمكن الشعب ان يراه وهتفوا بصوت واحد قائلين « ايها الشعب الفرنسي هذا هو ملككم الذي سنتوجه غداً نحن مستشاري المملكة ونعلن اسمه ملكاً وسيداً فمن كان له مايعترض به عَلَى ذلك فنحن مستعدون لاستماعه وغداً سيمسح بنعمة الروح القدس اذا كان لا يوجد ثَمَّ مانع » فاجاب الشعب « يالليلاد ! يا لليلاد ! » معربين بذلك عن رضائهم وفرحهم بملكهم . وباتوا ليلتهم كلها يستعدون لحفلة الغد . اما الحلل الخاصة بحفلة مسح ملوك فرنسا فكانت مودوعة في دير سان دانيس قرب باريس ولم يكن في الوسع الحصول عليها فاستعيض عنها بغيرها فى ريمس وكانت جان مهتمة بكل شيء الا انها لم تهمل اتمام مهمتها الخطيرة بالقاء الصلح بين الملك والدوق دي بورغونيا فكتبت الى هذا الاخير الرسالة الآتية وهي محفوظة في مكتب ليلل

قالت :

+ يسوع ومريم +

ايها الامير السامي المهيب الدوق دي بورغونيا . ان الفتاة جان تلتمس منك باسم ملك السماء ربها وسيدها العادل ان تسالم ملك فرنسا فيكون بينكما صلح ثابت مخلد فليغفر احدكما للآخر من صميم القلب كما يفعل المسيحيون الصالحون واذا اردت ان تحارب فحارب الغير المؤمنين . فانا اسألك يا امير بورغونيا واتوسل اليك بالحاح وبكل اتضاع ووقار ألا تحارب في مملكة فرنسا المقدسة وان تأمر جنودك المقيمين باية مدينة وقلعة كانت من هذه المملكة المباركة ان ينصرفوا منها في الحال . اما ملك فرنسا اللطيف فهو مستعد لمصالحتك ان شئت مع المحافظة على شرفه . ثم اني اعلمك باسم ملك السماء ربي وسيدي العادل ابتغاء لما فيه لك خير وفخر ومحافظة على دماء رجالك انك لن تغلب ابداً في محاربتك الفرنسيين المخلصين وان من يحارب في هذه المملكة الفرنسية المقدسة يحارب ضد يسوع ملك السماء والارض ربي وسيدي العادل ولذلك انا اسألك واتوسل اليك باتضاع ان تكف عن الحرب وتعدل عن مقاتلتنا انت ورجالك ورعيتك واكد انك لن تنتصر علينا ابداً ولومهما كانت عدد رجالك في محاربتنا بل ستكون عاقبة ذلك وخيمة عليك اذ يراق دم كل من يأتي علينا وقبل اليوم بثلاثة اسابيع بعثت اليك رجلاً بكتاب ادعوك فيه الى حضور حفلة مسح الملك التي ستقام اليوم ١٧ تموز الجاري في مدينة ريمس فلم اقبل منك جواباً ولم يبلغني خبر عن رسولي المذكور . وانا اسال الله ان يحفظك ويحرسك ان شاء مبتهلة اليه تعالى ان يلقي الصلح التام بيننا وبينك

كتب في ١٧ تموز في مدينة ريمس

اما عنوانه فهكذا : الى الدوق دي بورغونيا

وفي صباح اليوم نفسه توجه اربعة من مستشاري الملك الى دير سان ريمي ليأتوا بحقة الزيت المقدس لحفلة مسح الملك فاقسموا جهاراً متعهدين بجلبها واعادتها بعد الحفلة الى مكانها بكل أمن فارتدى رئيس الدير الحلة

الكهنوتية وحمل القنية المذكورة بكل احترام واحتفال تحت مظلة ثمينة يحيط به رهبانه الى كنيسة سان ربي حيث تلقاه رئيس الاساقفة لابساً حلته الحبرية محاطاً باكليروسه فاستلمها منه وحملهـا بذات الاحتفال الى كنيسة ريمس الكاتدرائية حيث وضعها على المذبح امام الاحبار والامراء والاشراف والفرسان الذين اتوا مع الملك الى ريمس وكانت الفتاة واقفة بالقرب من الهيكل ورايتها في يدها. حينئذٍ دعا المنادي مستشاري المملكة الحاضرين كلاً باسمه ونادى باسماء النائبين مناب الغائبين كلاً باسمه وعندها تقدم الملك نحو الهيكل وسجد على ركبتيه فدنا منه رئيس الاساقفة مع اكليرسه وقال له: «اننا نسألك ان تعدنا بانك تحفظ لنا وللكنائس الموكولة الينا الانعام القانوني وبان تعاملنا وتعاملها بموجب الشريعة والعدالة وبان تحافظ علينا وعليها وتدافع عنا وعنها كما يجب على كل ملك في مملكته نظراً الى كل اسقف وكل كنيسة موكولة اليه» فاجاب الملك حسب العادة قائلاً: «اني لما كنت الآن على وشك ان امسح ملكاً اعد بنعمة الله في هذا اليوم يوم تكريسي امام الله وقديسيه بان احفظ الانعام القانوني لكل واحد منكم من الاحبار وبان اعامله بموجب الشريعة والعدالة الواجبة له وبان ادافع عنكم بمعونة الله ما امكنني كما يجب على كل ملك ان يدافع في مملكته عن كل اسقف وعن كل كنيسة موكولة اليه» ثم اضاف الى ذلك قوله: «انا اعد باسم يسوع المسيح الشعب المسيحي الخاضع لي بما يلي ١ باني احافظ عليه من كل انشقاق واقاوم كل هرطقة تخالف معتقده وامنحه في كل آن السلام الحقيقي حسب طلبك ٢ باني ادافع

عنه ضد كل نهب وشر من اي نوع كانا ٣ باني لا اصدر عليه احكاماً الا بعدالة ورفق لكي يعاملني واياك الرب الرحوم الحليم برحمته ٤ باني ساهتم بكل قدرتي وباستقامة بابعاد كل الهراطقة المحرومين من الكنيسة من اراضي المملكة الموكولة اليّ واذا اثبت هذه الامور المتقدمة بالقسم» ولما اقسم كارلس السابع امام الله بانه سيقوم بواجباته حق القيام رقاه الدوق دي الانسون الى مقام القرسان ووضع اثنان من مستشاري المملكة التاج على رأسه واجلساه على كرسي ورفعاه لينظر الشعب كله ملكه الجديد وبعد ذلك مسحه رئيس الاساقفة بالزيت المقدس مثبتاً السلطة الزمنية بسلطة الرب القدير وسلطة الكنيسة السامية فاصبح كارلس ملكاً مقاماً من الله ومكرساً من الكنيسة لرعاية شعبه ليس فقط باسمه الخاص ولمجده الشخصي بل باسم ملك السماوات ولمجده تعالى.

وبعد ذلك جاءت تلك التي قادت الملك بامر الله والتي لم تعقدها المخاطر والاتعاب والاهانات عن اتمام رسالتها الالهية تقدمت نحو المذبح وخرت ساجدة امام كارلس وقالت له بدموع غزيرة: «ايها الملك اللطيف قد تمت الآن ارادة الرب الذي كان يريد ان ارفع الحصار عن اورليان وان آتي بك الى هذه المدينة لتمسح فيها ملكاً مظهراً بذلك انك انت وحدك ملك فرنسا الحقيقي الذي يجب ان تكون مملكة فرنسا خاضعة له» فكان لهذا الكلام تأثير عظيم في قلوب الحاضرين فتساقلت من اعينهم دموع الفرح والشكر لله على حمايته الخاصة ونعمه الغزيرة ودامت الحفلة من الساعة التاسعة صباحاً الى الساعة

الثانية بعد الظهر

وكان والد جان واخوها البكر قد اتيا مسرعين من دومريمي يصحبهما دوراند لاكسارت فشاهدوا الحفلة مندهشين مما اتته هذه الفتاة من الفعال العظام فتعزى الوالد برؤيته ابنته مظفرة فباركها ودعا لها بالتوفيق في اتباع الخطة التي رسمتها لها العناية الربانية لخير الملك والبلاد وهو لا يعلم ان هذا الانتصار سيعقبه حزن وغم بل عذاب الاستشهاد . ولما علم كارلس بوجود والد جان في المدينة استدعاه الى القصر وعين له من ماله الخاص راتباً سنوياً وختمت هذه الاعياد بالولائم وسائر انواع المسرات . اما جان فكان ذكرها في افواه الجميع وكانت موضوع جميع الاحاديث في كل مكان حتى اصبحت الالسنة لاتلهج الا بها مرددة ما فعلته وما جرى على يدها من العجائب الغرائب اما هي فكانت تقول : « ان ماعملته كنت مامورة به » فقيل لها « بل ان ما عملته لغريب لم يرَ له مثيل في كتاب فاجابت : » ان لربي كتاباً لم يقرأه احد من علماء الارض ولو مهما كان بارعاً في العلوم »

وكانت العادة ان يذهب الملك بعد مسحه ملكاً الى قصر كورباني لزيارة ضريح القديس مار كوف سليل ملوك فرنسا وكان الله يمنح الملك الجديد بواسطة هذا القديس العظيم موهبة شفاء المرضى بوضع يديه الممسوحتين بالزيت المقدس فاتمّ كارلس السابع هذه الزيارة في اليوم الثالث من تتويجه وهناك امام قبر هذا القديس اتى وفد من مدينة لاون وقدموا لكارلس مفاتيح مدينتهم وبينما كان الفرنسيون يحتفلون بتتويج ملكهم كان الانكليزيون يقرعون سن

الحسرة والاسف فكتب الدوق دي بدفورد الى انكلترة يقول : « ستعلمون عن قريب كيف ان ولي العهد كارلس نزل بذاته الى ساحة القتال يجر وراءه جيشاً قوياً وكيف ان مدنا عديدة ومعاقل حصينة وقصوراً شاهقة خضعت لسلطته بدون حرب ولا قتال ولا حصار . وميعاده ان يصل اليوم ١٦ تموز الى مدينة ريمس وغداً ستفتح له أبوابها ونهار الاثنين سيمسح ملكاً وهو عازم بعد تتويجه على الذهاب الى باريس ليفتحها »

الفصل الحادي عشر

في خروجها مع الملك من ريمس وفي كيف كسرت سيفها وفي احتقار الديوان الملكي لها

انني اسأل الله خالقي ان يتيح لي ان اترك
الاسلحة والحرب وارجع الى بلدي لاخدم
ابوي فارعى غنمهما مع اختي واخوتي الذين
يفرحون جداً بلقياي (من كلماتها)

اما جان فكانت تشتهي ان تذهب الى بيت والديها لتمضي حياتها بالقرب منهما بالراحة والسكينة فأبى عليها الملك والامرآء والقواد هذه البغية وسألوها بالحاح ان تبقى عندهم فاطاعت ورضيت بالاقامة تمجيداً لله وخيراً للوطن

وكان ان ارسل الدوق دي بورغونيا وفداً الى ريمس لتهنئة الملك بتتويجه

ثم للمفاوضة معه في امر المسالمة وكان قصده بذلك تأخير الملك عن السير الى ما قدام « بالقتال او بسواه » طبقاً لمنطوق المعاهدة التي كان قد وقع عليها مع بدفورد في باريس في ١٥ تموز حتى يتمكن العدو من الاستعداد للمقاومة فبقيت المفاوضات جارية بين الوفد البورغوني وبين الملك الى ٢١ تموز. فتكدرت جان من هذا التأخير لانها كانت ترى حيلة العدو والضرر الناتج من هذا البطء فكانت وايم الحق مصيبة كما سيتبين من سياق الكلام. ولما انتهت المفاوضات قام كارلس وسار بجيشه قاصداً باريس وكان في طريقه يفتتح المدن ويخضع سكانها بسهولة فكان سيره سلسلة انتصار وظفر حسب نبوات الفتاة لان الله كان يحارب مع الفرنسيين لانهم خضعوا لملكهم الشرعي. وبعد ان مكث الملك وقومه بضعة ايام في مدينة سواسون خرجوا منها في ٢٩ تموز قاصدين مدينة شاتوتياري فخرج اعيانها للمفاوضة معه في امر الصلح واذا بخبر قد شاع ان الانكليزيين قادمون فخاف جيش الفرنسيين واما جان فاكدت لهم ان الامر عَلَى خلاف ما يزعمون ولم يمضِ القليل حتى تحققوا صدق قولها وعندها خضعت شاتو تياري وانصرف منها جنود الانكليزيين. وهناك سألت جان كارلس الملك ان يعفي فلاحي غراو ودومريمي الفقراء من كل جزية وخراج فكان ما طلبت بموجب امر ملكي هذا نصهُ :

نحن كارلس بنعمة الله ملك فرنسا الى حاكم شومون والى جباة الخراج والى محصلي رسوم الملح والمال الاميري والى سائر المستخدمين والخدام. سلام

نعلمكم اننا اكراماً لخاطر حبيبتنا جان الفتاة واجابة الى رغبتها ومراعاةً لما لها علينا من الايادي البيضاء ولما أدته وتؤديه لنا من الخدم الجليلة في سبيل استرجاع سلطتنا

قد منحنا ونمنح بهذه الاسطر سكان قريتي غراو ودومريمي وفلاحيهما في ولاية شومون من بلاد باسيني حيث ولدت جان المرقومة اعفاء تاماً من كل جزية وخراج ورسوم سواء كان على الملح او من قبيل المال الاميري في الحال والاستقبال ولذلك نأمر وننهي اليكم ان لا تقلقوا السكان والفلاحين المذكورين بهذا الشان بل ان تتركوهم يتمتعون بدون مانع ولا عائق بهذا الاعفاء التام وان لا تفرضوا ولا تسمحوا لاحد ان يفرض عليهم فرائض اية كانت لا في الحال ولا في الاستقبال . واذا تجاسر احد وفعل ذلك باي نوع كان فلكل منكم الحق ان يعفيهم منه لان تلك هي ارادتنا ونأمر ان يُجرى هكذا بدون تقييد او اعتبار أمر مخالف

أُعطي في شاتوتياري في ٢١ تموز سنة ١٤٢٩ وهي السابعة لتبوئنا عرش المملكة (١)

وكانت سطوة الملك كارلس تزداد مع ازدياد الايام وكلما ازداد دنواً من باريس ازداد خوف اعدائه واضطرابهم فضم بدفورد جنوده الى جيش الصليبيين المرسلين من انكلترة وجاء لملاقاة الملك وكتب اليه من مونترو رسالة كلها شتائم له وللفتاة يطلب فيها اما السلام واما الحرب فاجابه الملك بانه مستعد لمحاربته وهو ينتظره في ساحة القتال فلم يأت بدفورد لمنازلة الملك بل رأى الاوفق الذهاب الى باريس لانجادها وانقاذها من الخطر الذي يتهددها فوقع اذ ذاك خلاف بين اعضاء الديوان الملكي فمنهم من كان يريد الذهاب الى باريس ومنهم من كان يريد العدول عن ذلك فمال الملك الى هذا الرأي الاخير معللاً النفس بنجاح المذاكرات التي افتتحت في ريمس مع الدوق دي بورغونيا وكان قد عقد معه هدنة لمدة ١٥ يوماً تعهد فيها الدوق فيليب

(١) بقي هذا الانعام محفوظاً لقريتي غراو ودومريمي الى سنة ١٦٠٠ حيث ثبته لويس الثالث عشر في ٢٨ حزيران ودام الى ايام الثورة الفرنسية

تسليم باريس الى الملك بعد انقضائها وعليه راى الملك من الاجدر الانتظار لكنه اضطر الى السير الى باريس لان الانكليزيين كانوا قد قطعوا جسر نهر السين . فسر جميع الجيش بذلك وسرت الفتاة ايضاً من هذا الرجوع لانها لم تكن راضية عن الهدنة المبرمة مع الدوق دي بورغونيا بل ان ذكاءها كان يحذرها منها كما يظهر ذلك من الكتاب الاتي الذي انفذته في ٥ اب الى اهالي مدينة ريمس قالت فيه :

الى اصدقائي الاعزاء فرنسيي مدينة ريمس الصادقين المخلصين ان الفتاة جان تطلعكم على احوالها . فهي تسألكم ان لا تشكوا في نجاح سعيها لنصرة الدم الملكي ودعوته الحقة فانا اعدكم واؤكد لكم اني لا انساكم ما عشت . اجل ان الملك قد ابرم مع الدوق دي بورغونيا هدنة ١٥ يوماً تعهد الدوق تسليم مدينة باريس الى الملك بعد انقضائها فلا تعجبوا اذا كنت لم ادخلها الى الآن واني غير راضية عن هذه الهدنة ولا اعلم اذا كنت احافظ عليها فاذا ما احترمتها فما ذلك الا صيانة لشرف الملك وعلى كل حال فانا لا ادعهم يخدعون الدم الملكي لاني ساهرة على ابقاء الجيش منظماً ليكون مستعداً للقتال بعد انقضاء الخمسة عشر يوماً المذكورة اذا لم يكن الصلح . وبناء على ذلك اسألكم ايها الاصدقاء الاعزاء المخلصون ان لا تضطربوا ما دمت في قيد الحياة بل استحلفكم ان تنتبهوا وتسهروا على صيانة مدينتكم الخاضعة للملك . اعلموني اذا كان احد يتبد بشؤونكم ويأكل اموالكم وانا اخلصكم منه باقرب وقت . لاتحرموني اخباركم وانا اسأل الله ان يحرسكم بعينه الساهرة

كتب في هذا يوم الجمعة ٥ آب في بيت كائن في الحقول على طريق ريمس

وكتبت على الغلاف هكذا : الى الفرنسيين المخلصين قاطني مدينة ريمس

سار كارلس نحو باريس فرحب بهُ اهل المدن والقرى بغاية الفرح وكانوا في كل مكان يخرجون لملاقاته باحتفال عظيم تتقدمهم راية الصليب

المقدس هاتفين : « يالليلاد ! يالليلاد ! فليحى ملك فرنسا » وكانوا ينشدون آيات الشكر للعزة الصمدانية على نعمة خلاصهم من ايدي اعدائهم. وكان الجميع ينظرون الى جان بحب متعجبين من بسالتها مسرورين بقدومها فكانت في اعينهم اعجوبة القدرة الالهية لما هي عليه من الفضائل السامية والصفات الحميدة او ملاكاً سماوياً ارسله الله للمدافعة عن مملكة فرنسا الشريفة. فسرت جان بهذا الشعب وذرفت الدموع السخينة تأثراً مما شاهدته فيهم من الفرح الجزيل وقالت لرئيس اساقفة ريمس الذي كان بقربها: « لله در هذا الشعب انني لم أرَ قط فرحاً يماثل فرحه بمجيء ملكنا الشريف. حبذا لو دفنت في هذه الارض يوم تأتيني المنية » فقال لها الاسقف : « اين تظنين يا جان انك تقضين نحبك ؟ » فاجابته : « حيثما شاء الله لاني لا اعلم لا الزمان ولا المكان الذي فيه افارق هذه الحياة لكنني اسأل الله خالقي ان يتيح لي ان اترك الاسلحة والحرب وارجع الى بلدي لاخدم ابويَّ فارعى غنمهما مع اختي واخوتي الذين يسرون جداً بلقياي » قالت هذا ورفعت عينيها الى السماء فظهرت ملاكاً مضطرماً بحب الله فشهد دونوا والامرآء الذين كانوا حاضرين هذا المشهد المؤثر فتحققوا ان بعثتها كانت منه تعالى لا من الروح الخبيث كما كان اشاع الانكليزيون زوراً وبهتاناً .

وكانت الجهات كلها قد خضعت للملك الشرعي سوى نورماندیا وبيكارديا فاراد كارلس السابع التوجه الى تلك الانحاء فقام بدفورد في وجهه ممانعاً بالقرب من سنليس فسار الجيش الفرنسي الى الانكليزيين بنظام تام

غير ان بدفورد لما رأى جنوده في يأس وفشل من خوفهم من الفتاة انحاز ليلاً الى ماوراء مكان حصين ولما كان الصباح اراد الملك الهجوم عَلَى الاعداء فرأى ان ذلك غير مستطاع فارسل من يستدعي بدفورد الى القتال فلم يكن لندائه من صدى فخرج اذ ذاك الفرسان الاشداء من الفرنسيين وكانوا يبرزون ويقفون ويروحون داعين الفرسان الانكليزيين الى المبارزة فاغتاظ الاشراف الانكليزيون وخرجوا كالاسود من معسكرهم وظهروا امام الفرنسيين واشتعلت بينهم نيران القتال الى المساء فابدى الفريقان وبالاخص جان دارك من البسالة ما يذكر ودعيت تلك الواقة واقعة دي مونتبيلوا باسم ذلك المكان

وكان الاشراف الفرنسيون في كل جهة يتسلحون ضد الانكليزيين ويطردونهم بالقوة من بلادهم فطردهم لاهير من قلعة ايستريباني وخلص الفارس دي باربازان من اسره الذي دام ٩ سنين في القلعة المذكورة واصبحت نور ماندیا على وشك السقوط في ايديهم فاسرع بدفورد في الذهاب اليها بجنوده لمساعدتها اما كارلس فسار في طريق باريس ثم اشارت عليه الفتاة بان يرسل وفداً الى الدوق دي بورغونيا يدعوه الى الصلح فلم ينل سوى مواعيد فارغة

وفي اثناء ذلك خاف والي الانكليزيين بباريس من قدوم الملك وخشي خضوع سكان المدينة له فدعاهم وحرضهم بخبث عَلَى تجديد يمين الطاعة لانكلترة ثم ارسل من ينادي في الشوارع ان كارلس دي فالوا (هكذا كان

الانكليزيون يدعون كارلس السابع استحقاراً) مستعد ان يبيح لجنده الفتك بالمدينة باسرها ليفعلوا برجالها ونسائها وبكبارها وصغارها ما يشاؤون وبهذه الحيلة اشعل في قلوب الباريسيين نيران البغض لمليكهم الشرعي وقررهم على رفض كل اتفاق معه . ولما وصل كارلس الى مدينة سان دانيس التي فيها مدفن ملوك فرنسا شكر الله وشفيع المملكة على ما افاضا عليه من النعم ووضع على قبر اجداده الهدايا النفيسة حسب عوائد آبائه . وكان ان قامت جان بوظيفة عرابة لمولودين في سر العماد المقدس وكان الناس يزدحمون حولها يريدون لثم خاتمها او ذيل ثوبها . اما هي فكانت تهش بالجميع الا بالنساء الفاسقات اللواتي كن اكره البشر اليها فكانت تفرغ وسعها في طردهن من المعسكر فاتفق ذات يوم انها ابصرت واحدة منهن في الجيش فغضبت غضباً مقدساً واستلت سيفها العجيب الذي اتى العجائب في اورليان وجارجو وباتاي وضربتها بصفحه فتكسر اربا اربا ولم يقدر احد على اصلاحه فاغتم الملك من ذلك كل الغم حتى قال لجان « لِمَ لم تأخذي عصا عوض سيفك ؟ » اما هي فتكدرت جداً من خسارة هذا السيف العجيب الذي وجدته في كنيسة القديسة كاترينا في فيار بوا بامر قديستها كما مر

هذا ولما كان لاتريموايل لا يزال حاقداً على الفتاة قاصداً معاكسة اعمالها اخذ يجتهد في تنقيص سطوتها على قلب الملك واعوانه محرضاً اياهم على رذل مشوراتها ورفض اراءها فمال الملك الى ذلك وشرع يثق بلاتريموايل الخبيث دونها فاصبحت جان اذ ذاك محتقرة مرذولة من الديوان الملكي وهكذا تمت نبوة

المعلم جرسون حين قال مشيراً الى جان : «فليحذر الحزب الملكي من احتقار العون الالهي المعلن لهم بنوع عجيب ورذله اما لعدم ثقتهم به واما لعدم معرفتهم جميله » اجل ان الملك لم يعد يستشير جان في امر من الامور مع ان القديستين كانتا تظهران لها معلنتين ما يجب فعله لاتمام العمل العظيم الذي بدأت به وذلك ما كان يحزن الفتاة ويؤلم قلبها متأسفة عَلَى انقلاب الملك السريع وانخداعه بكلام وزرائه ذوي المآرب والغايات وهو غير دارٍ بخبثهم وشرهم فصبرت واتكلت عَلَى الله ومن اتكل عليه تعالى لايخيب فهو على كل شيء قدير

القسم الثالث

جانّ دَارك مَغدورةٌ ومُسلَمَةٌ

الفصل الاول

في هجومها عَلَى باريس وفي جرحها

اعلموا اني اما سادخل باريس اليوم
واما ساموت هنا (كلماتها)

وكانت الفتاة تلح على الملك بالسير الى باريس واعدة اياه بالنصر والظفر التام اما هو فكان يرفض مشورتها راغباً في تمام المفاوضات التي كان بدأ بها مع فيليب لي بون وكان ينتظر رجوع الوفد الذي انفذه اليه في اراس ليعلم ما يبتغيه. فرجع هؤلاء في ٢١ آب وكان الملك اذ ذاك في كومبيان وكان معهم سفراء بورغونيون آنين لاستئناف المفاوضات مع الملك. اما جان فأُهملت في خلال هذه المفاوضات والدسائس السياسية ولم يحفل احد برأيها بيد انها منذ ٢٣ آب كانت قد شمرت عن ساعد الجد وقصدت ترك الملك والاقدام على العمل وحدها طبقاً لارادة قديستيها. فقالت للدوق دي الانسون: « ايها الدوق اللطيف هيء رجالك واجمع قوادك الطائعين لك لاني اريد ان اذهب الى باريس لامتع بها نظري » فسافرت مع الدوق المذكور وبصحبتهما عدد كبير من الجيش الملكي وفي ٢٦ آب بلغوا مدينة سان دانيس

وفي ٢٧ آب انتهت المفاوضات في كومبياين وفي ٢٨ منه عقدت هدنة جديدة حتى عيد الميلاد تعهد بموجبها الدوق فيليب باستخدام رجاله لحماية باريس على انه لم يصرح ضد من يحميها. فكان ذلك خيانة منه لحقوق الامة الفرنسية ومعاكسة لعمل جان بل سعياً ذميماً لملاشاة اسمها واضمحلال ذكرها من تاريخ انقاذ البلاد من ايدي اعدائها. وكان الحزب الملكي يزداد وينمو يوماً فيوماً فمن جملة المدن العديدة التي خضعت للفتاة ودعت باسم الملك مدينة بوفه التي طردت الاسقف بطرس كوشون الذي كان مخلصاً في خدمة الانكليزيين وكانت اعمال رجال الفتاة والدوق دي الانسون مكللة بالنجاح في كل مكان فانضم اليهم في سنليس قسم من رجال الكونت دي فاندوم وكانوا قد دخلوا مدينة سان دانيس في ٢٥ آب فخاف سكان باريس من قدوم الفتاة الى مدينتهم فاخذ حاكمها طريق نورماندیا واقام لويس دي لوكسانبورغ حارساً عليها فاتخذ هذا جميع الوسائل لكي يقنع الاعيان بالثبات على الامانة نحو الانكليزيين واعد المدافع اللازمة للحاماة عن المدينة مجدداً قوله للشعب ان كارلس السابع اذا استولى على المدينة سيبيدها عن آخرها

وكانت جان لدى وصولها الى سان دانيس قد اعدت كل شيء للهجوم على مدينة باريس لكن حضور الملك ورجاله كان ضرورياً لاتمام ذلك فذهب اليه في ١ ايلول الدوق دي الانسون بنفسه في سنليس حيث كان منذ ٢٩ آب فرجع الدوق دون جدوى الا انه عاد الى سنليس في ٥ منه وبذل جهده حتى اقنع الملك بالمجيء الى سان دانيس ففعل واتى المدينة

في ٧ من الشهر المذكور فدخلها بين هتاف الجند وكان الشعب فرحاً معتقداً ان باريس امست في قبضة ايديهم بما ان الملك صار معهم · فعزم القواد بالاتفاق مع الفتاة على مهاجمة المدينة ليحاربوا اهلها ويحاصروها فمضوا وكانوا اثني عشر الف رجل ونيف ووقفوا حذآء الاسوار وكان الانكليزيون قد اتخذوا جميع الوسائل لرد الفرنسيين فحصنوا المدينة اي تحصين وبثوا الحراس والعيون في كل جهة وقصارى الكلام انهم كانوا في استعداد تام للمقاومة حتى الموت وكان الدوق دي الانسون قد انفذ رسلاً الى الباريسيين منذ وصوله الى سان دانيس يفاتحهم بامر تسليم المدينة فردوا طلبه رافضين مجاهرين بالعداوة اما الفرنسيون فكانوا يعللون النفس بحدوث ثورة في المدينة ضد الانكليزيين تخلصاً من شرهم وانتقاماً لملكهم الشرعي وفي كل حال كانت امالهم معلقة على بسالة جان وشجاعة جنودها الذين كانوا يزدادون تحمساً لدى رؤيتها ·

ففي يوم الخميس الواقع في ٨ ايلول الموافق عيد ميلاد العذراء عند الساعة ٨ صباحاً زحف الجيش الى اسوار المدينة فهجمت جان من جهة بستة الاف مقاتل مع رايس وغوكور وهجم الدوق دي الانسون من جهة اخرى بستة الاف رجل مع الكونت دي كلارمون وقد عهد الى هذه الفرقة الاخيرة حراسة الابواب لئلا يباغتهم العدو من وراء · فتقدمت جان مع رجالها الى باب سانتونوره وهناك ركزت مدافعها وبدأت ترمي القذائف على المدينة فاشتد القتال بينها وبين الباريسيين وهال امره فانقضت

الفتاة اذ ذاك على العدو واختطفت من احد الفرسان الانكليزيين سيفاً مرصعاً بالذهب ثم قبضت على علمها وامرت بالزحف الى الخنادق وكانت مضاعفة الاولى جافة والاخرى اقربية من السور كانت عميقة جداً وممتلئة ماء ولم تكن الفتاة عالمة بذلك بيد ان كثيرين من قواد الجيش كانوا عارفين بالامر وانما لم يخبروها بما كان حسداً ولؤماً · فبعد ان ملأت الخندق الاول صعدت بعد الظهر بساعتين الى حافة الخندق الثاني وجعلت تسبر غور الماء برمحها واذا بسهم رماها به احد الرماة فنفذ في فخذها وجند لها الى الارض فلم يفقدها ذلك شجاعتها وعزمها بل كانت تحرض رجالها على جلب ما يلزم من الاخشاب وجذوع الاشجار ليملأوا الخندق المذكور صائحة بهم قائلة « اقتربوا من الاسوار فتستولوا على المدينة » فلما راى ذلك لاتريموايل ومن كان من القواد من رأيه قصدوا خيانتها وغدرها فاشاروا الى الجنود الذين كانوا حولها بترك القتال وبالانصراف بغتة · اما هي فكانت تكرر عليهم قولها « اعلموا اني اما سادخل باريس اليوم واما ساموت هنا » فلم يكن منهم من يسمع لها بل تركوها جميعهم وبقيت وحدها و كان الظلام قد ارخى سدوله فارسل الامراء والقواد يتفقدونها فوجدوها واقفة مكانها فاشاروا عليها بالانصراف فأبت الا البقاء وفي آخر الامر مسك بها الدوق دي الانسون مع بعض الاشراف واركبوها على فرس وقادوها كرهاً الى المعسكر · فلما رأت هذا الانكسار قالت : « آه لو كنتم ثبتم على القتال لكنا ولا شك فتحنا المدينة » والحق يقال انه لو بقي الجيش امام الاسوار حتى الصباح لكان عمد

معظم سكانها الى الاستسلام لان احزاب كارلس كانوا قد اذاعوا الخبر في المدينة كلها وقت القتال بان جيوش كارلس انتصرت ولا يبقى لسكان المدينة الا التسليم فخاف الجميع ومالوا الى فتح الابواب وتسليم المدينة كما كانت جان قد وعدت الملك باسم قديستها

الفصل الثاني

في معاكسة الملك والمجلس لجان وفي اخذها سان بيارلي موتيه

انا لست بوحدي بل لدي خمسون الف محارب ولذا لا انصرف من هنا حتى آخذ المدينة (كلماتها لسلاحدارها)

ومن الغد وهو نهار الجمعة ٩ ايلول نهضت جان باكراً غير مباليـة بالم جرحها وقالت للدوق دي الانسون ان يأمر باستئناف الهجوم على باريس وبينما كانوا عَلَى اهبة الزحف جاءهم الكونت دين كلارمون والدوق دي بار حاملين اوامر الملك المشددة بالرجوع الى سان دانيس فامتثلوا الامر مكرهين وقاصدين العود الى الهجوم عَلَى المدينة من غير الجهة التي اخفق فيها الهجوم الاول اذ يمرون على الجسر الذي كانت جان قد انشأته عَلَى نهر السين قرب سان دانيس انما الملك الذي كان يريد ايقاف الحرب نهائياً امر بقطع الجسر المذكور في ليلة ١٠ ايلول وبذلك تمّ فوز سياسة لا تريمايل واعوانه عَلَى تدبير الفتاة فصار يستحيل عليها رد مدينة باريس على مملكة فرنسا.

وكان ان احتفل الملك في كيسة مدينة سان دانيس حيث مدفن ملوك فرنسا بجلوسه عَلَى العرش حسب العوائد القديمة ثم أمر بنهاية الحرب فعزم عَلَى الرجوع الى الوراء وعين الكونت دي كلار مون نائباً عنه في البلدان الخاضعة له الكائنة عَلَى جهة نهر السين اليمنى واقام الكونت دي فاندوم والامير دي كولانت حارسين لمدينة سان دانيس

اما الفتاة فاستولى عليها الحزن الشديد من جرى ذلك فانطلقت الى كيسة القديس دانيس وهناك اخذت تصلي بحرارة وبدموع سخينة امام جسمان شفيع المملكة الفرنسية ثم شكرت الله ومريم العذراء والشهداء عَلَى نجاتها من الموت وعلقت عَلَى احد اعمدة الكيسة شكتها والسيف المرصع بالذهب الذي كانت قد اختطفته من يد الانكليزي بباريس وكان ان افترق عنها غلامها الامين لويس دي كوت الذي كان اول رفيق لها والذي قاسمها الافراح والاحزان من شينون حتى سان دانيس فشق عليها ذلك جداً فكرهت السير مع الجنود وابت الا المكث في المدينة قاصدة الرجوع الى وطنها غير ان الامراء جعلوا يعزونها ويسلونها عما جرى لها في باريس شاكرين صنيعها هناك ومهنئين اياها بما ابدت من البسالة وبهذه الاقوال اجبروها بعد الجهد الجهيد عَلَى السير معهم فرخصتا لها القديستان في ذلك بعد ان كانتا امرتاها بالمكث في سان دانيس . وبعد ان مكث الملك مدة في جيان جاء بورج حيث كانت الملكة ماري دي انجو فنزلت جان عند احدى السيدات الشريفات اللواتي يتبعن الملكة واسمها مرغريتا لا تورولد فهذه اخبرت فيما

بعد عن فضائل جان موكدة انها لم ترَ حياتها كلها ابنة تضاهيها تواضعاً وعفافاً ومحبة لله وللقريب . وكان سكان بورج يه دون محادثتها والاقتراب منها اما الديوان الملكي فكان يجتهد في تغليل يديها عن العمل وعرقلة مساعيها للظفر وملاشاة اسمها وتشنيع صيتها فلم يبقَ عليها الا ان تذوق العذاب والموت حباً بملكها ووطنها وربها لانها رغماً عما كان يفعله ضدها اعداؤها الالداء لم تزل باسلة شجاعة فاضلة صابرة في البلايا غيورة على مرضاة الله وخير امتها وهذا ما يزيد في مجدها ويبقي عقداً كريماً يزدان بها جيدها

ومما زاد في حزن الفتاة امر الملك بفرط عقد الجيش فتفرق القواد في ٢٩ ايلول وذهب كل الى وجهته اما الدوق دي الانسون فجمع عدداً من رجال الحرب لاستعادة املاكه في نورماندیا ثم جاء الملك مستأذناً باستصحاب جان ليعهد اليها بامارة الجيش غير ان الديوان الملكي رفض عليه هذا الطلب معتذراً بانه يريد ارسال الفتاة لاسترجاع المعاقل والحصون الكائنة على نهر اللوار . فعادت جان اذ ذاك الى الحرب وبرحت بورج مع عدد غفير من رجال اورليان الذين اجتمعوا تحت امرة السيد دي البريت وذهبت بهم الى ازآء سان بيارلي موتيه وهناك اعدت رجالها وأمرتهم بالهجوم على المدينة فلم يستظهروا على العدو بادئ بدء وأصيب دي اولون سلاحدار جان بجرح بليغ في فخذه لكنه لما رأى الفتاة واقفة مع عدد قليل من الرجال خاف من ان يصيبها شر فطلب ان يركبوه فرساً رغماً عن جرحه ليأتي الى مساعدتها ولما وصل اليها قال لها : « ماذا تصنعين هنا وحدك ؟ » فاجابته : « انا لست

بوحدي بل لديّ خمسون الف محارب ولذا لا انصرف من هنا حتى آخذ المدينة » قالت هذا ورفعت خوذتها عن رأسها فاندهش السلاحدار لانه لم يكن يرى حولها سوى ثلثة او اربعة رجال فقط اما هي فكانت تعني بذلك الملائكة العديدين الذين كانوا يحيطون بها بدلاً من الجنود المحاربة من امام العدو قالت هذا وصرخت باعلى صوتها هاتفة : « ايتوا كلكم بحطب وجسور لنصنع ممراً » ففي برهة وجيزة تمّ الممر . فعبرت عليه مع رجالها وافتتحت المدينة عنوةً واخذ الرجال بالسلب والنهب . فلما رأت جان ذلك امرت باحترام الكنيسة التي كان الاهالي قد وضعوا فيها خير ما كان لديهم . فلما رأى مجلس الشورى ظفر الفتاة هذا خشي من ان يخولها هذا الفوز الغير المنتظر شجاعة جديدة لطلب الرجوع الى باريس لافتتاحها فافرغ وسعه في احباط مساعيها . اما هي فاخذت تجول في المدن المجاورة لجمع الجيوش اللازمة والمؤن الضرورية لهم وانفذت رسائل حيث لم تستطع الذهاب وشاركها في ذلك السيد دي البريت نفسه

وفي اثناء ذلك كانت جان في مونفوكون فجاءتها امرأة اسمها كاترينا دي لا روشيل وكانت تزعم انها ترى رؤى بيماوية قائلة : « ان سيدة جميلة متوشحة برداء ذهبي تظهر لي ليلاً وتأمرني بالجولان في المدن الكبيرة ومعي منادون يصرخون من له ذهب او فضة او كنز فليحضره نفقة على عسكر الفتاة منقذة فرنسا وان ابطأ احد في تتميم هذا الامر او اخفى قسماً مما عنده عرفته دون شك وعلمت ما اخفى واين اخفاه » اما جان فعرفت انها لمرأة

خداعة ماكرة فنصحت لها قائلة : « عودي الى بيتك حيث بعلك ينتظرك لترتيب منزلك واعالة اولادك » فلم تخضع المرأة لامر الفتاة بل اصرت على قولها فسألتها جان مستهزئة قائلة: « انظهر لك هذه السيدة الجميلة كل ليلة ؟ » فاجابتها نعم فقالت لها « اتأذنين لي ان ابقى معك هذه الليلة لانظرها انا ايضاً » فاجابتها لا بأس من ذلك فباتتا معاً وسهرت جان الى منتصف الليل ثم نامت ولما كان الصباح سألتها قائلة : « هل حضرت سيدتك ؟ » فاجابتها نعم انها حضرت بينما كنتِ نائمة ولم استطع ان اوقظك فقالت لها الفتاة « وهل تحضر الليلة القادمة » فاجابتها نعم فأعدت الفتاة نفسها بنومها ذاك النهار لتقوي عَلَى السهر الليل الآتي كله وما اتى الليل حتى شرعت جان تتهكم عَلَى المرأة المدعية النبوة قائلة لها : « متى تحضر سيدتك الجميلة » فكانت المرأة تجيبها وحمرة الخجل تعلو وجهها عما قليل ترينها فلم تحضر ولم ترها جان فظهر كذب المرأة وبانت حكمة جان اذ لم تكن تصدق الوحي والرؤى والنبوات الا بعد الاطلاع عَلَى البراهين الدامغة التي تؤيدها وتزيل عنها كل شبهة . وكان كارلس نفسه قد سأل الفتاة عن هذه المرأة وعن وحيها فاجابتهُ بعين الكلام الذي قالته لها قد يستاها عن ذلك : « ان هذه المرأة هي حمقى وكل كلامها حمق وخلط » اما كاترينا فلم يكن غضبها على جان من جرى فضح امرها باقل من غضب احد حاشية الملك الاخ ريشار الذي كان يصدق زعم كاترينا فانحازا الى عدد اعداء الفتاة الالداء . وكانت الساعة قد حانت للتوجه الى لاشاريته لمحاصرتها فعرضت جان عَلَى المرأة المذكورة الذهاب معها

فرفضت متعللة بشدة البرد هناك فذهبت المرأة وشأنها وسارت جان ورجالها في ٢٤ ت ٢ الى لاشاريته فلم يسعدها الحظ بالانتصار بل انكسرت لقلة عدد الجيش الذي معها ولعدم اجابة مجلس الشورى الى طلبها عند ما سألته المدد . فهو لم يرسل اليها مدداً لانه كان يضمر لها شراً . فأصبحت المنتصرة مكسورة لكنها صابرة والقاهرة مقهورة ولكنها لامر ربها خاضعة فسر عدوها الالد لاتريمويل وفرح بهذا الانقلاب وهو يأمل ذلها وانحطاطها بل هلاكها فنعمت الفتاة وبئس الرجل . فلما رأت جان كسرتها ومقاومة اعوان الملك لها وترك الملك اياها ذهبت الى جارجو وهناك صادفت كاترينا النبية الكاذبة وهي تدعي المقدرة على عقد معاهدة الصلح مع الدوق دي بورغونيا وحينئذٍ قالت لها الفتاة هذا الكلام السامي الدال على صدق وطنيتها وسداد رأيها وهو : « لا صلح ولا سلام الا على اطراف الاسنة » اجل ان هذا الكلام صدق وحق لان الدوق دي بورغونيا كان بعيداً جداً عن قبول الصلح باطناً وان تظاهر بالخلاف ولذلك كان البابا مرتينوس الخامس نفسه قد افرغ كنانة وسعه في تحقيق هذه الامنية بين كارلس السابع والدوق المذكور فلم يستطع واليك نص الرسالة التي كان البابا المتقدم بالذكر قد انفذها الى الدوق المومأ اليه قال :

انا منذ ارتقائنا الى السدة البطرسية ونحن نجد في السعي بنشاط لا يعرف الملل بواسطة كثيرين من نواب الكرسي الرسولي وسفرائه في القاء الصلح بين انكلترة وفرنسا حسب ما هو متوجب علينا نظراً لوظيفتنا السامية واتماماً لرغبة قلبنا الشديدة . فاذا لم يكن لحد

الا ن من يقبل ما القيناه من كلمات السلام الذي طالما رغبنا فيه ولا من يصغي الى توسلاتنا ولا من يتفجع لتفجعنا فلم يقدر شيء ان يضعف فينا هذه الرغبة في اتمام هذا الصلح الجزيل الفائدة لا قلة الامل بالحصول على هذا المرغوب ولا الموانع العديدة التي صادفناها في هذا السبيل بل بعكس ذلك كنا كلما نعلم بازدياد الشقاء بين المومنين ونطلع على تعاسة المملكتين العظيمة ونسمع بارافة دماء الكثيرين في هذه الحرب الهائلة كنا نشعر بازدياد هذه الامنية فينا فاصبحنا لا نستطيع التفكر في الاهوال التي حاقت بالشعبين وضيقت عليهما اي تضييق والتي ستضيق عليهما بنوع اشد ان لم تضع رحمة الله لها حداً دون سكب العبرات السخينة

فبناء على هذه الرغبة التي تستعر نيرانها في قلبنا في ان نرى السلام الخلاصي سائداً باقرب ما يمكن نكتب اليك اليوم ايها الابن الحبيب كما كتبنا اليك مراراً كثيرة بهذا الشأن مع علمنا اليقين بان لك فيه ايد الطولى وقد علمنا مؤخراً عن ثقة بان اخصامك ميالون بالهام الله الى صلح تحفظ فيه شرائع العدل والشرف ولا يمكن رفضه دون اثم لكن ربما اعوانك يرفضونه كما يظن الكثيرون ولذلك اتينا اليوم نستحث شهامتك بكل محبتنا الابوية وباسم يسوع المسيح الذي قال لتلاميذه عند رجوعه الى ابيه السماوي: السلام استودعكم سلامي خاصة اعطيكم « يو ١٤ : ٢٧ » فنستحلفك ان تميل انت ايضاً قلبك الى هذا السلام المرغوب وان تنعش هذه العاطفة وتحيي هذه الارادة في قلوب اعوانك واكد ان هذا السلام ستكون منفعته جزيلة لان المستفيدين منه عديدون

لكن اذا كان اولئك الرجال يصرون بعناد على دوام هذه الحرب التي ستدمر ولا شك بلداناً عديدة والتي ستلقي الشعوب في اليأس والتعاسة مسببة اهانة فظيعة لله تستحق عقاباً صارماً وخسارة جسيمة لا تعوض للاسم المسيحي افتكر انت في ما يجب عليك اجراؤه لكي تجعل ضميرك في راحة وحتى لا تكون امام الله والناس السبب الوحيد لكل هذه الشرور. اما نحن فلا نرى شيئاً يوازي هذا الخير العظيم العام ولا يمكن ان يُفضل عليه امر من الامور ولذلك نستحلفك بخلاص نفسك التي يتهددها خطر هلاك ابدي اذا كنت ترفض السلام على عدد غفير من المسيحيين مع كونك قادر على اعطائه ان تقبل نصيحتنا

ولقائل ان يقول : يجب عَلَى الانسان المحافظة عَلى مواعيده وعَلَى اعوانه : فنحن نقول ايضاً بذلك ونقرُّبه بشرط ان لا يكون فيه ثَمَّ مايغيظ الله الذي يجب علينا ان نحافظ على كرامته اكثر من محافظتنا عَلَى كرامة البشر. لانه وان كان من المحتوم علينا حب الوطن والرغبة في اعادة الممالك الموروثة وتأييد رباط القرابة فلا نغفل مع ذلك عن مخافته تعالى ولا ننسى انه من اللازم ان نخشى احكامه عز وجل اكثر من اقوال البشر الذين غالباً ما يكون ذمهم صادراً عن الاميال والاهواء المنحرفة لا عن الحقيقة والصدق فاعلم اذن ان الخير الناتج عن هذا الصلح للاسم المسيحي عظيم وعام ولذا يكون لك فخر باذخ ومجد باهر ان سعيت في اتمامه و بذلك تنال مديح ملوك الارض كلها وثناءهم البليغ

فاذا كان البابا نفسه لم يستطع حمل فيليب لي بون على عقد معاهدة الصلح فكيف تستطيعه امرأة حمقى مثل كاترينا دي لا روشيل ؟ ولذا كان كلام جان دارك حقاً حين قالت «لا صلح ولا سلام الا عَلَى اطراف الاسنة»

الفصل الثالث

في تقليد الملك جان واسرتها لقب الشرفاء
وفي كيف غُدرت وأسرت

يا اولادي واصحابي اعلموا انهم غدروني وعما
قريب سأسلم الى الموت ولذلك اسالكم ان
تصلوا الى الله من اجلي (كلماتها لسكان كومبيان)

قلنا ان كارلس كان قد مال الى اتباع ارآء اعوانه تاركاً آراء الفتاة التي ارسلها الله لنجاته والهمها كل ما به خير بلاده فبئس ما فعل ولكنه مع ابعادها عنه ابى الاَّ مجازاتها ورفع اسمها قضاء لواجب معرفة الجميل فتكريم عليها

باغنى منزل وامتن سلاح وافخر ثياب واجود خيل معاملاً اياها هكذا معاملة كبار الاشراف ولم يكتفِ بما تقدم بل اصدر امراً في ما هون سوريافر به يقلد فتاتنا واسرتها لقب الشرفاء ويخصها بانعام لم يسبق له مثيل في تاريخ فرنسا قوامه ان لذريتها ذكوراً كانوا ام اناثا حق توريث لقب الشرف لاولادهم واليك نصه :

تقليد لقب الشرفاء لجان دارك واسرتها

من كارلس السابع

نحن كارلس بنعمة الله ملك فرنسا نحكم انه من الموافق الصوابي ان نرفع الفتاة جان دارك من دومريمي من اقطاعة شومون وما يتعلق بها وسائر اسرتها الى مقام سام جدير بعظمتنا الملكية تخليداً لحادث ... (١) وتمجيداً للحكمة الالهية السامية على آلائها العديدة الباهرة التي شاءت اسباغها علينا بواسطة فتاتنا هذه العزيزة والمحبوبة منا كثيراً والتي لنا الامل العظيم من الرأفة الصمدانية بازديادها علينا في مقبل الايام وذلك ليس فقط اقراراً بما اتته هذه الفتاة من الايادي البيضاء بل ايضاً شكراً للذات الربانية التي لم تطوق جيدها بقلادة هذا الشرف الباذخ الا لكي تخلف لذريتها آثار المجازاة الصادرة عن سخائنا السلطاني انماء لمجده تعالى واشهاراً لنعمه الغزيرة وتخليداً لها مدى الادهار

فبناء عليه نعلم الجميع في الحال والاستقبال اننا اعتباراً لما ذكر وللخدم الجليلة المفيدة التي ادتها الفتاة الموماً اليها لنا وللمملكة في الماضي في ظروف شتى والتي ستؤديها في المستقبل ولغير ذلك من الاسباب التي تحملنا على ما نحن فاعلون قد قلدنا بتمام المعرفة وبسلطتنا العظمى برسالتنا هذه وبانعام خاص منا ونقلد نعلاً الآن لقب الشرفاء الفتاة المتقدمة بالذكر وابويها يعقوب دارك من دومريمي وامرأته ايزابيل واخوتها جاكمان ويوحنا وبطرس وجميع اسرتها ونسلها واكراماً لها نريد ان تتمتع بهذا الانعام نفسه جميع ذريتها من

(١) يظن ان ناسخ هذا الامر اهمل هنا ذكر كلمة وهي « فائق الطبيعة »

ذكور واناث المولودين والذين سيولدون من زواج شرعي

ومن ثم نريد ارادة صريحة ثابتة ان يعتبر الجميع الفتاة المنوهة بالذكر و يعقوب وايزابيل وجاكمان و يوحنا و بطرس وجميع ذريتهم ونسلهم المولودين والذين سيولدون منها او من المذكورين في عداد الشرفاء وان يعاملوهم كالشرفاء في جميع اعمالهم سواء كان في المحاكم او خارج المحاكم. ونريد ايضاً ان يتمتعوا بسلام بالانعامات التي يتصرف بها عادةً جميع شرفاء مملكتنا المولودين من اصل شريف وان يتصرفوا بالحرية والامتيازات والحقوق التي يتصرف بها هؤلاء . ونريد ان يكون لهم ولذريتهم حق ثابت في حالة شرفاء مملكتنا ذوي الاصل الشريف رغماً عن كونهم ليسوا من اصل شريف حتى ولو كانوا من حالة ليست بحالة حرة كما يقال وان يقبلوا هم واسرتهم وذريتهم ونسلهم سواء كانوا من ذكور او اناث اسلحة او أوسمة من اي رجل حربي كان وذلك على قدر ما يريدون ومتى ارادوا . ثم نمنحهم وذريتهم من ذكور واناث المولودين الان والذين سيولدون في المستقبل من زواج شرعي حق التزوج بالاشراف وان يقتنوا اخاذات واراضي خاضعة لاية اخاذة كانت ومهما كانت وما أشبه مما لا يختص الا بالاشراف وان يخنصوها بذواتهم وان يحفظوها ماشاؤوا سواء كانت في حوزتهم الان او في الاستقبال دون ان يلجئهم احد الى تركها الان او فيما بعد بداعي الاصل الشريف او الى دفع جزية باي نوع ارادوا اجبارهم الى ذلك لا لنا ولا لخلفائنا وذلك من اجل هذا الانعام الذي تكرمنا به عليهم فنحن اكراماً لسلفائهم واعتباراً لهم ننعم عليهم وعلى ذريتهم بنعمة خاصة وعن طيبة نفس منا بان يكونوا معفين ونعفيهم الان فعلاً برسالتنا هذه من كل جزية رغماً عن كل امر ونظام وحكم وعادة وفسخ واستعمال ونهي ومرسوم مخالف لامرنا في الحال او الاستقبال

فنحن نعلم والحالة هذه بما تقدم جميع اصحابنا واصدقائنا وجباة مالنا ووكلاء خزينتنا من مفوضين ومأمورين ونعلم حاكم اقطاعة شومون وجميع رجال الحكم في مملكتنا ونوابهم في الحال والاستقبال ونعلم كل واحد منهم فرداً فرداً بحسب وظيفته ان يترك و يدع الفتاة المذكورة جان و يعقوب وايزابيل وجاكمان و يوحنا وبطرس وسائر اسرتهم

وذريتهم وجميع نسلهم المولودين الان والذين سيولدون في المستقبل كما ذكرنا من زواج شرعي ان يتمتعوا بامن وسلام بهذا الانعام الذي يخولهم لقب الشرفاء وان يتصرفوا به الان ودائماً بحسب منطوق رسالتنا هذه ولا يجوز لاحد ان يمنعهم عن ذلك ابداً ولا ان يزعجهم ولا ان يدع احداً ايًا كان ان يمنعهم او يزعجهم او ان يعاملهم بنوع يخالف امرنا هذا

ولكي يكون هذا الامر ثابتاً دائماً وابداً ونافذاً في كل حال قد ختمناه بختمنا الخاص اذ ليس لدينا الان خاتمنا الملكي الكبير العادي ونحن بذلك لانريد ضرر احد ايًا كان ولا بنوع من الانواع

أعطي في ماهون سوريافر في شهر ك ١ سنة ١٤٢٩ اوهي الثامنة لملكنا

ثم انه منحها حق اتخاذ شعار يمثل سيفاً مجرداً في حقل سماوي اللون وعليه اكليل ملكي يحيط به زهرتا زنبق ولكنها لم تستعمله قط بل بقي ذلك ذكراً مخلداً لذلك البيت الذي أخرج منقذة فرنسا العظيمة . ودام هذا الشعار لذرية دارك الى سنة ١٦٣٣ حيث اصدر مجلس الندوة امراً به يخصص التمتع بالانعام الذي تكرم به كارلس السابع بذكور اسرة دارك دون الاناث لئلا يكثر النسل الشريف

اخيراً ضرب كارلس السابع اكراماً لجان وتخليداً لذكرها ايقونة تمثل من جهة صورة الفتاة ومن جهة اخرى يداً مشهرة سيفاً وحولها هذه الكلمات « قد عضدتها ارادة الرب »

كل ذلك لم يشغل جان عن الاهتمام باخذما بقي من بلادها في ايدي الاعداء فكانت تقاسي مر العذاب من جرى تلك الراحة التي كان الملك قد امرها بها دون ان تبدي ادنى حركة في سبيل الحرب . فذهبت الى اورليان لترى ما

يجب فعله ثم اخذت تجول في المدن المجاورة لاورليان · فعلم بذلك لاتريمويل الخبيث فخشي من ان تتسلط الفتاة عَلَى قلب الملك ثانية وتعود به الى الحرب فسعى لدى الملك ليرسلها الى قصره في سولي سورلوار وهناك عانت مضض العزلة مدة طويلة وهي تحن الى اتمام العمل حنين الثكلي حتى اصبحت كفي سجن موءلم او قبر مظلم · وبينما كانت جان تذوق المرائر الوانا في عزلتها كان تريمويل الخبيث يحتال عَلَى الملك بجميع الوسائل لكي ينسيه اياها

وكانت المفاوضات دائمة بين فيليب لي بون والملك وكانا قد اتفقا عَلَى ارسال معتمدين من قبل كل منهما للمذاكرة في اوكسير فاحتال الدوق دي بورغونيا على الملك ونال منه ان يمدّد حتى عيد الفصح الهدنة الممنوحة اولاً الى عيد الميلاد فرأت الفتاة في ذلك خطراً عظيماً على بلادها · وكانت الحرب تتقد نارها في بلاد ايلديفرانس فدبت فيها روح الحماسة فعزمت على معاداة شورى الملك وتركهم وشأنهم متوجهة وحدها الى الحرب غير هيابة · ففي اواخر شهر اذار سنة ١٤٣٠ خرجت سراً من قلعة سولي عند الصباح دون استئذان الملك بحجة التنزه في الخلاء فلما ابتعدت عن القصر اصبحت حرة فقصدت لانيي سورمارن · وحالما وصلت اليها جاءها اناس يسألونها ان تأتي الى الكنيسة لتتوسل الى الله من اجل طفل ولد ميتاً منذ ثلاثة ايام ولم يستطع ابواه تعميده فجيء به امام صورة العذراء واجتمعت الفتيات حوله يصلين ويبتهلن من اجله فلما سمعت السيدات بقدوم جان بعثن اليها يسألنها ان تأتي لتضم صلواتها الى صلوات الفتيات من اجل الطفل المذكور

فجاءت جان الكنيسة وصلت الى الله بحرارة فللحال بدت علامات الحياة على وجهه فتنآب ثلاثاً وعاد الى وجهه لون الحياة بعد ان كان قد علاه سواد الموت ويئس الجميع من حياته فمدوه بعجلة وبعد ذلك اسلم الروح ودفن دفنة المسيحيين . ولما سأل قضاة مدينة روان الفتاة اذا لم يكن الشعب في تلك المدينة قد نسب هذه المعجزة الى صلواتها فاجابتهم بسذاجة واتضاع حسب عادتها قائلةً : « اني لم استقص عن ذلك »

ولم يكن شيء ينسيها متابعة الحرب ولكنها كانت عالمة باحتياجها الى رجال حربيين فجمعت نحو ثلاث اربعمائة رجل وهيأتهم للقتال وكان البعض في باريس يميلون الى الفتاة ويريدون ان يفتحوا لها ابواب مدينتهم خفية عن الاعداء فاكتشف الانكليزيون والبورغونيون على هذه الدسيسة وقبضوا على ١٥٠ رجل منهم جاكيه غيليوم الذي كانت جان تودّه كثيراً

وكان في ذلك الوقت رجل من حزب بورغونيا وهو من اصل شريف ولكنه خداع شرير قضى حياته في ارتكاب الجرائم والفظائع في ايلديفرانس وكان مراده دخول باريس واسمه فرانكه دي اراس وكان معه اربعمائة جندي من الاشداء الابطال فهاجمته جان فأمر رجاله بالاصطفاف على النمط الانكليزي الى جانب سياج كان هناك فنشبت المعركة وسالت الدماء فانكسرت جان اولاً لكنها عادت فغلبت على هؤلاء الاعداء الذين منهم من قُتل ومنهم من أُسر ومن جملة المأسورين كان فرانكه ذانه فخطر في بالها اولاً ان تبادل عليه بجاكيه غيليوم الذي كان اسيراً عند الانكليزيين فعارضها حاكم مدينة لانيي

وطلبه للمحاكمة على جرائمه العديدة وافهمها ان جاكيه غيليوم قد مات وانها اذا رفضت تسليم فرانكه الى القضاء اخطأت الى العدل فسلمت اليه الرجل الذي بعد ان حوكم مدة ١٥ يوماً حكم عليه بقطع الرأس قصاصاً للفظائع التي ارتكبها فكانت جان بريئة من دمه .

وبعد ان قضت الفتاة الاعياد الفصحية استانفت السعي في جمع رجال للحرب فتوجهت الى ميلون وكان الانكليزيون قد تركوها للفرنسيين وبينما كانت في ١٥ نيسان سنة ١٤٣٠ تتفقد خنادق المدينة ظهرت لها قديستاها وقالتا لها : « ان العدو سيقبض عليكِ ويستأسركِ قبل عيد القديس يوحنا » فارتعدت فرائص الفتاة لدى سماعها هذا الوحي المحزن فشجعتها القديستان قائلتين : « اقبلي هذا القضاء بسرور ان الله سيؤتيكِ العون » ومنذ ذلك الحين كانت تتردد هذه النبوة على مسامعها وتجعلها تغوص في ابحار الهواجس والاضطراب الانها كانت منتظرة وقوعها بتسليم كلي لارادة العلي القدوسة طالبة اليه تعالى القوة اللازمة لشرب كأسها بفرح

وكان الملك غير مبال بما جرى لجان بل تركها دون عون ولا مساعدة فاصبح بذلك شريكاً لاعدائها في عرقلة مساعيها الآئلة الى خلاص البلاد وسعادتها . اما الدوق دي بورغونيا فاغتنم هذه الفرصة وانتقل الى كومبيان للنظر في اتمام مقاصده الموجهة ضد الملك والمملكة معاً فخرج من بيرونه وسار الى غورناي فشوازي فعلمت الفتاة بقدومه وارادت الحمل عليه بالف فارس في تلك المدينة لانقاذها من بين يديه فانضم اليها حينئذٍ رينودي بشارتر

والكونت دي فاندوم واوعزا اليها ان تذهب برجالها الى سواسون فتعبر نهر الأين بسهولة ولكن هذا الرأي كان وراءه خطر عظيم اذان والي مدينة سواسون غيليوم بورنيل كان قد اوعز الى سكان المدينة ان لا ياذنوا بالدخول الى مدينتهم الا للفتاة ولرينودي شارتر وللكونت دي فاندوم مع بعض الجنود فقط واما الاخرون فيبقونهم خارج الاسوار فرضخوا للشروط ودخل من ذكر ليس غير ولما اغلقت الابواب انفق بعض الخونة مع وزراء كارلس السابع ليقنعوا عسكر الفتاة بتركها وحدها والرجوع الى الوراء على نهري المارن والسين . فانقاد العسكر الى هذا الرأي الاثيم ولما عادت الفتاة تستنجد رجالها لم تجد احداً فعلمت ان الاثم قد انتصر وحانت ساعة العذاب فلعنت الخيانة التي حرمتها الانتصار التام على اعداء بلادها وتشجعت متكلة على الله وسارت الى كومبياين نهار السبت في ١٣ ايار

وعند الصباح ذهبت الى الكنيسة لاستماع القداس الالهي في معبد القديس يعقوب حيث اعترفت وتناولت القربان ثم اختلت في احدى زوايا الكنيسة لتصلي وتبوح بسر قلبها لفاديها الحبيب شاكية اليه بدموع خيانة البشر الاشرار . وبينما هي على هذه الحال احاط بها القوم وبينهم ١٢٠ من الاولاد الصغار فرفعت جان نظرها اليهم قائلة لهم : « يا اولادي واصحابي اعلموا انهم غدروني وعما قريب ساسلم الى الموت ولذلك اسألكم ان تصلوا الى الله من اجلي » فاثر هذا الكلام في جميع السامعين

ولما كان الليل ذهبت الفتاة مع من بقي معها من الرجال الى شوازي

لتخلصها من الحصار فهجمت على مدينة تدعى بونليفاك فظهر لها الانتصار قريباً الاَّ ان الجنود الذين اتوا من نويون في الوقت المناسب الجأوا جان الى العدول عن انجاد مدينة شوازي التي وقعت في يد العدو فتبدد حينئذٍ عسكر الفتاة وانسحبت هي الى كرابي في قالوا

اما كومبياين فمشيدة على شاطئ نهر الواز الايسر المتصل بالشاطئ الآخر بمعبر وعلى الجانبين رصيف واسع يشرف على مرج ويجتاز منه الى تل مقابل . وكان عند مدخل المرج في اول المعبر فوق الرصيف استحكام بناه الاعداء لصد الهجمة عن المدينة وفي طرف الرصيف كانت قرية مارنيي حيث كان جيش البورغونيين مخيماً تحت قيادة بودوت دي نوابل وكان لهم معسكر آخر في كليروا تحت قيادة يوحنا دي لوكسانبورغ وآخر في قرية كودون تحت تدبير الدوق دي بورغونيا وكان الانكليزيون معسكرين في جهة الغرب في محل يدعى ڤينات

ففي ٢٢ ايار علمت جان باستعداد فيليب لي بون لمحاصرة كومبياين فأعلمت رجالها بانها عازمة على الهجوم ليلاً على المدينة ولما انتصف الليل قاموا وهموا بالسير طبقاً لاوامر الفتاة فقيل لها اذ ذاك : « الا ترين ان جنودنا قليلون فكيف نستطيع المرور بين جيوش البورغونيين والانكليزيين ؟ » فاجابت قائلة : « كلا ان عدد رجالنا كاف فلا بد لي من ان اذهب لاشاهد اصحابي في كومبياين » قالت وامرت بالسير فساروا وعند الفجر وصلوا الى كومبياين وبعد ان اخذوا قليلاً من الراحة اشار غيليوم دي فلافي على جان بمباغتة

العدو في اليوم نفسه اي في ٢٣ ايار وكان مراده بذلك ايقاع الفتاة في ايدي الاعداء. فكان من المرائين المخاتلين . فلم تترب جان من هذا الرجل بل حسبته مخلصاً فاذعنت لرأيه الذي استحسنه جميع سكان كومبياين فقاموا قومة واحدة نحو الساعة ٥ بعد الظهر وحملوا على البورغونيين فعوضاً عن ان يباغتوهم كما زعم غيليوم دي فلافي بخبث ورداءة وجدوهم على اتم استعداد للمقاومة وفي مقدمتهم يوحنا دي لوكسانبورغ فلما رأت الفتاة ما كان صاحت برجالها قائلة لهم بحماسة : « تقدموا باسم ربي ولا تهابوا » وعندها قرعت اجراس كومبياين فتشجع الجند وهجموا على البورغونيين ودحروهم الى مارني فخرج عسكر كليروا الذين كانوا كامنين للفرنسيين وراء مارني وطاردوهم فاراد القواد الانهزام من امام العدو وحرضوا جان على اتباعهم فقالت لهم : « اصمتوا ولا تنطقوا بمثل هذا الكلام . ان النصرة لكم ان ضربتموهم دون خوف » ثم شددت عزائمهم بكلام كله حماسة مقدسة وغيرة صادقة على صوالح الملك والبلاد فانتعشت الشجاعة في قلوبهم فانقضوا على الاعداء ولكنهم لاقوا منهم بأساً لا يقاوَم وبسالة لا تغلب فعادوا منكسرين وتبددوا شذر مذر وخصوصاً لما رأوا الانكليزيين خارجين من فينات فذعروا واستولى عليهم الخوف الشديد واضاعوا رشدهم وانهزموا متشتتين . اما فلافي فخاف على المدينة فأمر بايصاد بابها ورفع المعبر واما جان فكانت مع خمسة او ستة من رجالها الابطال متابعة القتال في السهل . ولما رأت ان الدخول الى المدينة مستحيل عليهم من المعبر عزمت على المرور بين جيش الاعداء المخيم بالمرج ففعلت لكنها لم تستطع

التخلص من ايدي الاعداء. فوقفت في وجوههم بشجاعة لا توصف وقصدت صدرهم فاحاطوا بها احاطة الذئاب بالنعجة ومد احد الفرسان يده فجذبها بثوبها القرمزي المطرز بالذهب بعنف فامالها عن فرسها فوقعت عَلَى الارض فوثبوا عليها وثبة واحدة قائلين : « اخضعي لنا اخضعي لنا » فاجابتهم بشهامة « كلا اني خاضعة لغيركم فلا انكث له عهداً » وهي تريد ختنها الالهي يسوع المسيح الذي كان قلبها مضطرماً بحبه . فاسروها حينئذٍ غير مقهورة واسروا معها بطرس دارك ويوحنا دي اولون والاب باسكيريل وبوتون الذين كانوا معها وذلك في ٢٤ ايار سنة ١٤٣٠ وهكذا انتهت بعثة جان العجيبة بعد انقاذ اورليان بسنة واحدة لتتم نبوتها القائلة : « لا تطول مدتي الا سنة واحدة او نحو ذلك » ففرح الانكليزيون بأسرها ووقوعها في ايديهم لاعتبارهم انهم بأخذها انتصروا عَلَى اكبر اعدائهم واشدهم بأساً واقدرهم فعلاً . كيف لا وقد قيل في اوروبا كلها هذا الكلام الذي انتشر في الارض جمعاء والذي لا تزال السنة البشر تردده بحق وصواب وهو : « ان الله لقد انتصر للامة الفرنسية وعضدها في ضيقاتها بواسطة هي اعجب العجائب واغرب الغرائب التي جرت تحت نور الشمس »

اما غيليوم دي فلاني الذي غدر جان وخانها بتحريضه اياها عَلَى مباغتة العدو ثم بايصاده في وجهها باب المدينة ورفعه امامها المعبر ليمنعها عن الدخول الى المدينة فعاقبه الله على اثمه هذا الفظيع وعلى فظائع حياته السالفة اذ حنقت عليه امراته نفسها يوماً فاضمرت له شراً فاوعزت سراً الى الحلاق الذي كان يحلق

له لحبته ان يذبحه بالموسى التي بيده ففعل فقامت هي حينئذٍ وجعلته تحت الفراش وجلست فوقه حتى خنقته فمات شر ميتة فكان ثمه سبباً له للتعاسة ولجان سلماً لتصعد بها الى ذروة المجد والسعادة

الفصل الرابع

في ذكر ماجرى لها في السجن

سلمي امركِ الى الله ايتها الابنة العزيزة فانه
تعالى يساعدك وينجي سكان كومبيانين
من مكايد العدو (كلمات القديستين لجان)

وقعت جان في ايدي اعدائها فسلمها دي فاندوم الى سيده يوحنا دي لوكسانبورغ مع ان شرائع الحرب كانت تقضي عليه بابقائها عنده اما لوكسانبورغ فلم يكن يستطيع الحكم عليها دون رضى الدوق دي بورغونيا وكان هذا الاخير عند سماعه بخبر الحرب قد جاء مارنيي فاراد مشاهدة جان الاسيرة ويقال انه حادثها طويلاً على ان التاريخ لم يذكر شيئاً من تفاصيل هذه المواجهة ويرجح ان الفتاة وبخت الدوق على خيانته لبلاده وأمته .

وقد كان المنتظر انقاذ الفتاة من الاسر بفدية كما هو مالوف وجارٍ في مثل هذه الظروف فضلاً عن ان ذلك كان فرضاً واجباً عَلَى كارلس والوطن لكنَّ الملك لازم الصمت جبانة فكان اكبر ناكر لجميل من انقذته وبلاده من الاسر والعبودية . وعَلَى فرض انه كان في عزمه ان يبدي ما يتوجب

عليه لانقاذ الفتاة كان لاتريموايل يتكفل بصده وممانعته عن اتمام هذا الواجب المقدس . اما انكلترة فكانت ساعية في الحصول عَلَى الفتاة لاهلاكها وكانوا قد لفقوا عليها في ٢٦ ايار دعوى افكية ينسبون اليها الكفر والسحر ويطلبونها من الدوق دي بورغونيا لمحاكمتها وقد شفعت كلية باريس المسخرة وقتئذٍ لانكلترة هذا الطلب بعرض حال يؤيده . وكان مستشارو الملك فرحين باطناً بسقوط جان في يد العدو لكنهم افرغوا جهدهم في اخفاء ماتكنه قلوبهم ساعين لتخفيف اشجان الفرنسيين وابعاد الهلع عنهم فانفذ رينو دي شارتر كاتم اسرار الملك رسالة الى سكان ريمس ليعزيهم قال :

... اسرت جان الفتاة امام كومبياين لانها استقلت بارائها ولم تعمل بنصيحة مستشاري الملك .. وان الله سمح بوقوع جان الفتاة في يد العدو اسيرة لانها كانت قد تشامخت بنفسها لتوشحها برداء موشى بالذهب مزخرف ولمخالفتها ارادته تعالى استقلالاً بآرائها .

ياله من بهتان فظيع ! كيف يتجاسر هذا الرجل على تسطير كتابة مثل هذه ضد من أقرّ الجميع بفضلها وشاهدوا مشاهدة العين اعمالها السامية وتحققوا ان كل ما عملته كان بأمر الله وقديستيها ؟ فلا نعجب من هذا الافتراء . فانه حجة رجل محتار في أمره ليتخلص من الامة . فهو يريد ان يعتذر عن ذنبه وذنب اعوانه لتضحيتهم الفتاة الباسلة عَلَى مذبح اهوائهم واطماعهم الفاسدة لكن الشعب الفرنسي كان حافظاً لمنقذته ذكراً لا يمحى . فقال اسقف دامبرون لكارلس السابع « ايها الملك لك واجب مقدس يجب عليك

قضاؤه في هذه الظروف لانقاذ جان » واقيمت الصلوات الحارة الى الله في جميع الكنائس لنجاة الفتاة

وكان يوحنا دي لوكسانبورغ قد خشي مداخلة لاهير او كسانترايل وسعيهما في انقاذ الفتاة من الاسر فأمر بارسالها الى قصر بوليو حيث كانت جيوشه وهو على بضعة مراحل من كومبيين . فلدى وصولها سرّت سروراً عظيماً بلقاء سلاحدارها النشيط يوحنا دي اولون الذي التمس ونال الاذن بخدمتها مدة بقائها في ذلك المكان . لكنها لما رأت ذاتها في ذلك السجن ولا امل لها بالنجاة فكرت في ان تهرب سراً ترجع الى محاربة اعداء بلادها فحاولت الخروج من البرج من ثقب بين جسرين فتمكنت من العمل الا انها لما صارت خارج البرج وارادت السير ابصرها السجان فرجع بها الى السجن . ولما علم يوحنا دي لوكسانبورغ بذلك امر بنقلها الى قلعة بوروفوار الحصينة حيث كان مقيماً مع اهل بيته . فاحسنت زوجته وعمته واحدى نسيباته استقبالها وعطفن عليها واحببنها وبالغن في اكرامها والاهتمام بها حتى علق قلبها بهن واصبحت شاكرة لهنّ وكنّ قد أغرمن بحبها لفضيلتها وتقواها وطهارتها ولذلك اردن انقاذها من الموت فاشرن عليها بان تنزع عنها ثوب الرجال لتلبس ثوب النساء فاجابتهن بكل اسف قائلة : « اني لا استطيع ذلك لان سيدنا لم يسمح لي به » وكيف كان يمكنها تغيير ثوبها وهي قد اتخذته بأمر الله حفظاً لطهارتها وابتعاداً عن المخاطر المحدقة بها؟ هذا فضلاً عن انها لم تكن تنزع من عقلها فكر العودة الى الحرب يوماً للمحافظة على وطنها

ولما كانت جان قد سقطت في يد العدو ازاء مدينة كومبياين على شاطيء نهر الواز الايسر الواقع ضمن حدود ابرشية بوفه كان من ثم الحكم عليها مناط بالاسقف بطرس كوشون الذي كان الفرنسيون قد طردوه لانه كان متعصباً للانكليزيين . فهذا الرجل كان من العلم على جانب عظيم وكان مولوداً في ريمس سنة ١٣٧٧ ولما كان كاهناً شاباً عين رئيساً لكلية باريس وكان قد حامى عن امير بورغونيا قاتل الدوق دي اورليان وكان من اكبر المحركين في الحوادث المكدرة التي جرت في باريس واجرت دماء سكانها فطرده الفرنسيون من العاصمة بسبب فظائعه وجرائمه فالتجأ الى الدوق دي بورغونيا الذي اوفده الى مجمع قونستنس . ولما دخل هنريكوس الخامس باريس استسلم كوشون كل الاستسلام الى الانكليزيين وتعصب كل التعصب لحزبهم فاستمال قلوبهم وعملوا لانتخابه مطراناً على ابرشية بوفه بالحيلة والمكر في ١٤٢٠ فلم يرض به سكانها اسقفاً عليهم فاجبرهم الانكليزيون على قبوله بالقوة . فهذا هو الاسقف الذي انتخبه مجلس شورى انكلترة ليفحص دعوى جان ويحكم عليها بعذاب النار . ففي ١٤ تموز سنة ١٤٣٠ جاء بطرس كوشون ازاء مدينة كومبياين وكان حاملاً رسالة من كلية باريس الى الدوق دي بورغونيا والى يوحنا دي لوكسانبورغ ليسلما الفتاة اليه او الى مفتش فرنسا وكان هذا الامر مشفوعاً بأمر من المحكمة المدنية وكانت الحكومة الانكليزية تقدم عن الفتاة المسجونة فدية قيمتها عشرة الاف فرنك ذهباً للسيد دي لوكسانبورغ وختم الطلب هكذا:

وان لم تقبل هذه الامور فالملك هنريكوس السادس يطالب بتسليم جان بقوة شرط

القانون الفرنسي المخول الملك حقاً في المطالبة بكل سجين يؤسر داخل المملكة ولو كان ملكاً وذلك لقاء عشرة الاف فرنك ذهباً

وكان اسقف بوفه يتهدد الدوق دي بورغونيا ويوحنا دي لوكسانبورغ بالعقوبة الكنسية ان لم يجيبا الى هذا الطلب ثم جاء بورفوار ليقنع السيدات ببيع الاسيرة لانهن كن يمانعن ذلك كل الممانعة . اخيراً نال كوشون قصده الدنيء برضى الكونت دي لينيي الذي قبض المال في آخر ت ١ وسلم الفتاة البارة

وكانت الفتاة في اثناء تلك المدة تسمع الاخبار المكدرة وهي في سجنها . فتارةً كانوا يقولون لها انها بيعت للانكليزيين وتارةً ان خراب مدينة كومبياين قريب لا محالة وان سكانها في ضيق وضنك لا مزيد عليهما وان الانكليزيين سيهلكونهم بالسيف والنار جميعاً حتى الاطفال الذين لم يبلغوا السابعة من عمرهم الخ . فكانت هذه الاخبار تمزق فؤادها وتذهب بعقلها شعاعاً فكانت تتنهد قائلة للقديستين : « يجب عليَّ ان اطير الى مساعدة سكان كومبياين التعساء ولو بفقد حياتي » فقالت لها القديستان : « سلمي امرك الى الله ايتها الابنة العزيزة فانه تعالى يساعدك وينجي اهل كومبياين من مكايد العدو » فقالت جان : « اذا كان الله يساعد احبائي اهل كومبياين فلا بد لي من الانضمام اليهم » فاجابتها القديستان : « ارضخي لحكم الله فلا يسلمونك قبل ان تشاهدي ملك الانكليزيين » فقالت متنهدة : « وأيم الحق اني لا اريد مشاهدته بل احب اليَّ ان اموت من ان اكون بين ايدي الانكليزيين »

ومن شدة فشلها وخوفها حدثتها نفسها بالهرب من السجن بحيلة ما فاثار ذلك عواصف الهواجس في عقلها وتفطر قلبها مرارة وحسرةً . وفيما هي على هذه الافكار المقلقة واذا برجل قد جاء يمازحها وكانت تلك المرة الاولى انها ترى رجلاً يريد مهازلتها فشق عليها ذلك جداً ويرجح ان هذا الامر وطدها في عزمها على الهرب فلم تطق البقاء. فأتت بحبل وشدته في احد قضبان شباك سجنها الحديدية وتمسكت به ورمت بنفسها فانقطع الحبل فوقعت الى الارض من علو ستين قدماً فوجدها الحراس وقد اغمي عليها فركضوا اليها مسرعين وحملوها الى القصر وحين افاقت استولى عليها غم شديد لمخالفتها اوامر قديستيها فباحت لهما بحزن قلبها بأسف لا يوصف فشجعتها القديسة كاترينا وأمرتها بالاعتراف بذنبها للكاهن وبطلب الغفران من الله عنه ففعلت وقدمت له تعالى الآلام والاوجاع التي سببتها لها سقطتها كفارة عما فرط منها فاكدت لها حينئذٍ القديسة ان اهل كومبياين تأتيهم النجدة قبل عيد القديس مرتينوس الشتوي فتنشطت جان وعادت اليها قواها فبدأت تاكل بعد ان بقيت صائمة ثلثة ايام وبعد قليل شفيت تماماً

فلما درى يوحنا دي لوكسا نبورغ بما جرى تحقق انه لا يستطيع حفظ الفتاة طويلاً فاراد التخلص منها لئلا تسبب له القلاقل وتعب الافكار ولذلك لما اتاه الدوق دي بورغونيا يطلبها ليسلمها لكوشون بعد قبض المال الموعود به لم يتأخر عن تسليمها اليه بسرعة .

وكانت جان قبل سفرها قد انفذت رسالة الى سكان تورني تقول لهم

فيها : « اسألكم ان ترسلوا اليَّ اكراماً لسيدنا الملك ومكافأة لي على الخدم الجليلة التي اديتها لكم عشرين او ثلاثين ريالاً ذهباً . لاني في احتياج كلي اليها » فيا للخزي ويا للعار بل يا لنكران الجميل كيف اصبحت منقذة فرنسا متروكة من الجميع هي التي ردت على الملك تاج آبائه وخلصت الجميع من اسر العدو فها هي الان تمد يدها للاستعطاء لسد احتياجاتها في سجنها الضيق .

وفي اواخر ايلول نقلت الفتاة الى اراس حيث مكثت ستة اسابيع في سجون الدوق دي بورغونيا وكان سكان تورني الامناء قد اجابوا الى سؤلها وارسلوا اليها اثنتين وعشرين ليرة مع رجل اسمه يوحنا ڤيال ثم زارها في اراس رجل اكوسي وكان حاملاً صورة تمثلها وهي الوحيدة التي رأتها في حياتها كما قالت للقضاة الذين حاكموها .

وفي تلك الاثناء أتاها السيد دي براسي خازن فيليب لي بون وعرض عليها بتوسل ان تلبس ثياب النساء او اقله ان تقبل نسيجاً لتصنع منه ثوباً نسائياً وكان قصده بذلك انقاذها من الموت فاجابته : « اني اتخذت هذا الثوب بأمر الله فلا استطيع تركه دون اذنه تعالى » . ثم علمت بفرح ان الله ارسل المدد اللازم لنصرة اهل كومبياين وظفرهم باعدائهم فادّت الشكر لله ولمريم على هذه النعمة التي سببت لها تعزية كبرى في احزانها . ولم يطل الزمان حتى سلمت الى ايدي اعدائها الانكليزيين فبكت بكاء مراً وندبت سوء حظها وتيقنت موتها القريب فظهرت لها قديستاها واكدتا لها انها تكون فدية عن بلاد فرنسا وان اعذبتها تؤهلها لنوال اكليل بهي لا يفنى في الفردوس وتنال

لوطنها الظفر القريب التام عَلَى اعدائه الالداء . فنقلت الى دروجه بالقرب من سان ريكيه ثم الى قصر كروتوا حيث مكثت مدة وهناك انتها سيدات ابفيل اللواتي كن يعتبرنها آية دهرها ونخر جنسها وهناك ايضاً صادفت كاهناً فاضلاً يقال له نيقولاوس دي كوينفيل فاتخذته مرشداً لها وقبلت من يده القربان الاقدس مراراً عديدة اثناء ذبيحة القداس . ثم زارها الملاك ميخائيل وكانت زيارته هذه التعزية الاخيرة التي ذاقتها في سجنها في كروتوا لانه لم يمضِ الاَّ القليل حتى وصل جيش من قبل الانكليزيين ليتسلمها من الجنود البورغونيين من قبل يوحنا دي لوكسانبورغ والدوق دي بورغونيا . فوقعت الفتاة في ايدي الاعداء الذين انقضوا عليها كالوحوش وساروا بها فرحين . وبعد السير العنيف الطويل المدة وصلت الى روان وأُلقيت في احد ابراج قصر بوفرايل وقُيّدت بالسلاسل الحديدية وأُقيم عَلَى حراستها ثلاثة من اوباش الجنود فأصبحت تنتظر الحكم عليها من وقت الى آخر وهي صابرة وعَلَى الله متكلة وكانت القديستان لا تزالان تزورانها وتعزيانها وتقويان عزائمها لتكون اهلاً لا كليل الشهادة السني .

القسم الرابع

جان دارك مُستشهدةٌ وممجدةٌ

الفصل الاول

في كيفية الدعوى التي أُقيمت على جان وفي قضاتها البغاة

انا عالم حق العلم ان القضاة الذين اقيموا لفحص الدعوى التي عَلَى جان يصنعون ما هم صانعون مدفوعين بالبغض لها ليس الا ولذلك انا لا اريد ان امكث هنا لئلا اتلوث بهذه الفضلة الشنعاء (كلمات الاب يوحنا لوهيه للمجل الاب مانشون)

ان الكنيسة المقدسة عمود الحق واساسه تسهر كل السهر عَلَى وديعة الايمان الذي تلقته من مؤسسها الالهي يسوع المسيح لعلمها ان لا شيء يجر الوبال عَلَى الامم وعلى الافراد انفسهم مثل ادخال البدع والقضايا المخالفة للايمان القويم بين ابنائها كما يبين ذلك جلياً تاريخ الاعصار السالفة ولذلك كانت ولا تزال تستعمل كل الوسائط لوقاية المؤمنين من خطر فقد الايمان حتى انها في الاجيال المتوسطة كانت تلتجيء عند الحاجة الى السلطة المدنية لمساعدتها في ذلك فكانت هذه تاخذ بناصر تلك بكل مالديها من الوسائل ولا

غروَ فان صوالح السلطة المدنية لاتقوم الا بقوام السلطة الدينية . وبناء عليه كان الحكام يقبضون على من يدخل بدعة جديدة في الكنيسة او من ينكر قضية من القضايا الايمانية وكان اسقف الابرشية يأتي مع الكهنة والعلماء ليفحصوا المجرم بتدقيق وكان الكرسي الرسولي ايضاً يرسل من ينوب عنه في هذا الفحص القانوني . فاذا لم يُثبت عليه ذنب كان من الواجب اطلاق سبيله للحال وبالعكس اذا اثبت عليه ما يُنسب اليه من الاثم كان يُجبر على رذل اضاليله والا كانت الكنيسة بعد استعمالها كل الوسائط لاقناعه وردعه عن غيه كانت تصدر عليه الحكم المثبت عليه الذنب ثم تسلمه الى المحاكم المدنية لمعاقبته بموجب العدل فكان الحكام حينئذٍ يجرون عليه ماتنصه الشرائع بشأن نوع الذنب الذي ارتكبه . اما عقاب البدعة والتجديف والسحر فكان الاحراق بالنار لان هذه الذنوب تشوش النظام وتلقي القلق والاضطراب في الهيئة الاجتماعية . هذا وكان يحق للمؤثم ان يستغيث بديوان أعلى اي ان يلجأ مثلاً من ديوان الاسقف الى ديوان رئيس الاساقفة ومن هذا الى الحبر الاعظم بل ان اعلام الكرسي الرسولي كان واجباً ولا سيما اذا كان الامر هاماً او مشكوكاً فيه . فكل هذه القوانين عادلة صادرة عن حكمة عظيمة ولا يمكن ان يصدر عنها غير الخير لكنها تصبح لغواً متى كان القاضي المقام للحكم في الدعوى ظالماً ذا محاباة . فكل دعوى خلت من قاضٍ عادل غير محابٍ كانت لا محالة خيانة وغدراً فهكذا كانت دعوى جان دارك

نسب الاعداء الى جان البدعة والتجديف والسحر وهي دعوى اختلقوها

حنقاً و بغضاً ليحصلوا عَلَى مرامهم بسهولة ودون لوم من قبل الذين كانوا يعتبرونهـا مرسلة من الله · اقاموا عليها امام الكنيسة هذه الدعوى الملفقة لانهم لم يجدوا في حياتها لوماً ولا في اعمالها شيئاً يخالف الشريعة المدنية او ما يضاد النظام ولعلمهم انها الوسيلة الوحيدة لتقوم عليها بيعة الله التي لا يمكنها ان تقضي عَلَى مثل هذه الذنوب وتسلمها الى المحكمة المدنية لتقضي عليها بالموت بلا شفقة · وهي دعوى وأيم الحق جهنمية ونفاق فظيع اخترعه الانكليزيون واحزابهم وفي مقدمتهم بدفورد الظالم وهنريكوس دي بوفورت عم الملك هنريكوس السادس وكان اسقف وانشستر ثم صار فيما بعد كردينالاً وكانت حياته ملطخة بالمآثم والقبائح ولا عجب في ذلك لان القداسة لا تناط بالمراتب بل تصدر عن القلب · فسوء تصرف رئيس ديني مثل هنريكوس دي بوفورت و بطرس كوشون الذي اقيم قاضياً للدعوى والذي حكم عَلَى جان ظلماً واعوانهما لا يشين قداسة الكنيسة · فاذا رأينا بعض الروساء الدينيين يأتون اعمالاً ذميمة فلا نضل ولا نستسلم الى الاهواء ولا ننتج من ذلك ان جميع الرؤساء اشرار كما يفعل الكثيرون في ايامنا هذه · فهذا غلط باهظ وضلال فظيع لان وجود اناس كمن ذكروا في الكنيسة لا يغير شيئاً من طهارة الايمان وصحة المعتقد كما لم تدنس خيانة يهوذا قداسة الرسل الاطهار · فلا نقل كما يقول البعض « انا لا اطيع لرجل شرير » لان المسيح يقول « ان الكتبة والفريسيين جالسون عَلَى كرسي موسى مهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به واما مثل اعمالهم فلا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون :

متى ٢٣ — ٢ و٣ » وطوبى لمن لايشك في يسوع المسيح

فاتفق بدفورد مع كلية باريس لتلفيق الدعوى على جان البارة وعين القاضي فيها بطرس كرشون المتقدم ذكره واختاروا لهم اعواناً عَلَى شاكلتهم ليتموا اثمهم المنكر الذي سينسبه الشر والجهل ظلماً الى الكنيسة مع انها منه بريئة. اجل ان كوشون كان اسقفاً ولكنه كان قد باع ضميره ونفسه للانكليزيين اولاً طمعاً في الحصول على الدرجة الاسقفية كما تقدم واخيراً بالمال الغزير الذي قبضه منهم ليحكم عَلَى جان كيفما كان الامر . ويقال انهم دفعوا له مبلغ يربو عَلَى ٠٠٠،٠٠٠ افرنك لهذه الغاية . لكنهُ لما كان ذا دهاء وذكاء غريبين خشي ملامة الاجيال المقبلة فاراد التستر والتخفي فدعا بعضاً من اشهر العلماء الذين كان يثق بهم بانهم اخلص الناس له فيكونون له اليد اليمنى في هذه الدعوى التي يريد الحكم فيها عَلَى اهواء الانكليزيين وشدد عليهم كل التشديد بعدم الخروج من روان معلناً لهم صريحاً ان ادنى اشارة او اقل ميل الى انقاذ الفتاة وتبريرها يعد خيانة لاتغفر لايكون قصاصها الا الموت الزؤام .

جلس كوشون قاضي الظلم عَلَى منبر القضاء ولكنه لم يلبث ان يشعر بضعفه امام تلك الفتاة لانها كانت تفصح عن براءتها بكلام دونه حد السيف فخشي من ان تتملص من يده وتنتصر عَلَى كيده فأمر بارجاعها الى سجنها وعزم عَلَى استنطاقها سراً لا علناً بحضرة اخص اعوانه الامناء لان اكثرية الاعضاء كانوا متحققين براءتها فكانوا يدافعون عنها كوشون فكان يأمرهم بالسكوت كما فعل مع يوحنا دي شاتيليون . ومرة اخرى قام احد الاعضاء انصار الحق

واظهر لجان فساد امر عرض عليها لتقع في الشراك فصاح به كوشون بغضب لا مزيد عليه قائلاً : « اسكت باسم الشيطان »

وكان بين الاعضاء رجل اسمه نيقولادي هو بفيل وكان شهماً من اكابر انصار العدل فهذا ابان ان الدعوى غير قانونية ولا شرعية لان كوشون من اعداء المشتكى عليها ولانه ينظر في دعوى جزمها مطرانه رئيس اساقفة ريمس رئيس لجنة بواتيه فلا يحق للمرؤوس النظر في دعوى حكم فيها رئيسه. فقام كوشون وطرده من المحضر لساعته واراد محاكمته فأبى العضو المذكور مدعياً انه من ديوان روان وانه لا يعرف له سلطة عليه باي نوع كان بل طلب مشارعته فلم يلقَ اذناً مصغية فأمر كوشون بسجنه ونفيه الى البلاد البعيدة الا انه تملص من هذا القصاص بوساطة بعض اصدقائه ذوي الاقتدار والمكانة. ومن جملة من حكموا بعدم قانونية الدعوى ايضاً احد كهنة نورمانديا العلماء المدعو يوحنا لوهيه الذي صار فيما بعد رئيس ديوان الروطا في رومية. فهذا ابان ان الدعوى فاسدة من وجوه كثيرة منها : ١ً ان المشتكى عليها مسجونة لا يراها الاعضاء ليتمكنوا من ابداء رأيهم في امرها ٢ً انهم يحكمون على اناس غائبين لم يحضروا المحكمة مثل ملك فرنسا الذي مسوا كرامته مع انه لم يحضر ولم يمثله احد قط امام المحكمة ٣ً انهم لم يعينوا في المحكمة محامياً عن جان الخ. ثم قال للمسجل الاب مانشون : « الا ترى كيف يعاملونها؟ نعم انهم ربما يجدون ما يُقال في اثباتها المطلق نظراً للرؤى والوحي التي من الله عليها بها. لكنهم لو عوض قولها « انا اؤكد لكم اني رأيت وسمعت » قالت

« يظهر او يبان لي اني رأيت وسمعت لما كان احد يستطيع ان يحكم عليها بذنب ما البتة . فانا عالم حق العلم ان القضاة الذين أقيموا لفحص الدعوى التي عَلَى جان يصنعون ما هم صانعون مدفوعين بالبغض لها ليس الا ولذلك انا لا اريد ان امكث هنا لئلا اتلوث بهذه الفعلة الشنيعة» قال وفعل اذ سافر من الغد الى رومية فكانت وساطته الصادقة لدى ذوي الامر تعزية لقلوب من كانوا شهوداً عواجز لانحطاط كرامة الكنيسة المقدسة في شخص بعض الائمة الفساق الذين ارادوا شين فرنسا بتسليم جان

الفصل الثاني

في مقدمات الدعوى واستنطاق جان وما جرى لها اثناء ذلك

يجب الآن ان نخدم الملك باخلاص ولذلك علينا ان نهيء دعوى كاملة الشروط (كلمات بطرس كوشون لاعوانه)

لم يكن لكوشون سلطة لمحاكمة جان في مدينة روان اذ ليس للاسقف استعمال سلطته الا داخل ابرشيته فمتى خرج منها لابد له من تفويض الاسقف المحلي لممارسة اعمال وظيفته . ولما كانت ابرشية روان مترملة بموت اسقفها كان الحق في اعطاء هذا التفويض مناط بالديوان الاسقفي وكان اعضاؤه كلهم من احزاب انكلترة و بورغونيا فالتمس كوشون منهم الاذن في محاكمة جان في مدينة روان فمنحوه اياه بكل طيبة خاطر وذلك في ٢٨ ك١ سنة ١٤٣٠

بموجب كتابة رسمية. ثم لكي يتمكن من الحكم على الفتاة ارسل الى الفارس يوحنا دي طورسناي حاكم شومون في نورماندیا لجنة مؤلفة باسم هنريكوس السادس للفحص عن سيرة جان دارك في تلك الانحاء فانفذ طورسناي من قبله لهذه الغاية النائب دي اندلوت وجيرار بوتي ونيقولا بايلي. فذهب هؤلاء الى دومريمي والقرى المجاورة فسألوا من كان يعرف الفتاة عن سلوكها وسيرتها وسمعتها فاجاب الجميع كأنهم شخص واحد انها فتاة صالحة فاضلة قويمة المعتقد حسنة السمعة طاهرة الذيل متعبدة لله متمسكة باهداب الدين الكاثوليكي كل التمسك محبة الاعمال الخيرية مغرمة بزيارة الكنائس والمعابد مواظبة على اقتبال الاسرار الالهية الخ فحملوا هذه الشهادات وقفلوا راجعين فغضب عليهم يوحنا دي طورسناي لانه كان يرغب في شهادات بخلاف هذه فارسل اناساً غيرهم يستفحصون عن الامر فوجدوه طبقاً لما قال الفاحصون الاولون فالتزم ان يبعث بهذه الشهادات الى كوشون الذي اساء معاملة من كان حاملاً لها ولم يجزه عن تعبه بشيء بل لم يعوض عليه ما كان قد انفقه في هذا السبيل فقال له ذاك: «وما هو ذنبي انا اذا كانت هذه الشهادات على السجينة حسنة؟» فوبخه كوشون وصرفه خائباً وكتم الامر الذي لم يرَ له اثر في دعوى الفتاة

فاول عمل عمله كوشون هو انه جمع في ٩ ك ٢ سنة ١٤٣١ في دار مجلس الشورى بالقرب من قصر روان ثمانية من الاعضاء الذين كان قد انتخبهم وتلا عليهم خلاصة ما جرى الى ذلك اليوم وكيف وقعت الفتاة بين يديه ليحاكمها فقرروا بوجوب التقصي عن هذا الامر بكل تأنٍّ وعندها عينوا هيئة

الديوان فسموا يوحنا دي استيفات احد قانوني بايو و بوفه مدعياً عمومياً ويوحنا دي لافونتين الحائز شهادة علم الحقوق الكنسية مستشاراً وغيليوم كول وغيليوم مانشون من خدمة الرعية مسجلين ، يوحنا ماسيو اقدم كهنة روان منفذ الاوامر وكلهم من احزاب كوشون والانكليزيين فطفح حينئذٍ قلب هذا الرجل فرحاً و كبر رجاؤه بنيل الارب فقال لاعوانه في اثمه الفظيع « يجب الآن ان نخدم الملك باخلاص ولذلك علينا ان نهيء دعوى كاملة الشروط » وبعد ذلك باربعة ايام اي في ١٣ ك٢ جمع ستة من هؤلاء الاعضاء في بيت يوحنا روبه حيث كان نازلاً كل مدة الدعوى وتلا على مسامعهم ما كان قد جمعه وعمله عن جان (لا شهادات دومريمي) فقرروا تسطير اهم الذنوب المنسوبة الى الفتاة وتبويبها . اما بدفورد فذهب الى باريس ليمنع المظاهرات التي كان الفرنسيون عازمون على اقامتها احتجاجاً على ماجرى لمنقذتهم الباسلة . وفي ٢٣ ك٢ تمّ تبويب الذنوب ووضعها كما تقدم القول فاجتمع الاعضاء ثانية وتلي على مسامعهم ما كان قد تجهز من مقدمات الدعوى ورأوا انه من الواجب كتابة تمهيد لها ذاكرين اعمال السجينة واقوالها ثم كتب كوشون الى كلية باريس لترسل اليه بعض اعضائها ليكونوا مساعدين له في الدعوى وذلك ليجعل لها اهمية كبرى ويكون لانتصاره على جان رنة عظمى . قبح الله وجهه ما كان أخبثه . ولما كانت كلية باريس من حزب انكلترة اجابت سؤل كوشون المذكور وارسلت اليه ستة من اعضائها المشهورين وهم يوحنا بوبير وبطرس موريس وجارار فوليه ونيقولا ميدي

وتوما دي كورسيل وفي ١٣ شباط بدأوا بالعمل فالتأموا في دار اسقف بوفه مع بقية الاعضاء واقسموا يمين الصدق والاخلاص وفي ١٩ شباط بعد تلاوة مقدمات الدعوى قرروا فحص الفتاة واستنطاقها وكان كوشون يرغب جداً في حضور فاحص الدعوى لكن هذا كان متغيباً عن روان فسعى كوشون في الحصول على نائبه العام المدعو يوحنا ليماتر ليقوم مقامه ويكون مساعداً وشريكاً له في الحكم في هذه الدعوى. وكان هذا الرجل ضعيفاً جباناً لا شهامة له لدفع المنكر والابتعاد عن الاثم فاعتذر اولاً مدعياً بان سلطته الروحية لا تتجاوز حدود روان فلا يستطيع الاشتراك في دعوى تتعلق بابرشية بوفه دون أمر من مخدومه المتغيب يجيز له ذلك. فكتب حينئذٍ كوشون الى فاحص فرنسا العام يسأله ان يخول نائبه المذكور التفويض في ذلك ففعل بتاريخ ٤ اذار وفي ١٣ من الشهر المذكور جلس ليماتر بالقرب من كوشون ليشترك في اثمه ويغمس يديه في دم الفتاة البرية

وفي تلك الاثناء كان الانكليزيون يذيقون جان العذاب الواناً انتقاماً منها عَلَى ما اذاقتهم من الحسرة والذل بانتصارها عليهم فكبلوا يديها ورجليها بالسلاسل والقيود وغالباً ما كانوا يضعونها في قفص حديدي اتوا به من روان اما فراشها فكان الحضيض او لوح خشب مع ان البرد كان قارساً ولم يكن من يزورها او يعزيها بل تركها الجميع وحرموها كل تسلية روحية اما قديستاها فكانتا تزورانها بتواتر وتشجعانها بحب

وكان بين اعضاء الديوان رجل اسمه نيقولا لوازلور وكان أخبث البشر

وكان حائزاً رضى اسقف بوفه وثقته فجاء هذا جان مخاتلاً قاصداً اخذه بشيء ما فتنكر اولاً وظهر لها في سجنها تحت زي اسكاف مدعياً انه من بلادها وانه يرغب في البقاء معها ليسليها ويكون لها رفيقاً وناصحاً فوثقت الفتاة به فسعى لخداعها مستعملاً وسائل شيطانية فلم تنتبه الابنة الى افكه وغشه وبينما كان لوازلور هذا الخبيث يخادع الفتاة ليوقعها كان كوشون مختبئاً بالقرب من السجن مع فارفيك حاكم روان والكتاب بنوع انهم كانوا يستمعون الحديث دون ان تراهم الفتاة . فاستغنم كوشون هذه الفرصة لتسطير ما قالته جان فرفض الكتاب هذا العمل قائلين : « كلا لا نصنع ذلك قط لانه مخالف للحق والعدل » فلم يرعوِ لوازلور ولم يقنط بل اراد التوصل الى غايته الذميمة فاظهر ذاته للفتاة واعلمها انه كاهن ففرحت به جان المسكينة التي لا تظن السوء في من كرس ذاته لله واتخذته مرشداً لها وقائداً وصار ينتقل من حيلة الى اخرى لايقاعها في اشراكه حتى انه ادعى امامها يوماً بان القديسة كاترينا ظهرت له ثم أمرها بان تجيب القضاة بامور لا تفهمها ولاسيما نظراً لخضوعها للكنيسة .

هذه هي مقدمات الدعوى المقامة عَلَى جان ولما كان ٢١ شباط افتتح كوشون الجلسة وبدأ باستنطاق الفتاة ومن ذلك الحين كانت الجلسات تتوالى امام اربعين من القضاة الى ١٧ اذار ابان كوشون واعوانه في اثنائها من الظلم اشكالاً ومن الخبث الواناً اما جان فكانت تجيب عَلَى ما يلقى عليها من الاسئلة بكل اخلاص وصدق وهي رابطة الجأش واثقة بالله . وفي ٢٥ اذار دخل عليها كوشون مع اربعة من اعوانه وسألها ان تنزع عنها ثوب الرجال

وتلبس ثوب النساء فرفضت . وكان دي استيفات قد انهى كتابة الدعوى في اثنين وستين باباً فاجتمع القضاة في ٢٦ اذار وتليت عليهم تلك الفصول وقرروا وجوب تلاوتها ايضاً على جان وكانت تلك الفصول سلسلة اكاذيب واضاليل فظيعة مضافة الى بعض حوادث حقيقية صادقة منها : انهم كانوا ينسبون اليها الخرافة حول شجرة الجنيات . وانها كانت تتعاطى مع الشيطان والارواح الخبيثة . وانها عاشرت الفاسقات ورجال الحرب في نوفشاتو . وانها الحشت في كلامها مع روبرت دي بودريكورت . وانها لبست ثياب الرجال وحملت السلاح . وانها ادعت برفع الحصار عن اورليان و بتتويج الملك كارلس في ريمس وبطرد الانكليزيين من فرنسا . وانها قالت : لا سلام الاَّ على رؤوس الاسنة . وانها رقمت صلباناً مع اسمي يسوع ومريم على رسائلها ثم ادعت انها مرسلة من الله حتى نظراً الى امور جائرة كسفك الدماء . وانها رفضت الاقرار بالسر الذي اعلنته لكارلس علامة لارسالها من الله . وانها تنبأت وتتنبأ ايضاً . ثم زعمت انها تعاين روساء الملائكة والملائكة وقديسي الله وانها لم تطع دائماً للاصوات التي تدعي بانها اتتها من السماء ثم تؤكد ان كل ما تعمله هو بأمر الله . وانها لم تقترف قط خطيئة مميتة . وانها تقدمت الى تناول القربان وهي لابسة ثوب الرجال . وانها ارادت ان تقتل نفسها في بوروفوار ثم تدعي بانها عانقت القديستين كاترينا ومرغريتا ولمستهما وتزعم ان هاتين القديستين تحبان الفرنسيين وتبغضان الانكليزيين وانهما اكدتا لها انها تنال الخلاص الابدي بشرط ان تحفظ بكارتها . وانها اهانت

الله بشكايتها امرها الى قديستيها في بوروفوار من اجل سكان كومبياين . وانها كتمت وحيها على كاهن رعيتها ووالديها ولم تخضع لا لحكم الكنيسة ولا لحكم اسقفها . وانها رضيت بدلائل الاكرام الواجب لله . وانها تستعيذ باسوات سرية اي بالشياطين وادعت بان ملاكاً قادها الى شينون لتحمل التاج الملكي الى كارلس . وانها رضيت بسجود الناس لها كقديسة وبتلاوة صلوات في بعض الكنائس اكراماً لها وبضرب ايقونة تمثلها كان الكثيرون يحملونها بثقة . وانها كانت تقود الجيوش العديدة وتعيش مع الرجال وتقبل خدمتهم اياها . وانها تمتلك الاموال وتعيش عيشة الكبار وان لها مستشارين . وانها انكسرت امام باريس ولاشاريته وبونليفاك وكومبيـاين مع انها كانت قد وعدت بالظفر من قبل الله . وانها رسمت لها راية وشعاراً من قبيل المجد الباطل لا من قبيل التدين والتقوى . وانها وضعت شكة لها في كنيسة سان دانيس ليتخذها الناس كذخيرة ثم صبت شمعاً ذائباً على رؤوس الاولاد في تلك المدينة متنبئة لهم بالمستقبل . وانها ترفض الخضوع للكنيسة المحاربة زاعمة ان لها سلطان الله وملائكته لتهرب من كل سلطان كنسي ومدعية بان الخطيئة التي اقترفتها ضد قديستيها في بوروفوار غفوت لها وهذا مايخالف الوحي القائل «لا احد يعرف اذا كان اهلاً للمحبة او للبغضة الخ» .

هذا هو مختصر ماكتبه دي استيفات وكل يرى ان الصحيح منه لا يوجب الرذل بل هو منزه عن كل شر اما الباقي فبهتان فظيع وزور فاحش ولذلك لما سمعت جان هذه الامور عنها اعترضت عليها بقوة فلم يصغَ الى كلامها لكنهم

رأوا ان من الضرورة مراجعة الدعوى لما فيها من الكذب الظاهر فوكلوا الامر في ٥ نيسان الى رجل اسمه نيقولا ميدي فعاونه توما دي كورسيل واختصر وإياه جميع التهم المنسوبة الى الفتاة في اثني عشر فصلاً بعد ان حذفا كل مامن شأنه ان يجعل الدعوى مشكوكاً بها ونسبا الى جان المعاطاة مع الشيطان مظهرين خطأها بلبسها ثياب الرجال وبعدم خضوعها لحكم الكنيسة المجاهدة ولم يطلعا الفتاة على هذه الكتابة الجديدة بل ارسلاها الى اساقفة افرانش وكوتانس وليزيو والى بعض رؤساء الاديار والى ديوان روان الاسقفي ثم الى عدد كبير من العلماء في اللاهوت والحق القانوني والشرائع المدنية . وكان كوشون قد ارسل يثبت لهم صحة كل ما تحويه تلك الفصول الاثنا عشر طالباً الى كل واحد منهم ان يبدي رأيه فيها بقوة الشريعة الآمرة كل عالم ملفان ان يحكم في ما يعهد اليه من المسائل الكنسية . فحكم اثنان وعشرون منهم على المتهمة بانها منفصلة عن الكنيسة وهم لا يعرفون انها جان دارك

اما اسقف افرانش فكان يرتئي ارسال جان الى البابا . وقال بعضهم «انا ارى ذلك اذا لم تكن هذه الوحي من الله . . انا ارذل لبسها ثياب الرجال اذا لم تكن قد اخذتها بامره تعالى» واما ديوان روان الاسقفي فقرر مايلي :

١ يجب تلاوة هذه الفصول الاثني عشر مترجمة الى اللغة الفرنسية على مسمع جان ٢ ينبغي نصحها لتخضع لحكم الكنيسة ٣ لابد من استشارة كلية باريس غير ان هذا الديوان نفسه حكم على الفتاة المشتكى عليها في جلسة ثانية انها مشاقة عن الكنيسة . فلم يعبأ كوشون بالقضية الاولى من حكم الديوان

ولكنه قبل القضيتين الثانية والثالثة . فارسل الكتابة المنوه بها الى كلية باريس صحبة ثلاثة من علمائها كانوا في روان ثم زار في ١٨ نيسان جان في سجنها فعرضها على الخضوع فلم تخضع فنبهها جهاراً في ٢ ايار في احدى قاعات قصر روان بحضرة ٧٧ من اعوانه فلم ينجح

الفصل الثالث

في عبادة جان للقربان الاقدس وفي اجوبتها ونبواتها

ايها الرب الرؤوف انا اسألك باستحقاق
الامك المقدسة ان تُعلمني ما اجيب
به رجال الكنيسة اذا كنت تحبني
(صلاة جان)

وكانت نفس جان بين هذه الاعذبة والبلايا متحدة بعروسها الالهي اتحاداً شديداً ثابتاً تائقة توقان الايل الى ينابيع المياه الى اقتبال جسده الطاهر في القربان الاقدس . فيوماً ما عند ذهابها حيث كان القضاة في انتظارها مرت باحد المعابد العمومية فسألت ماسيو الذي كان برفقتها اذا كانت الاعراض السرية محفوظة في ذلك المعبد فاجابها بالايجاب فطلبت اليه بالحاح ان يسمح لها بالوقوف امام الباب هنيهة لتصلي فاجاب الى ملتمسها بحلم فكانت كأنها المجدلية تفتش على حبيبها يسوع قائلة ثانية لماسيو : « هل ان جسد المسيح هنا؟ » فاجابها بالايجاب كالمرة الاولى فسجدت حينئذٍ على ركبتيها وغاصت في بحر

التأملات والعواطف التقوية . ولما علم دي استيفات بذلك وبخ ماسيو توبيخاً مراً لسماحه لها بالوقوف امام المعبد كما مر وشدد كوشون الامر بعدم التوقف في الطريق مع الفتاة مطلقاً

وكانت جان رغماً عن شراسة قضاتها وظلمهم تعتبرهم وتحترمهم لانها كانت ترى فيهم رجال الدين الا انها كانت ترفض الخضوع لاحكامهم لانها كانت عارفة انهم مخطئون فيها . فهم كانوا يأمرونها بان تنكر ما رأت رأي العين وما سمعت سمع الاذن اما هي فكانت تؤكد انها رأت وسمعت وهل يمكنها ان تنكر ذلك ؟ ثم كانوا يأمرونها بترك ثياب الرجال ولبس ثياب النساء اما هي فكانت ترفض ذلك بتاتاً لامرين اولهما لانها لبست ذلك الثوب بامر الله وهي لا تريد مخالفة امره تعالى لئلا يُشك برسالتها الالهية وثانيهما لئلا تعرض طهارتها للخطر بين رجال السجن الاشقياء

وكانت القديستان تزورانها بتواتر لتعلماها ما يجب عليها فعله في تلك الدعوى الخطيرة وكانتا تعزيانها في ضيقاتها وبلاياها . اجل انهما لم تكشفا لها اشراك القضاة والحيل التي كانوا يستعملونها لايقاعها واخذها ليحكموا عليها بالموت الزؤام اذ ان ذلك امر لم يرده الله ولكنهما كانتا ترشدانها الى ما به مرضاته تعالى الذي كان قد قرر نهاية بعثتها باكليل الشهادة وحينما كانت القديستان تتباطآن في زيارتها كانت تسجد لله تالية هذه الصلاة : « ايها الرب الرؤوف انا اسالك باستحقاق آلامك المقدسة ان تعلمني ما اجيب به رجال الكنيسة اذا كنت تحبني » ثم كانت تضيف الى هذه الصلاة الكلمات الآتية « انا اعلم

اني بامرك اخذت هذا الثوب ولكني لست بعالمة كيف اتركه فالتمس من مراحمك ان ترشدني الى ما يجب عليّ فعله » فاستجاب الله طلباتها اذ قالت : «اني بحق وصواب صليت الى الله ليؤتيني العون وانا اسأله تعالى من صميم قلبي ان يزيد مساعدته اياي حتى يرى الجميع اني اتيت من قبله عز وجل وانه سبحانه هو الذي ارسلني »

اما اجوبتها على الاسئلة التي أُلقيت عليها فكانت آيات في الحكمة والسداد واليك بعضها: قيل لها « هل تعلمت حرفة ما في حداثتك ؟ » فاجابت : « نعم انا تعلمت الخياطة والغزل ففي هاتين الحرفتين لا تفوقني امراة في روان » وقالت لكوشون «انت تقول انك قاضيٌ فاحذر لنفسك من المسئولية العظيمة التي تقع عليك بظلمك اياي .. لقد جئت من قبل الله ولاحاجة لي عندكم دعوا الله الذي ارسلني يحكم في امري . انت تقول انك قاضيٌ فانظر الى ما انت قاضٍ لاني مرسلة من الله وانت معرض نفسك للخطر .. انك لا تجري عليّ ما تقول حتى يضربك الله في جسدك وفي نفسك » ويوماً ما سئلت اذا كانت في حال النعمة فاثار هذا السؤال سخط الحاضرين اما هي فاجابت بهدوء وسكينة : « ان لم اكن في حال النعمة فليعطني الله نعمته وان كنت فليحفظني وياليتني ان كنت عالمة بكوني خالية من نعمته تعالى .. لو كنت في حال الخطيئة لما كانت القديستان تزوراني كما اظن » وقيل لها يوماً اخر « حينما تتقدمين الى منبر الاعتراف هل تظنين نفسك في حال الخطيئة المميتة ؟ » فاجابت : « لا اعلم اذا كنت في حال الخطيئة المميتة لكني

لا اظن اني فعلت افعالها وانا اسأل الله ان لا اقع فيها حياتي كلها واضرع اليه تعالى ان يحفظني من كل عمل يدنس نفسي» ثم سئلت مرة عن البابا الشرعي الواجب الخضوع له (١) فاجابت «وهل يوجد بابوان ؟ فانا اومن انه يجب علينا ان نخضع لسيدنا البابا المقيم في رومية» ومرة اخرى سألوها عن الاصوات السماوية التي كانت تسمعها فقالوا لها : « هل كان ذلك الصوت رخيماً وهل كان صاحبه يتكلم الفرنسيـة ؟ » ثم اضاف كوشون قائلاً : « وهل تتكلم القديسة كاترينا اللغة الانكليزية ؟ » فاجابت : « وكيف تتكلم الانكليزية وهي ليست من حزب الانكليزيين ؟ » وكثيراً ما كانت تقول : « لقد اوصتني الاصوات السماوية بان اجيب ببسالة وان الله يساعدني وهي لم تقل لي امراً وتأمرني بضده وحينما اظهر البعض شكاً بوحيها قالت بحماسة: « انا اومن ايماناً ثابتاً بان الله يرسل اليّ الملاكين ميخائيل وجبرائيل والقديستين كاترينا ومرغريتا ليرشدوني ويقووني كما اومن بان سيـدنا يسوع المسيح تألم ومات ليفتدينـا من اعذبة جهنم ... فانا رايتهم بعيني الجسد كما اراكم الآن وحينما كانوا يبتعدون عني كنت ابكي واود ان اذهب برفقتهم » ولما قيل لها ان تخضع لحكم الكنيسة اجابت : « فليفحص الاكليريكيون اجوبتي وليقولوا لي اذا كان فيها شيء يخالف الايمان المسيحي فان الاصوات السماوية تعلمني بما في اقوالهم من الصدق او الكذب وانا اظهر لكم ذلك »

(١) سئلت جان عن ذلك لانه كان يوجد بابا دخيل

فما تقدم تبان عواطفها نحو الله وسيدنا يسوع المسيح والكنيسة المقدسة ولنسمع اجوبتها بهذا الصدد قالت : « من جميع الذنوب التي نسبت اليَّ لا اظن اني ارتكبت واحداً منها ضد الايمان المسيحي » ثم وبخت الكتاب الذين حرفوا كلامها فقالت بجزم : « في الموضع حيث ذكرتم اني قلت ان كل مافعلت فعلته بمشورة سيدنا يسوع المسيح اكتبوا هكذا : كل ما فعلت من الخير الخ . ان جميع اقوالي وافعالي بين يدي الله وهو حاكم عليها وانا اوكد لكم اني لا اريد عملاً او قولاً يضاد الايمان المسيحي . فلو كنت فعلت او قلت او لو رأى الاكليريكيون على جسدي شيئاً يضاد الايمان المسيحي الذي اتانا من الله فانا ارفضه ولا اتمسك به — انا احب الكنيسة واريد ان ادافع عنها بكل قواي حباً بايماننا المسيحي — انا لا استحق ان احرم الذهاب الى الكنيسة واستماع القداس فاتوسل اليكم اذن اكراماً لله ولسيدتنا مريم ان تسمحوا لي بحضور الذبيحة الالهية في هذه المدينة — انا او من ان سيدنا يسوع المسيح والكنيسة سيان وهذا لا يقبل الاعتراض فلماذا انتم على ذلك تعترضون ؟ — اسألكم ان تاخذوني امام سيدنا الاب الاقدس وبين يديه اقول ما يجب عليَّ قوله »

ولما كان لبسها ثوب الرجال من اكبر الذنوب المنسوبة اليها اجابت : « لما كنت قد لبسته بأمر الله ولخدمته فلا اظن اني مخطئة بذلك وحينما يأمرني تعالى بتركه اتركه لامحالة » فقيل لها « هل تظنين انكِ حسناً فعلتِ بلبسكِ ثوب الرجال ؟ » فاجابت « انا لم اعمل عملاً الا بأمر الله واظن اني

حسناً عملته وانا بانتظار الجزاء عليه والعون اللازم »

وعندها داخلها الخوف من ان تجبر يوم تنفيذ الحكم عليها بالقوة على ترك ثوب الرجال فقالت : « اذا كنت ساجبر على ترك ثوبي هذا بالقوة يوم تنفيذ الحكم عليّ فاسأل سادة الكيسة ان ينعموا عليّ بقميص امرأة وقبعة لرأسي لاني افضل الموت على مخالفة ما امرني الله به » فقال لها حينئذٍ احد اعضاء الديوان « انت تقولين انك لبست هذا الثوب بأمره تعالى فلماذا تطلبين الآن قميص امراة لساعة موتك؟ » فاجابته « يكفيني ان يكون القميص طويلاً »

وعندما كلموها عن علمها قالت : « انا احب علمي اربعين مرة اكثر من سيفي .... كنت احمل هذا العلم عند هجومي على الاعداء حتى لا اصيب احداً منهم بضرر فلم اقتل رجلاً واحداً حياتي كلها » ولما قيل لها « لماذا حملت علمك يوم تتويج الملك في ريمس مع ان سائر القواد لم يحملوا اعلامهم في تلك الآونة ؟ » اجابت « ان علمي كان في الجهاد فحق له ان يكون في المجد »

وفي ظرف آخر لما رأت ظلم كوشون لها قالت بجراءة : « انتم تكتبون كل ما هو عليّ لما ماهو لي فتهملونه » ويوماً آخر حين قيل لها « انت حملت كارلس السابع على عدم الاتفاق مع اعدائه » اجابت : « اعلموا اني التمست الصلح من الدوق دي بورغونيا كتابة وبواسطة سفرائه اما الانكليزيون فلا صلح لهم الا بتركهم بلاد فرنسا ورجوعهم الى بلادهم » ومرة اخرى قيل له « لماذا اختارك الله دون سواك من الشابات لاتمام مقاصده

بالنسبة الى مملكة فرنسا ؟ » فاجابت : « تلك كانت ارادته تعالى ليطرد اعداء الملك بواسطة ابنة حقيرة .. فمتى صدر امر الله يجب على الانسان الخضوع والطاعة . فلو كان لي مائة اب ومائة ام او لو كنت ابنة ملك لكنت اطعت صوت الله » ولما سمعت دي استيفات يتهمها بامور فاحشة كاذبة قالت : « اني رافعة امري الى سيدنا يسوع المسيح » وحين سئلت اذا كان الفرنسيون ينتصرون قالت بروح النبوة « اني عالمة ان ملكي سيفتتح كل مملكته وانا عارفة ذلك كما انا عارفة وجودكم امامي جالسين على كراسي القضاء ولو لا تيقني ذلك لكنت مت حزناً .. سترون ان الفرنسيين ينالون ظفراً باهراً جداً فتهتز له كل مملكة فرنسا . انا اقول لكم ذلك حتى اذا تم في حينه تذكرون اني قلته لكم .. فلو صدقني الانكليزيون لكانوا حسناً صنعوا ولكنهم سيعلمون حقيقة ما كتبته لهم قبل سبع سنين » فقيل لها « وهل يبغض الله الانكليزيين ؟ » فاجابت : « لست اعلم شيئاً من هذا القبيل لكنني اعلم جيداً انهم سيطردون من فرنسا ما عدا الذين يكونون قد ماتوا فيها وانه تعالى سيعطي الفرنسيين ظفراً تاماً على الانكليزيين »

وكانت القديستان قد اعلمتاها بموتها الآن ان الله سمح بان يشتبه عليها هذا الامر لئلا يزداد حزنها وعذابها ولذلك كانت تقول بايمان ورجاء عظيمين : « قالت لي القديستان ان اصبري على بلواك ولا تفتكري في استشهادك ففي آخر الامر لا بد من وصولك الى الفردوس » فقيل لها « ما معنى لفظة استشهادك هنا ؟ » قالت « معنى استشهادي هنا العذاب والبلايا التي اقاسيها

في السجن وانا لا اعرف اذا كان يصيبني بلاء اعظم وفي كل حال انا اسلم امري الى سيدنا يسوع المسيح وانا مؤمنة اني سانال السعادة الابدية ايماناً ثابتاً وطيداً كما لو كنت حصلت عليها الآن »

هذه هي جان الباسلة تظهر لنا جلياً في مرآة اجوبتها لقضاتها البغاة التي هي وايم الحق عبارة صريحة عن ايمانها الغير المتزعزع ومحبتها لله ولبلادها وبرهان ساطع على صحة رسالتها وصدق بعثتها لان اللسان مرآة الجنان والفم يطفح بما في القلب فلله درها وياويل من اقام ذاته قاضياً جائراً عليها

الفصل الرابع

في مرضها وما جرى لها بعد ذلك وفي ايمانها وتقواها

يبان لي ان مرضي ثقيل وان حياتي في
خطر عظيم فليكن اسم الرب مباركاً
لكنني اسالك ان تمكنني من الاعتراف
ومن تناول جسد مخلصي وان تدفنني
في ارض مقدسة (كلماتها لكوشون)

وبينما كان كوشون واعوانه البغاة يهيئون كل شيء للحكم على جان بالموت اصاب الفتاة هزال عظيم كاد يذهب بحياتها فخشي الانكليزيون من ان تموت قبل الحكم عليها فارسلوا طبيبين شهيرين من باريس الى روان ليعتنيا بها فقال لهما فارفيك حاكم المدينة « ان جان مريضة فاعتنيا بها كل الاعتناء لان الملك لا يريد ان تموت موتاً طبيعياً لانه اشتراها بمال غزير بل هو يريد ان تموت

من يد الجلادين وفي وسط النار » ولما فحص الطبيبان المريضة قالا للحاكم المذكور « المريضة بها حمى ولا بد لها من فصاد » فاجابهما فارفيك « لكن احذرا من ان تميت ذاتها لانها خبيثة » فلما فصدت جان تعافت قليلاً لكنها لم تلبث ان عاودتها الحمى فجاءها دي استيفات بصحبة الطبيبين فسألها عن سبب مرضها فاجابت : « اكلت سمكة ارسلها الي اسقف بوفه فانا انسب ما اشعر به من الالم الى ما اكلته من تلك السمكة » فهتف ذاك غاضباً « بل انسبيه ايتها الابنة الفاجرة الى ما اكلته غير تلك السمكة » فثبتت الفتاة على قولها الاول فاوسعها دي استيفات شتماً واهانة فدافعت عن ذاتها بشجاعتها ووبخت شاتمها بقوة فاثر فيها ذلك تأثيراً شديداً حتى عاودتها الحمى ثانية . وبعد بضعة ايام كانت قد تعافت قليلاً فدخل عليها كوشون في سجنها ومعه سبعة من اعوانه وحرضها على ان تقر بضلال ليس لها وتهتم بامر خلاص نفسها وجسدها فرفعت جان نظرها الى الاسقف الخبيث وشكرته على اهتمامه بها ثم قالت له : « بان لي ان مرضي ثقيل وان حياتي في خطر فليكن اسم الرب مباركاً لكنني اسألك ان تمكنني من الاعتراف ومن تناول جسد مخلصي وان تدفنني في ارض مقدسة » فاجابها ذاك « اذا كنت تريدين ان تقبلي اسرار الكنيسة وانعاماتها يجب عليك ان تفعلي كما يفعل الكاثوليكيون الصالحون وان تخضعي للكنيسة المقدسة » فاجابته « لا استطيع ان اجيبك بشيء الآن » فقال لها « بمقدار ما تخافين على حياتك بمقدار ذلك يجب عليك ان تكفري عن ذنوبك فلا حق لك على انعامات الكنيسة كاثوليكية ما لم تخضعي للكنيسة »

فاجابته « اذا مات جسدي في السجن اطلب اليك ان تدفنه في ارض مقدسة وان لم تفعل هذا فانا ارفع امري الى سيدنا يسوع المسيح » فاستعان كوشون بمن كان معه ليوقعها في اشراكه فقال احدهم للآخر ليخيفها - اذا كانت لا تخضع تعامل كوثنية » فلما سمعت جان هذا الكلام رفعت رأسها وقالت بحماسة : « كلا انا مسيحية صالحة . . . انا احب الله واخدمهُ كمسيحية صالحة واشتهي من كل قلبي ان اساعد الكنيسة المقدسة وان ادافع عنها بكل قدرتي »

قلنا ان كوشون كان قد عين ميعاد التنبيه الجهاري لجان في اليوم الثاني من ايار بحضرة سبعة وستين عضواً في احدى قاعات قصر دوان وبعد الاخذ والرد تحقق الاسقف الشرير ان الفتاة ثابتة على رفضها الخضوع لاقواله فقام اذ ذاك يوحنا دي شاتيليون رئيس شمامسة افرو واظهر لها بالاختصار فحوى الاثني عشر فصلاً المدونة عليها وشرح لها ماهية الكنيسة المجاهدة ووجوب الخضوع لها فاجابت « انا اومن بالكنيسة المجاهدة غير اني في كل ما يتعلق باقوالي واعمالي لا اطيع الا الله الذي ارفع اليه وحده امري » قالت هذا لانها كانت تظن انها لا تستطيع الخضوع للكنيسة ما لم تقبل حكم كوشون وتخضع لاوامره حسب ما كان لوازلور الخائن قد علمها وهي غير عالمة بدهائه وشره . فهي اذن لا ترفض الطاعة لكنيسة الله بل لكوشون الذي كان يجرها على انكار وحيها ورؤاها وصحة رسالتها من الله وهي لا تستطيع ان تطيعه في هذا الامر لان الله احق بالطاعة من البشر . وما يؤيد كلامنا قولها مراراً : « خذوني الى الحبر الاعظم وانا اجيبه على كل

شيء » اذن هي خاضعة للكنيسة لكنها لاتخضع لكوشون واعوانه الذين يريدون غشها وخداعتها .

ولما قال لها يوحنا دي شاتيليون « لماذا تقولين دائماً انك ترفعين امرك الى الله ؟ » اجابته « لان وحي اتاني من الله دون وساطة البشر » فقال لها وهو يريد ايقاعها في فخه « الا تريدين ان تطلعينا على الآية التي من اجلها صدق الملك في شينون كونك مرسلة اليه من قبل الله ؟ فها امامك رئيس اساقفة ريمس والسيد دي بوساك وكارلس دي بوربون والدوق دي لاتريموايل ولاهير فاختاري من تريدين من هولاء او من غيرهم الذين اظهرت لهم وحيك والذين رأوا الملاك الذي حمل التاج الى الملك وسلمه الى رئيس الاساقفة . او اذا اردت بوحي بسرك الى بعض رجالنا الذين يسطرون ذلك ويوقعونه بخواتمهم » فلاحظت الفتاة خيانتهم وظهر لها خبثهم فقالت لهم « ايتوني برسول لاكتب الى الملك عن هذه الدعوى » ففهموا انهم تعدوا الحدود معها وانها لاتريد ان تخون ملكها فعدلوا عن غيهم ونقلوها في ٩ ايار الى برج قصر روان الكبير وهناك زادوا في عذابها والتنكيل بها حتى تقر بانها خدعت القضاة اما هي فكانت ثابتة على عزمها لا تتزعزع . ولما الحوا عليها بذلك قالت بشهامة : « اعلموا اني لا اطلعكم على شيء من ذلك البتة ولو كنتم تقطعونني اربا اربا حتى ولو كنتم تخرجون نفسي من جسدي واذا كنت اطلعكم على شيء فيكون ذلك قهراً وقسراً لاني لا اريد ان ابوح اليكم بشيء من هذا القبيل مطلقاً » فلما رأى الجلادون هذه القوة وهذه الشهامة وهذا العزم

تركوها وشانها منتظرين حكم القضاة عليها

وفي تلك الاثناء ورد الجواب من كلية باريس بالحكم على جان استناداً الى الاثني عشر فصلاً المسطرة ضدها فاجتمع اعضاء الديوان ليطلعوا عليه وكان علماء باريس قد شفعوا جوابهم برسالتين الواحدة الى ملك انكلترة والثانية الى كوشون يثنون على غيرتهما على خير الكيسة ويطلبون اليهما ان يعجلا باجراء احكام العدل على المشتكى عليها فثبت الجميع هذا التقرير الا انهم ارتأوا ان ينبهوا جان مرة اخرى تنبيهاً علنياً ليعرضوها على الطاعة . فجمع كوشون تسعة من الاعضاء في ٢٣ ايار واستدعى الفتاة وكان يوحنا ليماتر حاضراً وعندها قام بطرس موريس احد قانونيي روان واطلع الفتاة عَلَى تقرير كلية باريس وحرضها بكلام مؤثر عَلَى الخضوع لحكم الكنيسة بهذا الشأن فاجابته : « نظراً الى اقوالي واعمالي لا اغير شيئاً مما قيل سابقاً في سياق الدعوى » فقال لها كوشون « انظنين اذن انك غير ملتزمة باخضاع اقوالك واعمالك للكنيسة المجاهدة وهل تفتكرين ان لا احد يستطيع ان يحكم عليك غير الله وحده؟ » فاجابت : « انا اقر الآن كل ما قلته بهذا الشأن في سياق هذه الدعوى فلو رأيت النار مضطرمة والجلادين مقبلين اليّ ليلقوني فيها لم اغير حرفاً مما قلت سابقاً » فنهض اذ ذاك كوشون حانقاً وسأل المدعي عليها والمحامي العمومي اذا كان عندهما ما يقال ثم اعلم القضاة انهم سمعوا الدعوى وغداً يصدرون الحكم في سانوان

اما الفتاة فكانت رغماً عن حيل اعدائها الشيطانية ثابتة عَلَى ايمانها

ووطنيتها ودينها القويم ثبوت الجبال معلنة ومثبتة ان وحيها حقيقية ورسالتها آلهية وانها عن هذا الاعتقاد لا تحيد ولو الجئت الى الموت وهي محافظة عليه ولو في النار الآكلة . واما كوشون فحار في امره وخشي من ان يحبط مسعاه فاخذ يفكر في وسيلة تنيله اربه الذميم فعزم عَلَى ابدال صورة الدعوى بصورة اخرى وان يميل الفتاة الى الخضوع له بالوعد الكاذب بارجاعها الى حمل السلاح الامر الذي كانت تتوق اليه بكل قواها . ولكي ينجح مسعاه نجاحاً تاماً قصد ان يستعمل اللطف مع الفتاة وان يحرض لوازلور مرشد ضميرها عَلَى امالتها الى الخضوع لحكمة روان . تلك كانت افكار كوشون وهذه هي الخطة الجهنمية التي كان يريد ان يسير عليها بالنسبة الى جان

الفصل الخامس

في ما جرى لجان في سانوان وفي لوثم فانشستر و كوشون

انا لم افعل شرًا واسلم بقضايا ايماننا الاثنتي عشرة وبوصايا الله العشر وارفع امري الى كرسي رومية واومن بكل ما تعلمه الكنيسة (كلماتها للقضاة)

وكان قصد قضاة روان ان يشنعوا صيت كارلس السابع بحكمهم عَلَى جان بالموت اذ كانوا يستذنبونه لا تباعه ارآء ابنة ساحرة شاردة عن الايمان القويم كما كانوا يزعمون . اما الفتاة فكانت ثابتة عَلَى قولها بان الله ارسلها وكان

اعداؤها يسعون كل السعي لحملها عَلَى الاقرار بانها ضالة كاذبة حتى ان فانشستر اللئيم وكوشون الماكر عزما عَلَى المجاهرة بان جان اقرت علناً بانها كانت خادعة مضلة · ولكي ينجحا في مسعاهما جعلا ورقتين كتب عليهما اقرار الفتاة بالضلال وكانت الواحدة منهما كلها كذب وبهتان وتتضمن تسليم جان بذلك واقرارها بكفرها وسحرها ومخاتلتها والثانية كتب عليها بعض كلمات لامعنى لها وعبارات لا طائل تحتها وجمود مبهم يكاد لا يفهم وقصدا ان يأمرا بتلاوة هذا الاقرار الاخير المبهم عَلَى سماع الفتاة وان يحرضاها على توقيعه بيدها آملين رضاها بذلك لتلطيف عبارته وقلة اهمية ما يتضمن من الجحود لكنهما كانا عازمين عَلَى ابداله بالاقرار الصريح بحيلة عند اقدامها عَلَى توقيعه بيدها دون ان تلاحظ ما يكون وهو لعمري عمل فاحش وغدر شيطاني جدير بفانشستر وكوشون · ففي صباح ٢٤ ايار سنة ١٤٣١ اعدا كل شيء لمحاكمة السجنية في مدفن سانوان حيث اقيم دكتان مرتفعتان الواحدة للفتاة والاخرى لفانشستر كردينال انكلترة ولكوشون ولسائر القضاة واجتمع جمهور غفير لحضور الجلسة · فلما حضرت جان وحولها الحرس مالت اليها الالحاظ والقلوب وود كل واحد انقاذها وتخليصها من ايدي الظالمين فشعرت الفتاة اذ ذاك بتعزية كبرى وتحرك قلبها عند ذلك المشهد ولما اقتربت تقدم اليها لوازلور وقال لها « صدقيني يا جان انك تخلصين من الموت ان كنت تسمعين قولي · البسي ثوب امرأة واعملي ما يأمرونك به والاّ تهلكين لامحالة لكن ان اتممت ما اقوله لك انا اوكد لك

نه لا يصيبك ضرر ولا يلحقك شر بل تنالين خيراً وترجعين الى محكمة الكيسة»
فلم يدعوها تتحدث طويلاً مع لوازلور بل قادوها الى المكان المرتفع المعين لها
فجلست وهي لا تعلم ما ينتظرها فقام حينئذٍ غيليوم ايرارد الواعظ وبدأ
بآية يوحنا القائلة « ان الغصن لا يستطيع ان يأتي بثمر من عنده ان لم يثبت
في الكرمة : يو ١٥ — ٤ » وبعد ان ابان لها انها انفصلت عن الكرمة
الحقيقية اعني بها الكيسة بضلالها وكفرها وشكوكها تطرق الى ملامة
كارلس السابع ناسباً اليه تصديق اقوال فتاة ماكرة ضالة قائلا « لقد
تجاوزتِ يافرنسا الحد ونسيتِ انك من اشرف الامم المسيحية واخلصها
واقدمها فها ملكك كارلس قد اتبع الضلال والهرطقة بتصديقه اقوال امرأة
محتالة فاجرة جلبت عليه وعلى كل من حذا حذوه العار والفضيحة فعند
هذا الكلام فار فائر جان ولكنها كظمت غيظها فالتفت الواعظ اليها حينئذٍ وقال
«اليك ياجان اوجه كلامي ولك اقول ان ملكك قد مال الى الهرطقة والانشقاق»
فعندها عيل صبرها ولم تطق الصمت فضلاً عن انها سمعت صوتاً داخلياً هو
صوت قديستيها يقول لها « تكلمي » فرفعت صوتها غير خائفة قائلة :
«لا وحقك ان الملك لاصدق مسيحي واشد اخلاصاً للايمان والانجيل
وليس هو كما تزعم » فدهش ايرارد من هذا الجواب الجارح فالتفت الى ماسيو
وقال له « مرها بالصمت فتصمت » ثم ختم خطابه بقوله لجان « ها هم القضاة
الذين سمعوكِ ونبهوكِ وامروكِ باخضاع اقوالك واعمالك لحكم امنا الكيسة
المقدسة مبينين لك ان في اقوالك واعمالك اموراً كثيرة تستحق الرذل

حسب رأي العلماء » فاجابته : « لقد طلبت ان تحال دعواي الى رومية الى قداسة سيدنا البابا الذي عليه اعتمادي بعد الله اما ما قلت وفعلت فكان بامر الله وليس مسئولاً به لا الملك ولا احد غيره فان وجد فيه زلل او غلط فيجب ان ينسب اليّ وحدي دون سواي » فقال « وهل تريدين رذل كل اقوالك واعمالك المنكرة من رجال الكنيسة؟» فاجابت « انا افوض امري الى الله والى الحبر الاعظم » فقال لها كوشون « هذا الجواب غير كافٍ لانه من المستحيل احضار قداسة البابا في كل مكان فالاساقفة هم قضاة مثله كل في ابرشيته فيجب اذن ان تسلمي امرك الى امنا الكنيسة وتعتقدي صحة ما قرره رجال الدين بخصوص اقوالك واعمالك » وكرر عليها هذا القول ثلث مرات فلم تجب بكلمة فعزم كوشون عَلَى قرآءة الحكم عليها جوراً وظلماً غير مبالٍ باستئنافها دعواها الى محكمة البابا فهاج الحاضرون وخافوا عَلَى الفتاة فصرخوا قائلين « يا جان اخضعي لما يقال لك لئلا تموتي » فاخرج ايرارد ورقة مكتوب عليها صورة خضوعها لحكم الكنيسة وقبولها لبس ثوب النساء وترك شعر رأسها طويلاً وعدم حملها السلاح وقال لها « هذا ما يجب ان تجحديه » قال لها هذا وهي تكاد لا تسمع لاشتداد الصخب وارتفاع الاصوات فقالت له وقد خارت قواها « انت تطلب اليّ ان اجحد لكنني لا افهم المراد بهذا الجحود فليأتني من استشيره » فاتاها ماسيو بأمر ايرارد وقال لها « المراد بذلك ان تقبلي ما تلي على سماعك بهذه الورقة والا فتحرقين بالنار لا محالة فانا اشير عليكِ اذن ان تسلمي امرك الى الكنيسة الجامعة لتعرفي اذا كنت تجحدين اولا » فقبلت

جان نصيحته وقالت لايرارد : « اني خاضعة للكنيسة الجامعة لاعرف اذا كنت اجحد او لا » فقال لها هذا بغضب « انك لجاحدة بها الآن والا أُلقيت في النار » ثم اشار بيده الى الخارج حيث أعدت عربة فيها الجلادون المعدون لاذاقتها الموت بعذاب النار الاليم فارتعدت فرائصها وضاع رشدها فرقاً لانها لم تكن منتظرة الموت ولا عجب في ذلك لان الخوف من الموت طبيعي في الانسان حتى ان سيدنا يسوع المسيح نفسه شعر به في بستان الزيتون اذن اذا كانت الفتاة قد ارتعدت عند رؤيتها الموت باسطاً يديه للقبض عليها فلا يكون ذلك جبانة منها مطلقاً بل شعوراً غريزياً ليس الا هذا فضلاً عن انها لم ترد ان تخاطر بحياتها دون ان يكون في ذلك فائدة لفرنسا . وعند ذلك غير ايرارد كلامه وقال لها « نحن نحبك يا جان ونشفق عليك لكن يجب عليك ان تجحدي كل ما قلت والا نسلمك الى الحكومة الزمنية » فاجابته « انا لم افعل شراً واسلم بقضايا ايماننا الاثنتي عشرة وبوصايا الله العشر وارفع امري الى كرسي رومية واومن بكل ما تعلمه الكنيسة »

وكان كوشون مصغياً الى كل ما يقال ولا يضيع منه كلمة فلما انتهت جان من كلامها شرع بتلاوة الحكم باللغة اللاتينية وكان فيه انها رفضت مراراً عديدة الخضوع لسيدنا البابا وللمجمع العام وهو وايم الحق كذب ظاهر وكانت جان لا تفهم ما كان كوشون يتهمها به لكي تدافع عن نفسها وتظهر له كذبه الفاحش وكان لوازلور يحرضها كثيراً على اتباع نصائح عدوها كوشون وكثيرون كانوا يلحون عليها بالخضوع فقالت لهم بسكون وطمأنينة

« انتم تجهدون في تضليلي » فاخذ القضاة حينئذٍ يعدونها بانها اذا تركت ثوب الرجال تنقل من السجن المدني الى السجن الكنسي حيث تعطى امرأة كحارسة لها عوض الرجال ويسمح لها بحضور القداس الالهي وتناول القربان المقدس وتكسر قيودها الى غير ذلك فحارت جان في امرها لانها من جهة كانت تتوق الى الحرية والى اقتبال الاسرار ومن جهة اخرى كانت تتخوف ان يخدعوها كما قالت لها القديستان ففقدت صوابها واصبحت لا تدري ماذا تعمل فاتاها ايرارد وقال لها « ان قبلتِ ورضيتِ تخرجي من السجن وتطلق حريتكِ » فلما سمعت هذا الكلام وتحققت انهم يطلقون لها الحرية لتدافع عن فرنسا رضيت بتوقيع الورقة واخذت القلم لترسم به صليباً على المكان المعين للتوقيع قائلة لماسيو « خير لي ان اوقع هذه الورقة من ان احرق بالنار » وكان كوشون يواصل تلاوة الحكم الذي كان بدأ به كما سبق القول فاشهروا انها جحدت فقالت « اني لا اجحد الا ما يريد سيدنا يسوع المسيح ان اجحده » فلم يعبأ احد بكلامها . فتقدمت الى امام القضاة وضمت يديها قائلة بصوت عالٍ « اني خاضعة لحكم الكيسة واسأل القديس ميخائيل ان يرشدني ويدبرني » ففرح الجميع بهذا الخضوع لانهم تأكدوا خلاص جان ونجاتها من عذاب النار

وكان لوران كالوت كاتم اسرار هنريكوس السادس حاملاً صورة الاقرار الثانية التي كلها كذب وبهتان كما سبقنا وقلنا وكان فيها ما يلي:

كل من ضل واحتقر الدين المسيحي ثم فتح عينيه لنور الحق ورجع عن ضلاله

وعاد الى شركة امنا الكنيسة المقدسة يجب عليه ان يحترس لنفسه من العدو الجهنمي الذي يسعى لايقاعه في الفشل والقنوط حتى يعود الى ضلاله الاول ومن ثم الى الهلاك الابدي ولاجل ذلك انا جان الخاطئة الحقيرة الملقبة بعذراء اورليان اقر باني ضللت ثم عدت بنعمة الله الى امنا الكنيسة المقدسة وحتى يتحقق الجميع ان توبتي صحيحة صادقة اعترف باني اقترفت ذنباً فظيعاً وهو اني ادعيت كذباً نزول الوحي علي واني رايت رؤى من قبل الله والملائكة والقديستين كاترينا ومرغريتا فاغويت النفوس باعتقادهم ما اعتقدته بجنون وبغير روية ثم التجأت الى السحر والكهانة وجدفت على الله والقديسين والقديسات وخالفت الشريعة الالهية والكتاب المقدس والحقوق القانونية ولبست ثياب الخلاعة والفجور والعهر على خلاف ما تتطلب مني الحشمة الغريزية وقصصت شعري كما يفعل الرجال فاصبحت بذلك خالعة العذار والحياء الذي لا بد منه للنساء ثم حملت السلاح زهواً ورغبة مني في سفك الدماء البشرية وزعمت انني فعلت ما فعلت بأمر الله والملائكة والقديستين المذكورتين واكدت ان كل ما فعلت كان حسناً واحتقرت الله والاسرار وهيجت الفتن وعبدت الارواح الخبيثة واستعذت بها. واعترف ايضاً باني كنت عاصية واني ضللت عن الايمان القويم بانواع شتى فانا اجحد وارذل وانكر كل هذه الذنوب والاضاليل من صميم قلبي وباخلاص تام واعود بنعمة الله ربنا الى طريق الحق بواسطة الدين المقدس ونصائحكم الصالحة ونصائح العلماء والاساتذة الذين ارسلتموهم الي ليوثقوني وانا اتخضع من اجل الذنوب المنوه بها لكل قصاص وتأديب وكفارة وحكم صادر علي من قبل الكنيسة المقدسة ومن قبل عدلكم المشهور. واخيراً انا احلف واتعهد واعد امام سيدنا القديس بطرس هامة الرسل وامام سيدنا الاب الاقدس بابا رومية نائبه وامام خلفائه وامامكم ايها السادة المحترمون والاباء بالرب وامامك يا سيدنا مطران واماك ايها الاب الموقر الاستاذ يوحنا ليماتر نائب سيدنا المطران والمحامي عن الايمان وامام جميع القضاة باني لا ارجع ابداً ولا باية طريقة كانت او باي نوع كان الى الاضاليل المتقدمة بالذكر التي شاء سيدنا يسوع المسيح ان ينشلني ويخلصني منها بل اني اثبت على الاتحاد بامنا الكنيسة المقدسة وفي الطاعة لسيدنا الاب الاقدس بابا رومية. وانا اقول ذلك

واثبته بالقسم بالله القادر عَلَى كل شيء وبالاناجيل المقدسة واشعاراً بما اتيت اوقع هذه الورقة باسمي جان +

فتقدم اليها كالوت المذكور بحيلة متظاهراً باللطف والبشاشة واخرج من كم ثوبه هذه الورقة ووضعها تحت يدي جان موضع الورقة الاولى التي كانت جان رضيت بتوقيعها ولم تكن هي شاعرة بشيء لانشغال بالها وتعب جسمها وازدحام الناس حولها ثم قال لها « وقعي هذه الورقة » فاجابته « انا لا اعرف الكتابة ولا القراءة » فقال لابد لك من التوقيع فتبسمت ورسمت دائرة وصليباً مكان الاسم وهي ساخرة فرأى كالوت ان ذلك لا يكفي فقبض عَلَى يدها وجر القلم كاتباً اسمها ورسم بعده صليباً واعلنوا انها وقعت اقرارها

وفي كل تلك الاثناء كان كوشون متوقفاً عن تكميل تلاوة الحكم فهاج عليه الانكليزيون الى ان وصفه احد خدمة الملك بالخيانة والميل الى هذه الفتاة التي تستحق الموت فغضب كوشون عند ذلك وقال له : « كذبت فيما قلت » ثم طرح الحكم في الارض طالباً كفارة فلام الكردينال فانشستر ذلك الذي اتهم كوشون بالخيانة وامره بالصمت فصمت . وكانت جان قد وقعت الورقة السرية الغير المعروفة منها اذ انها كانت متأكدة انها وقعت الورقة التي تليت على سماعها لا غيرها فلما سمع الانكليزيون انها وقعت اقرارها غضبوا غضباً شديداً واخذوا يقذفون الشتائم قائلين : « يا لها من ماكرة خداعة انها تغش المحكمة لتتخلص من الموت فيا ايها القضاة انظروا كيف انها تستهزىء بكم الا ترون ان جحودها سخرية وكذب ؟ » اما كوشون فالتفت الى فانشستر

وقال له « ها انها قد جحدت فماذا يجب عليها عمله ؟ » فاجابه ذاك « يجب ان تصنع توبة » فتقدم لوازلور حينئذٍ وقال لجان « لقد انقذت نفسك من الهلاك فاهنئك » فوقف اذ ذاك كوشون وتلا الحكم الثاني الذي كان قد اعده وبه يحكم على جان بالسجن المؤبد فقالت الفتاة للقضاة الكنسيين « خذوني الآن الى سجنكم واريحوني من ظلم الانكليزيين » اما كوشون فقال للحراس « اعيدوها الى حيث كانت » ففعلوا وكانت تلك الخيانة الاولى

فعادت جان الى سجن اعدائها الذين ظنوا انها تكاد تتخلص من الموت حرقاً ولذلك ارادوا ان ينتقموا منها فضيقوا عليها اي تضييق واجتمعوا حول سجنها يصيحون ويتوعدون وفي تلك الاثناء مر كوشون من هناك فتهددوه بالقتل ان لم يمت الفتاة اما فارفيك فكان جاهلاً الحيلة الجهنمية التي استعملوها لايقاع جان فقال « لم ينجح المسعى فالويل للملك » فاجابه احد القضاة قائلاً « كن مطمئن البال انها لاتفلت من ايدينا بل لا بد من قتلها »

هذا ما جرى لجان في سانوان ومنه يظهر للقارىء اللبيب لوم فانشستر وكوشون وخبثهما وتسطع نباهة فتاتنا وثباتها على قولها وسذاجتها وسلامة طويتها . اجل انهم خدعوها وخانوها لكنها لم تنكر وحيها ورؤاها ورسالتها . نعم انهم غشوها بالمواعيد الكاذبة فسلمت لهم ببعض ما كانوا يرغبون فيه اليها ظانة انها تستطيع ذلك دون اهانة الباري وكانت مدفوعة بحبها للحياة في خدمة بلادها فهذا العمل لا يجحف بقدرها وفضلها بل يعلن حبها لوطنها وتفانيها في خيره وسعادته وبين طهارة قلبها وصفو نيتها . اما الانكليزيون

والقضاة الظلمة فلطخوا اسمهم بالعار والشنار الى منتهى الاجيال لخداعهم ابنة لا تبلغ العشرين ربيعاً وهاهم يعدون النار لاحراقها جوراً اتماماً لجريمتهم الفظيعة ورواء لغليلهم الاثيم

الفصل السادس

في لبسها ثوب النساء وفي جلسة ٢٩ ايار

ان اراد القضاة فاني قابلة ثوب
النساء ولست فاعلة غير هذا قطعاً
(كلماتها لكوشون)

بينما كانت جان راجعة الى سجنها والامل بالرجوع الى الحرية مالئ قلبها تقدم اليها احد القضاة وناولها ثوب امرأة فقبلته ودخلت السجن. منتظرة بفروغ صبر الساعة التي فيها تخرج منه ولم يمض القليل من الزمان حتى ضاق صدرها واستحوذ عليها غم شديد فظنت انهم لا يخرجونها من ذلك المكان الا بعد ان تكون اتمت مواعيدها وبينما هي مفكرة في ذلك دخل عليها يوحنا ليماتر ونيقولا ميدي ونيقولا لوازلور وتوما دي كورسيل وايزانبار دي لابيار وغيرهم وسألوها ان تتم ما وعدت به القضاة الذين عاملوها بكل رحمة فاطاعت ورضيت بان يحلق شعر رأسها ثم لبست ثوب النساء وخلعت عنها ثوب الرجال لكنها لم تلبث ان شعرت بالخيانة والغدر كما تنبأت لها القديستان لانها رغماً عما فعلته بقيت ابواب السجن مقفلة عليها بخلاف ما كانوا قد وعدوها

فيالخيبة الامل · مسكينة جان كيف خدعت لسذاجتها اذ لم يخطر لها ببال ان القضاة يحنثون في مواعيدهم فكانوا حانثين فذرفت الدموع السخينة ولم تنم ليلتها كلها فظهرت لها القديستان وقوتا عزائمها وهونتا عليها المصاب فتشجعت وعزمت على الثبات على وعدها رغماً عن خيانة القضاة · وكان فارفيك ينتظر خلاف ذلك في بغضه للفتاة لانه كان يحب ان يراها مخالفة لاوامر القضاة لكي يتحقق عليها الذنب ولذلك امر الحراس باذاقتها العذاب الوانا ضرباً وشتماً واهانة ليلجئوها الى لبس ثوب الرجال ثانية حتى تنكث وعدها وتستحق الحكم عليها بالموت

ولما كان نهار الاحد استيقظت جان باكراً وكان مرادها ان تستعد لحضور ذبيحة القداس الالهي استناداً الى وعد القضاة الصريح لها فسألت الحراس ان يحلوا قيودها ففعلوا لكنهم اختطفوا منها ثوب المرأة الذي كانت تريد لبسه ولم يتركوا لها الا ثوب الرجل فقالت لهم حينئذٍ « ايها الرجال انتم تعرفون ان هذا الثوب لا يحل لي لبسه فلا البسه قط » فاجابوها « ليس لكِ سواه لكي تلبسي . » فاضطرت الفتاة المسكينة الى ان تبقى في فراشها الى الظهيرة ولما لم يعد في وسعها البقاء التحفت بالثوب الرجلي حتى تستطيع الخروج لقضاء حاجاتها وهي لا تريد لبسه البتة · ولم يكتف فارفيك الظالم بما فعل بل اراد استعمال الوسائط السافلة لبلوغ اربه فاوعز الى احد اصدقائه الانكليزيين ان يدخل عليها ليلاً وهي لابسة ثوب المرأة ويطلب مواقعتها وكان قصده بذلك ان يبين لها ان لبسها ثوب المرأة خطر على طهارتها لكي يلزمها بالرجوع

الى الثوب الرجلي . فاقشعرت من هذا الامر وفضلت الموت على فقد الطهارة فرفعت الحاظها الى السماء واستغاثت بقديستيها اللتين ظهرتا لها في الحال وافهمتاها انها خدعت وان اعداءها اعتقدوا تركها لثياب الرجال نكاية لدعوة الله لها فانفتحت عيناها وعلمت ما يجب عليها فعله من الآن وصاعداً وقصدت الرجوع الى لبس ثياب الرجال لتعلن للجميع انها مرسلة من الله لانقاذ مملكة فرنسا وعزمت على ان تثبت هذه الحقيقة بدمها . ولما اصبح الصباح جاهرت بانها لا تلبس الا لبس الرجال لان احد الانكليزيين وكثيرين من الحراس ارادوا اغتصابها اذ راوها لابسة ثياب النساء .

اما كوشون فجمع سبعة من اعضاء المجلس ودخل على الفتاة في السجن فشكت اليهم ما لقيت من الاهانات والمخاطر وكيف اختطفوا منها ثياب النساء ليجبروها على لبس ثياب الرجال ثم قالت « كنتم قد وعدتموني بان تخرجوني من سجن الانكليزيين وتسلموني الى امرأة تحرسني في كنسي وان تأذنوا لي بحضور القداس وقبول القربان المقدس فخنتم في وعدكم . فالموت احب الي من ان ابقى في القيود . ان تركتموني احضر القداس وحللتم قيودي اخضع للكنيسة » فلم يعبأ كوشون بهذا الكلام بل بكتها على اكتسائها بثياب الرجال بعدان كانت قد وعدت بتركها ثم تطرق الى التكلم عن رؤاها ووحيها فاجابت بحزم : « انا لم اجحد قط الرؤى السماوية التي ظهرت لي اعني زيارة القديستين كاترينا ومرغريتا . فانا اصرح الآن ان كل مافعلته انما فعلته خوفاً من النار واذا كنت جحدت

شيئاً فانما اكون قد جحدت ما هو صحيح واود ان اكفر عن ذنبي بالموت ولا اكابد عذاب السجن زمناً طويلاً . انا لم آتِ عملاً يضاد الله او الايمان رغماً عما جحدت لاني وقعت كتابة لم اكن افهم ما فيها اذن انا لم اجحد الا ما كان في جحوده رضى الرب عز وعلا . فان اراد القضاة فاني قابلة ثوب النساء ولست فاعلة غير هذا قطعاً » سمع كوشون هذا الكلام فطار قلبه فرحاً اذ تحقق نيل الارب لان جان اعلنت جهاراً انها لا تجحد الرؤى التي ظهرت لها فعلق عَلَى صورة الدعوى هذه الحاشية : « اننا نحكم على جان بالموت لانها عادت الى زعمها انها رأت رؤى سماوية » فعل ذلك ليهرب من ملامة الاجيال المقبلة فطاش سهمه اذ نزلت عليه لعنة الجميع من جرى جرمه هذا الفظيع . فخرج من عند السجينة البرية مسرعاً لئلا ترجع عما قالت فصادف في طريقه فارفيك وحوله قوم من الانكليزيين فناداهم قائلاً وهو يضحك : « طيبوا نفساً فقد انتهت الدعوى وسيتم فرحكم » ولكي ينهي كوشون ما بدأ به ويتخلص من جان استدعى المدعي العمومي مع ٤٥ عضواً وتلا عَلَى مسامعهم استنطاقها الاخير وصورة الجحود المزورة التي وقعتها وهي غير عارفة بما فيها كما تقدم القول فسجلت المحكمة تلك الصورة المزورة مع ما اضيف اليها من الكذب والبهتان ثم سأل القاضي جميع الحاضرين ان يبدوا اراءهم فقام كاهن اسمه فيكامب وقال له : « انت تزعم ان جان عادت الى اثمها لكن الا يجب ان تُتلى عَلَى سماعها مرة ثانية صورة الجحود التي وقعتها حتى تعرف غلطها وتسمع التنبيه الالهي الاخير ؟ فان ثبتت على شرها عدت مشاقة منفصلة عن

الكنيسة وسلمت الى المحكمة المدنية لتعاملها بالرفق والرحمة . فاستصوب الجميع هذا الرأي اما كوشون فرفضه خوفاً من الفضيحة لانه عالم بما فعل وهو يريد موت الفتاة كيفما كان الامر فعين ميعاد الاجتماع الاخير لتنفيذ الحكم في اليوم التالي .

الفصل السابع

في قبولها القربان الاقدس وكلماتها الاخيرة وموتها الكريم

اني اكرر قولي الاول ان الاصوات التي سمعتها كانت من الله وكل ما فعلت من الخير بامره تعالى فعلته فانا اعلن جهاراً ان هذه الاصوات لم تخدعني لانها كانت في الحقيقة من السماء ... يسوع . يسوع . يسوع (كلماتها الاخيرة)

وما تبلج فجر اليوم الثلاثين من ايار سنة ١٤٣١ حتى اهتزت روان اهتزازاً عظيماً لذكر الحكم بالموت الصادر على جان الباسلة منقذة الامة والبلاد من نير الاعداء . فارسل كوشون راهبين من رهبان القديس عبدالاحد (اي الدومينيكيين) الى الاسيرة المظلومة ليخبراها بقرب اجلها ويحرضاها عَلَى الندامة والتوبة وكان احدهما يدعى الاخ مرتينوس لادفونو فتقدم اليها وعزاها على مصابها وحثها عَلَى الاعتراف فاعترفت اعترافاً نقياً بدموع سخينة ثم علمت من الراهبين المذكورين نوع الموت الذي يريدون ان يذيقوها اياه فخارت قواها

واصطكت ركبتاها ولطمت على رأسها قائلة « واحسرتاه علي اي عذاب اليم يريدون ان يذيقوني اياه ؟ ان جسدي الذي حفظته طاهراً نقياً سيكون اليوم فريسة للنار. آه يا حبذا لو ضرب عنقي سبع مرات ولا احرق بالنار. يا ليتني كنت في سجن الكنيسة لئلا ارى هذه المعاملة التي تأباها الانسانية. فانا ارفع امري الى محكمة الله الديان السامي واشكو اليه الشرور التي انزلوها بي بظلم وجور » فكل من سمع هذا الكلام تمزقت احشاؤه حزناً عليها وفي تلك الاثناء دخل كوشون فلما رأته انتصبت على قدميها وقالت له بشجاعة « انك يا مطران لقد قتلتني » فاجابها ذاك بخبث : « صبراً يا جان فانك انت التي جلبت على نفسها الهلاك لحنثها في وعدها » فقالت له « آه لو كنتم وضعتموني في سجن كنسي وسلمتموني الى يد اكليريكية لما حل بي ما ترى ولذلك انا اشكو حكمك الى الله » ثم القى عليها كوشون بعض اسئلة وخرج مع الجميع من عندها الا الاب مرتينوس لادفونو وقد كانت غائصة في بحر الاحزان فالتفتت اذ ذاك فرأت بطرس موريس الذي كان قد اظهر نحوها التفاتاً خاصاً فنادته قائلة : « اين اكون يا ابتِ هذا المساء ؟ » فاجابها « او لست واثقة بالله ؟ » فقالت له « نعم اني لواثقة به وهذا المساء ساكون بعونه تعالى في الفردوس » ثم تبع موريس الباقين وخرج وبقيت جان مع الاب مرتينوس فاظهرت له رغبتها العظيمة في اقتبال جسد الرب الذي حرمت تناوله مدة ستة اشهر فوقع الراهب في الحيرة لانه لا يعلم اذا كان له ان يمنحها سؤلها اولا ولذلك لم يدر ما يجيب وفي تلك الاثناء دخل عليها ماسيو من قبل كوشون لكي يعلمها بالحضور الى

امام القاضي في السوق القديمة بالقرب من كنيسة المخلص لتسمع القضاء المحكوم به عليها فاستغنم الاب مرتينوس هذه الفرصة وسأله ان يستشير الاسقف فيما اذا كان يستطيع مناولة الاسيرة ام لا فجمع الاسقف العلماء وفاوضهم في الامر ثم اجاب بالايجاب فكان بسماحه هذا قاضياً على نفسه بالظلم وعلى الفتاة بالبراءة لان الكنيسة لا تسمح للمنفصلين عنها باقتبال الاسرار . فلما رجع ماسيو بالتفويض اللازم امره الاب مرتينوس بان يأتي بالقربان فاراد ماسيو ان يجري الامر سراً بدون احتفال اما مرتينوس فقال « كلا بل يتم ذلك حسب النظام البيعي المرتب لمثل هذه الظروف » فجيء بالقربان جهاراً باحتفال عظيم وحوله الشموع المضيئة وخلفه الخلق الكثير يرتلون طلبة المنازعين فتناولت الشهيدة جسد المخلص الالهي للمرة الاخيرة وهي على غاية التقوى والعبادة بين التنهدات والدموع والصلوات الحارة والعواطف التقوية والتوسل الى مريم سلطانة الشهداء وسائر القديسين المغبوطين فابكت الجميع حتى لوازلور نفسه . وبعد اقتبالها جسد الرب على ما تقدم نزعت عنها ثياب الرجال واتشحت بقميص نسائي طويل ووضعت على رأسها قبعة ونزلت من البرج وتبعها مرتينوس لادفونو وماسيو وركبت عربة يحيط بها ١٢٠ جندياً وركب معها الاكاهنان المنوه بهما فلما رآها لوازلور راكبة عربة الموتى خنقته العبرات فتقدم اليها قائلاً لها « سامحيني » فهجم عليه الشعب ليضربوه فأتى فارفيك ودافع عنه فاضطر هذا الرجل الاثيم الى ان يختبىء اياماً خوفاً من الشعب

سار الموكب المحزن الى السوق القديمة بين الجماهير الغفيرة من الفرنسيين

وخصوصاً من الانكليزيين وكانت جان رافعة عقلها وقلبها الى السماء تناجي من ارسلها ومن من اجله تقاسي الموت ولما كانت عيناها تقع على من حولها كانت ترفع صوتها وتقول « اه يا مدينة روان هل فيك يكون موتي .. روان روان هل فيك يكون مسكني الاخير ؟ » وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى محل العذاب حيث كان ١٠٠٠٠ نسمة مجتمعين من كل جهة من وجوه المدينة سواء كان من الانكليزيين او من الفرنسيين وفي مقدمتهم الكردينال فانشستر واسقفا تيروان ونويون وكان ٨٠٠ جندي انكليزي يحافظون على النظام والسكينة وكانوا قد نصبوا هناك ثلاث دكات مرتفعة الواحدة للقضاة والثانية للاشراف والثالثة للواعظ نيقولا ميدي ولجان وقد كانت بالقرب من كومة الحطب المعدة لاحراقها فنزلت الفتاة من عربتها وصعدت الى المكان المعين لها وجلس كل في مكانه وحينئذٍ بدأ نيقولا بخطابه الذي استهله بهذه الآية من الكتاب المقدس « فاذا تألم عضو تألم معه سائر الاعضاء : اكور ١٢ — ٢٦ » وبعد ان كرر تعداد الجرائم المنسوبة الى جان زوراً ختم كلامه قائلاً : .. اذهبي الآن بسلام يا جان لان الكنيسة لا تستطيع المحاماة عنك فلذلك هي تسلمك اليوم الى القوة المدنية . وبعد ذلك تلا كوشون صورة الحكم عليها ناعتاً اياها بالكفر والمروقة ومعلناً تسليمها الى المحكمة المدنية لتعاملها برفق اذا امكن . ثم قيل لها ان تستعد للدخول في ابديتها فسجدت حينذاك والدموع ملء عينيها وشرعت في الصلاة بصوت عالٍ مبتهلة الى الاقانيم الالهية الثلاثة من الثالوث الاقدس والى الطوباوية مريم العذراء والى قديسي الفردوس وقديساته وخصوصاً الى من

كان لهم في قلبها منزلة جلى واكرام ممتاز وبعد ذلك نادت باعلى صوتها انها مؤمنة كاثوليكية وانها تسأل الله الصفح عن زلات حياتها كلها طالبة المغفرة لاعدائها ولملكها ولوطنها العزيز وملتمسة من الحاضرين من فرنسيين وانكليزيين الغفران عما اساءت به اليهم راجية الدعاء لراحة نفسها بعد موتها مستحلفة الكهنة ان يتلوا الذبيحة الالهية من اجلها بعد خروجها من هذا العالم . قالت فابكت كل من سمعها حتى الانكليزيين انفسهم الذين اقروا حينئذٍ بان الله كان معها في ما فعلت بل ان فانشستر وكوشون لم يتمالكا من مسك عبراتهما لما رأيا ذاك المشهد المفتت الاكباد وسمعا تلك الكلمات التي تتفطر لها الافئدة الجلمودية وتمور لها الجبال الراسية .

بقيت جان تصلي على هذا المنوال مدة نصف ساعة ثم طلبت صليباً لتتسلح به ضد كل ضعف في حين العذاب الاليم فاخذ احد الجنود خشبتين وجعلهما صليباً واعطاها اياه فقبلته وضمته الى صدرها بحب ولكنها سألت بالحاح ان يؤتى من الكنيسة القريبة بالمصلوب لكي يرفع امام عينيها وقت العذاب فتمكن ماسيو من احضار الصليب الكبير من الكنيسة فاحتضنته بوقار بليغ وثقة عظيمة وغسلته بدموعها فهاج عند ذلك الانكليزيون من هذا المطل وصاحوا « انبقى هنا الى المساء ؟ » فانزلت وقتئذٍ جان مع الرهبان اما ماسيو والكهنة فابتعدوا وحينئذٍ قال القاضي الانكليزي للجنود « خذوها خذوها » ونادى فارفيك من جهة الانكليزيين قائلاً للجلاد « اصنع ما انت صانع » فتقدم اثنان من الجند ليقوداها الى محل العذاب فصعدت الى المحرق وبجانبها

مرتينوس لادفونو وايزانبارد دي لابيار ثم رفعت صوتها وقالت بحزن لا مزيد عليه « آه يا مدينة روان انا خائفة ان يصيبك ضر من جرى موتى » فخطفوا من يديها الصليب وربطوها الى العمود الذي فوق المحرق ووضعوا على راسها تاجاً مكتوباً عليه « هرطوقية مشاقة جاحدة وثنية » فلما رأت ذلك هتفت باعلى صوتها قائلة : « كلا ثم كلا انا لست بهرطوقية ولا مشاقة كما يزعمون زوراً و بهتاناً انا مسيحية صالحة » ثم التفتت الى الراهبين اللذين بجانبها وقالت : « اسألكما ان ترفعا الصليب امام عيني حينما تضرم النار ثم اكرر لكما قولي الاول اي ان الاصوات التي سمعتها كانت من الله وكل ما فعلت من الخير بامره تعالى فعلته فانا اعلن جهاراً ان هذه الاصوات لم تخدعني لانها كانت في الحقيقة من السماء » وكانت النار قد اضطرمت وعلا لهيبها فالتفتت جان الى الكاهنين الغيورين اللذين بقربها يشجعانها ويعظانها وقالت لهما : « قد اشتعلت النار فانزلا عاجلاً واجعلا الصليب نصب عيني حتى آخر نسمة من حياتي » وعندها ارتفع اللهيب وانتشر الدخان الكثيف وحجب الفتاة عن النواظر لكنها كانت تصرخ قائلة « ايتوني بالماء المبارك » ثم لم تلبث ان دخلت في النزع الاليم صارخة ثلثاً « يا يسوع . يا يسوع . يا يسوع » فشهد الناظرون انهم رأوا اذ ذاك اسم يسوع الالهي مصوراً فوقها باحرف نارية وليس ذلك امراً محالاً لما كان لهذا الاسم الكريم في قلبها من الحب والاعتبار وعندها احنت رأسها بهدو وسكينة ولفظت روحها الطاهرة فماتت شهيدة الظلم وفي الحال شاهد الحاكم الانكليزي حمامة بيضاء صاعدة من بين اللهيب

المتأجج مرتفعة الى السماء فجمد الدم في عروقه من شدة الخوف فسقط مغشياً عليه. وهكذا انتهت تلك الحياة العجيبة النادرة المثل في تاريخ البشرية فسبحان من له في خلائقه وقديسيه عجائب وآيات

الفصل الثامن

في اقرار اعدائها بقداستها وفي بقاء قلبها سليماً وفي قصاص قاتليها

ابداً لا انال المغفرة من الله لاني
احرقت قديسة (كلمات الجلاد)

ولما اسلمت جان التقية روحها البارة امر القائد الانكليزي بابعاد النار عن جسمها ليتحققوا وفاة تلك الباسلة التي قهرتهم في حياتها والتي احرقوها ظلماً وجوراً ولما تأكدوا موتها اضرموا النار ثانية بشدة حتى لا يبقى شيء من جثتها التي كانت واسطة لخلاص بلادها وبينما هم يتمون عملهم هذا الفظيع كان الناس يتقاولون في حياتها العجيبة واعمالها الغريبة وموتها الشنيع وبما شاكل ذلك واذا باحد قانوني روان وهو يوحنا ابي قد رفع صوته قائلاً بدموع سخينة: «انا اشتهي من كل قلبي ان تكون نفسي حيث نفس هذه المرأة الان» وقال يوحنا تريسارت كاتم اسرار هنريكوس السادس ملك الانكليزيين: «انا لقد احرقنا قديسة. وانا اظن ان نفسها تتمتع الآن بمشاهدة الله وان من اشترك في الحكم عليها هالكون» ثم قال فيما بعد لبطرس كوشيل «انا لا محالة هالكون لاننا احرقنا قديسة وانا اظن ان نفسها حاصلة الآن على سعادة الله لانها في وسط

لهيب النار لم تفتر عن الاستغاثة باسم يسوع" واخيراً اعلن الجلاد جوفروا تيراش ان النار التهمت جثة الفتاة الشهيدة وبينما هو يحرك الرماد الملتفاً واذا به قد وجد قلبها سليماً حياً يدمي فتعجب من ذلك واخذ حطباً وصب عليه زيتاً واشعله ليبيد ذلك القلب النقي الذي كان مركزاً لحب الله وحب فرنسا ولما رأى النار لا تفعل فيه صب عليه كبريتاً وجمع عليه الجمر بكثرة ليحرقه فذهب تعبه سدى لان ذلك القلب الطاهر بقي صحيحاً كما لم يمسه شيء فاندهش تيراش من ذلك وهتف: "يا للاعجوبة يا للاعجوبة!" ولشدة رعبه هرب مرتعداً وقصد دير الاباء الدومينيكيين يطلب الابوين مرتينوس لادفونو وايزانبارد دي لابيار وقال لهما وهو يرتجف من شدة الخوف والحزن "ابداً لا انال المغفرة من الله لاني احرقت قديسة" قال واعترف بخطاياه تائباً نادماً اما الحاضرون والراؤون هذا الامر العجيب فسألوا ذوي الامر عما يجب عمله فاجاب فانشستر قائلاً: "القوا القلب وسائر بقايا الجثة في نهر السين" فجمعوا كل ذلك في كيس اسود والقوه في النهر وهكذا تمت رجاسة اعداء منقذة فرنسا وانتصر الظلم الفاحش على من عجزت جميع بنات البشر بأساً وفضلاً وكان ذلك في ٣٠ ايار سنة ١٤٣١ عند الساعة الخامسة مساء بين حزن الشعب واسفه وهو يردد قائلاً: "حقاً انها لقديسة لقد احرقوا قديسة"

وكان الجميع يتحدثون عن فضائلها وحميد صفاتها تخاف الانكليزيون من سوء العاقبة فالتجأوا الى كوشون موضوع ثقتهم فشمر هذا عن ساعد الجد وجمع سبعة من امثاله اعوان الاثم والشر وسعى لديهم في تسطير كتابة تعلن

وثبت ان الفتاة اقرت في صباح يوم حرقها اي في ٣٠ ايار بانها مذنبة منكرة وحيها. كتبوا ذلك ليقنعوا العالم الكاثوليكي بانها لم تكن سوى خداعة ساحرة وحتى يبرئوا نفوسهم من اتهم القظيع. ولاجل هذه الغاية نفسها التأموا ثانية في ٨ حزيران باسم ملك انكلترة هنريكوس السادس والفوا نشرة اذاعوها في العالم المسيحي وارسلوها الى عاهل المانيا والى سائر الملوك والامراء والاشراف المسيحيين مثبتين ان الفتاة جان دارك اعترفت بذنبها واقرت جهاراً قبل موتها بان رسالتها كانت كاذبة لا اصل لها. ثم في ٢٨ من الشهر ذاته اذاعوا نشرة ثانية مثل الاولى ارسلها ملك الانكليزيين الى احبار مملكة فرنسا وامرائها واشرافها واعيانها ووكل كلية باريس بان تكتب في المعنى نفسه الى الحبر الاعظم والى الكرادلة اجمعين بقصد اخفاء اسمهم الشنيع الذي انتشر في جهات الارض كلها وذلك دليل واضح على انهم كانوا يشعرون بذنبهم. ولهذا كانوا قد سألوا ملك انكلترة في ١٢ حزيران ان يتخذهم تحت حمايته فيما اذا قامت عليهم سلطة علياء تطالبهم بما جنت ايديهم فضلاً عن انهم كانوا يقتصون بصرامة من كل الذين كانوا يحكمون خلاف حكمهم ويزعمون عكس زعمهم مصوبين اليهم اسهمة لومهم ورذلهم. من ذلك انهم حكموا في ٨ آب سنة ١٤٣١ على احد الاباء الدومينيكيين لانه اثبت لهم انهم لم يعاملوا الفتاة بعدل

اما كارلس السابع فكان لا يبدي حركة لا لانه لم يحزن على موت جان التي كانت له عوناً قوياً بل لان حاشيته واعوانه ولا سيما لاتريموايل كانوا يجتهدون في الهائه عن ذكرها والتفكر بها!

هذا كان نصيب الفتاة الباسلة من الارض اما نصيبها من السماء فكان عظيماً فظهرت مفاعيل العدل الالهي في من حكموا عليها واذاقوها كأس المنون ظلماً وانتقاماً. فقيض الله للفرنسيين طرد اعدائهم الانكليزيين من كل مملكة فرنسا كما كانت جان قد تنبأت. وضرب نيقولا ميدي بالبرص الشنيع وجرح لاتريموايل في سنة ١٤٣٣ جرحاً بليغاً في رأسه ثم طعن بطنه بخنجر وقاده احد الفرنسيين اسيراً ولم تطلق له الحرية الا بدل فدية جزيلة ثم عزل عن منصبه واقيم مقامه الامير دي ريشمونت. ولم يلبث كارلس السابع ان تصالح مع فيليب لي بون في معاهدة جرت بينهما في اراس فلما سمع بدفورد هذا الخبر حصلت له سكتة قلبية اسكنته القبر وهو في عنفوان شبابه وذلك في ١٤ ايلول سنة ١٤٣٥ في قصر بوفرايل حيث كان قد سجن جان دارك منزلا بها الاعذبة وانواع الجور. فنفض الفرنسيون غبار الذل والعار بعد مصالحة الملك مع الدوق دي بورغونيا التي تمت حسب نبوة جان في ١٧ اذار سنة ١٤٣١ واصبحوا ينتقلون من ظفر الى آخر ومن نصرة الى اخرى الى ان دخلوا باريس بعد مضي ست سنين فقط من ذلك الحين طبقاً لما كانت جان قد تنبأت حين قالت: « قبل سبع سنين يخسر الانكليزيون خسارة تفوق الخسارة التي اصابتهم امام اورليان » فلما دخل ريشمونت العاصمة خرج منها الانكليزيون واعوانهم بذل وعار بين استهزاء القوم وزئاطهم وكان بينهم كوشون الاثيم الذي رافقه الشؤم ولبسته النعاسة واللعنة بعد موت الفتاة فليس فقط انه لم يحصل على ابرشية روان بل حرمه مجمع بال لعدم دفعه المبالغ التي كان مديوناً بها لرومية واخيراً مات فجأة في

١٨ ك١ سنة ١٤٤٢ في مدينة روان حيث حكم على منقذة البلاد . اما الكونت دي فارفيك فقضى نظير بدفورد في قصر بوفرايل حيث نكل بجان واما دي تيفات المدعي العمومي الشرس الاخلاق فسقط في موحل كثير الاقذار بينما كان راجعاً الى عاصمة نورماندیا فاختنق ومات شر ميتة . واما لوازلور الخائن فبعد ان عزل عن منصبه وعاش في الذل والاحتقار فاجأه داء السكتة وذهب بحياته الشقية . وظل كارلس السابع صامتاً عن اثم الانكليزيين وشريكهم كوشون لكنه لم ينس حكمة جان وخبرتها في ادارة الجنود فاقتفى اثارها فصار الظفر حليفه والنجاح يكلل مساعيه فدخل روان باحتفال باهر في ١٠ ت٢ سنة ١٤٤٩ ثم كسر الانكليزيين في فورمينيي في سنة ١٤٥٠ واخذ بورينو في ١٤ حزيران سنة ١٤٥١ لكن تالبوت عاد فاستولى عليها ثانية سنة ١٤٥٢ واخيراً انتصر كارلس تماماً على الانكليزيين في واقعة كاستيليون في ١٧ تموز سنة ١٤٥٣ وفي ٩ ت١ من السنة عينها اخذ بوردو مرة ثانية ولم يبق للانكليزيين في ارض فرنسا سوى مرفا كاله القديم وهكذا تمت نبوة جان الاخيرة بالحرف اذ عاد كارلس السابع على جميع ارض فرنسا

الفصل التاسع

في تبرئة جان وحكم الكرسي الرسولي بسمو فضائلها

ان خادمة الله جان دارك قد سطعت في سماء الكنيسة كوكباً منيراً يضيء لكل عين ناظرة فاصبحت مجد فرنسا بل فخر الكنيسة جمعاء
(كلمات قداسة البابا بيوس العاشر)

فلما دخل كارلس مدينة روان تذكر تلك الفتاة العجيبة التي اتته من قبل الله لتضع على راسه تاج اجداده الاماثل وترد عليه مملكته وبلاده فهاجت هذه الذكرى في نفسه الشجون وانعشت في فؤاده عواطف الشكر لها ومعرفة الجميل نحوها فاراد تبرئتها بكل ما يمكن لديه مما نسب اليها ظلماً وعدواناً فأمر احد العلماء المشهورين المدعو غيليوم بوليي بفحص الدعوى في روان فقام هذا بما عهد به اليه بكل دقة وانصاف وابان بفصاحة وبالبراهين الدامغة ان الحكم على الفتاة كان مخالفاً للقانون والعدل . وفي سنة ١٤٥٢ حضر الكردينال غيليوم دي استوتفيل بامر رومية مع يوحنا بريهال المحامي العمومي عن الايمان في فرنسا وباشرا بفحص الدعوى ثانية في مدينة روان فوجدا واحداً وعشرين شاهداً للتبرئة فارسل الملك كارلس السابع يوحنا بريهال المنوه به الى الحبر الاعظم ليتنازل ويأمر رسمياً وقانونياً اعادة النظر في دعوى شهيدة الوطن وكان بريهال المذكور حاملاً الى البابا رسالة من ايزابيل رومه

والدة جان ومن اخويها فاصدر كاليكستوس الثالث امراً به يحتم باعادة فحص دعوى جان دارك وعين لهذه الغاية يوحنا جوفيال دازورسان رئيس اساقفة ريمس وغيليوم شارتيه اسقف باريس وريشار دي لونغويل اسقف كوتانس ويوحنا بريهال. فاجرى هؤلاء العلماء التحقيق في دومريمي وفي اورليان وفي باريس وفي روان فظهرت لهم الحقيقة وتجلى تاريخ الفتاة الحقيقي فاصدروا الحكم العادل وكان فحواه كما يلي:

انه بعد التحقيق والمذاكرة القانونيين لقد ظهر جلياً فساد الحكم الصادر على الفتاة جان دارك وبطلان الاثني عشر بنداً المسطرة ضدها والمخالفة كل المخالفة لكلامها ولذلك نحن قضاة الكنيسة قد حكمنا ونحكم ببطل هذا الحكم الظالم والغاء نصه الكاذب من كل وجه ونعلن ان كل ما نسب الى الفتاة المذكورة هو اختلاق محض اذ قد تحققنا وتاكدنا ونحقق ونؤكد انها جاهرت مرات عديدة بانها خاضعة للحبر الاعظم وان الجحود المنسوب اليها في سانوان هو تزوير فاحش وكذب فظيع اذ ان اعداءها اختلسوا منها توقيعها لتلك الكتابة الجهنمية اختلاساً فوقعتها الفتاة المسكينة مغصوبة بالقوة ومدفوعة بالخوف الشديد امام الجلاد وبين التهديد بالنار دون ان تطلع على فحواها سابقاً مطلقاً ودون ان تفهم موضوعها باي نوع كان. ونعلن ايضاً ان الحكمين الصادرين عليها كمذنبة وكعائدة الى ذنبها الاول هما زور وبهتان لما فيهما من الظلم والتناقض والضلال واحتقار الحق وتشويه وجه الحقيقة ولذلك نحن نحكم ان كل ماجرى عليها من الاحكام الجائرة وكل ما جرئت عليها تلك الاحكام كان ولا يزال باطلاً لا قوة له ولا سلطة على الاطلاق وان جان واسرتها بريئتين مما التحق بهما من العار والرذل ونأمر ان يقام لذكر جان البارة تعويضان جهاريان احتفاليان بابهة عظيمة الواحد في مدفن سانوان والثاني في المدينة حيث ذاقت الفتاة المنقدة بالذكر عذاب النار.

وبهذه الحكم العادل الصحيح محت الكنيسة المنزهة عن الزلل العار عن

ذكر من كانت لها ابنة صادقة خلوصاً ورفعت شأنها امام جميع البشر لينتقل اسمها طاهراً نقياً مجيداً الى الاجيال المقبلة. وبذلك جعلت لها ذكراً في التاريخ خالداً ومنزلة في القلوب سامية ولا سيما بين ابناء امتها وبلادها الذين كانوا يعظمون اسمها مع توالي الايام ولا يزالون يحتفلون بذكرها بابهة وجلال كل سنة في ٨ ايار في مدينة اورليان فيتسابق رجال فرنسا وعلماؤها واحبارها وخطباؤها الى الاطراء في مدحها وتبجيلها. ولم تمض الايام حتى شيدوا بالقرب من غابة السنديان التي في دومريمي معبداً لوالدة الآله مريم يذكر حياة فتاتهم الباسلة اما اليوم فاقيم مكان المعبد المذكور كنيسة دومريمي الكبرى. ولم يلبث الشعب الفرنسي ان اقام لمنقذته الشهيرة التماثيل والبنايات مشرفاً بعض الاسواق والشوارع والمعاهد والساحات العمومية باسمها الكريم. فكتب الكتبة حياتها الفريدة باساليب مختلفة وصور المصورون صورها على طرق متنوعة وكل ذلك يخولها مجداً خالداً لاتمحوه الاعوام ولا تبدله الدهور

لكن كل ما ذكر من التبجيل والتعظيم الذي جرى لم يكن كافياً لمن كانت آلة الخلاص لامتها ولمن تسامت بشهامتها وبسالتها وفضلها وماتت شهيدة في سبيل وطنها بل كان يجب لها اكرام القديسين لانها كانت متسامية حقاً في القداسة متناهية في الكمال. جامعة لشتات الفضائل والمحامد ولذلك قام السيد ديبانلو الشهير في سنة ١٨٦٩ ترجماناً لامته وبلاده بالقرب من الطيب الذكر البار البابابيوس التاسع سائلاً اياه ان يتنازل ويأمر بالاهتمام بأمر تطويبها وفعل نظيره كل اساقفة فرنسا وانضم

اليهم عدد عديد من اساقفة المعمور فحكم البابا القديس بافتتاح الدعوى لكن المنية وافته قبل ان يجتني ثمار اتعابه فجاء بعده لاون الثالث عشر العظيم فحكم في ٢٧ ك٢ من سنة ١٨٩٤ بامكان ادخال الدعوى في المجالس الرومانية قائلا « ان جان تحصنا » ثم قام بعده بيوس العاشر حبرنا المحبوب الذي عشقته القلوب وانقادت لتعاليمه السامية كل العقول السليمة فشمر عن ساعد الجد في تتبع الدعوى المرغوبة قائلاً : « ان خادمة الله جان دارك قد سطعت في سماء الكنيسة كوكباً منيراً يضيء لكل عين ناظرة فاصبحت مجد فرنسا بل فخر الكنيسة جمعاء » وفي ٦ ك٢ سنة ١٩٠٤ اعلن قداسته بنوع احتفالي سمو فضائلها وأمر بفحص العجائب المقدمة التي انعم الله بها على الذين سألوه اياها بشفاعتها فعين لجنة مؤلفة من اللاهوتيين والاطباء فدرسوها ودققوا في الفحص عن ماهيتها وكيفيتها وظروفها وكل ما يتعلق بها بدقة وامعان لا مزيد عليهما فقررت جمعية الطقوس المقدسة ثلث عجائب منها نيلت في سنة ١٨٩١ وسنة ١٨٩٣ وسنة ١٩٠٠ بشفاعتها لشأن ثلث راهبات من ابرشيات ثلث وهي اراس وافرو واورليان وقد كنّ مبتليات بامراض مختلفة غير قابلة الشفاء صرح الاطباء بعدم شفائها واثبت البابا بيوس العاشر صحتها في ١٣ ك١ سنة ١٩٠٨ ببراءة رسمية وبعد ان تمت جميع المراسيم الرسولية نظراً لمثل هذه الامور الخطيرة اعلنتها بيعة الله المعصومة من الغلط طوباوية بحكم سام بفم رأسها المنظور نائب المسيح على الارض البابا بيوس العاشر وذلك في ١٨ نيسان من سنة ١٩٠٩ بمحضر من جميع اساقفة فرنسا وجمهور غفير من الفرنسيين لم تره رومية في سالف الاعصار في كنيسة القديس بطرس

الفصل العاشر

في براءة تطويب جان دارك

ألبابا بيوس العاشر للذكر المخلد

ان ما انتهعذراء اورليان المجيدة التي سيدون اسمها في سجل الطوباويين من الاعمال الخطيرة وما حازته من الشهرة البعيدة ليؤدي شهادة جديدة لتلك القدرة الالهية التي تختار الضعيف من العالم لتخزي القوي « ١ كور ١—٢٢ »

ففي سنة النعمة ١٤٢٨ كانت الثورات الاهلية والفتن الداخلية المقرونة باهوال حرب عوان طالت مدتها مع الانكليزيين قد اوصلت فرنسا الى آخر حد من التعاسة ولم يبق للمقهورين لا ملجأ يلجأون اليه ولا امل للخلاص. لكن الله الذي شمل في كل آن هذه الامة الشريفة بين جميع الامم بمحبة خاصة قد اقام امرأة « لتخلص شعبها وتقيم لنفسها اسماً مخلداً :١ مكا ٦ — ٤٤ »

اجل ان حياة الباسلة التقية جان دارك المدعوة عذراء اورليان كانت كلها سلسلة عجائب باهرة. فهذه ولدت في قرية دومريمي من ابرشية تول بالقرب من غابة كثيفة كانت منذ القدم مظهراً للخرافات الدرويدية وكانت جان ترعى اغنام ابيها وهناك في ذلك الوادي الوسيع المنبسط امام عينيها كانت هذه القروية الامينة الفقيرة البالغة من العمر نحو ١٥ سنة ترفع عواطف نفسها نحو ذلك الذي زين الجبال والغابات والحقول والدغال بجمال يفوق كل سناء عظيم وكل ابهة ملكية

وكان جل اهتمام هذه الابنة المجهولة من العالم قطف الازهار لتزين بها هيكلاً اقامته للعذراء في الحقل اما من اخبار الحرب الهائلة فلم يبلغ اذنيها الا القليل بيد ان حصار اورليان كان يتهدد المدينة المحاصرة بالخراب العاجل والملك كارلس السابع بتقويض عرشه وكانت احسن الاقاليم افرنسية قد سقطت تحت السيطرة الانكليزية الغازية . ففي هذه الظروف المحزنة بينما كانت جان مكبة على اشغالها العادية في بستان ابيها طرق اذنيها صوت ميخائيل رئيس الجنود السماويين كما طرق قدما اذني يهوذا المكابي قائلاً له : « خذ هذا السيف المقدس هبة من عند الله به تحطم الاعداء . مكا ٢ : ١٥ — ١٦ » فكان ذلك الصوت دعوة لتلك الابنة الوديعة الى الحرب فانذهلت الفتاة الضعيفة اولاً لكنها لما سمعت امر الله متكرراً وشعرت بقوة الهية تدفعها لم تتردد في الاستعاضة عن عصاة رعاية المواشي بالسيف وعن مزمار القصب بالبوق الحربي ولم يكن شيء يثنيها عن تتميم مهمتها الالهية لا الحب البنوي ولا اخطار السفر الطويل وبكلامها الساذج والسامي معاً قاومت الاقوياء وحملتهم على ارسالها الى الملك ولم تعبأ بما لاقته منهم من الاهمال والازدراء وعدم الثقة بقولها بل انتصرت على كل ذلك وبلغت الملك كارلس السابع امر المهمة التي كانت تعتقد انها تلقتها من لدن الله واظهرت له شديد اتكالها على الاشارة السماوية واعدة اياه بتخليص اورليان

والحق يقال ان الله الذي يؤتي التعب قوة ولفاقد القدرة يكثر الحول ١ ش ٤٠ — ٢٩ » حبا تلك القروية المسكينة التي كانت تجهل القراءة حكمة

وعلماً ومهارة حربية بل معرفة الامور الخفية والالهية ايضاً حتى لم يبق لاحد مجال للريب في ان خلاص الشعب سيكون عن يدها فانتعشت النفوس بالرجاء وتراكضت الجموع الغفيرة من كل جهة من جنود ألفت الحرب واشراف وقواد منضمين تحت راية تلك الفتاة ورافعين اسمها

وبعد ان امتطت جواداً واثقلت جسمها البتولي بالاسلحة الحربية وتقلدت سيفاً ورفعت راية بيضاء عليها ازهار زنبقية ذهبيـــة وثبت غير هيابة عَلَى الانكليزيين السكرى من نصراتهم المتوالية فقاتلت الاعداء اشد القتال بمعونة الله والقت الرعب في صفوفهم ودحرتهم وشتتت شملهم والجأتهم الى رفع الحصار عن اورليان في ٧ ايار سنة ١٤٢٩

وكانت جان قبل الهجوم عَلَى الحصون الانكليزية تحرض جنودها عَلَى الرجاء بالله وحب الوطن وحفظ وصايا الكنيسة المقدسة . وكانت قد قرنت بتلك البرارة التي كانت متزينة بها ابان رعاية الغنم بأسَ الابطـــال وبسالة الشجعان حتى انها كانت ترجف الاعداء فرقاً الا انها لم تكد تتمالك عن البكاء لدى رؤيتها القتلى ومع كونها كانت في مقدمة الجميع في ميدان القتال فانها لم تضرب احداً بالسيف بل بقيت بريئة من سفك الدماء في ساحة الوغى وطاهرة بين فساد الرجال

فظهرت حينئذٍ باجلى بيان مفاعيل الايمان اذ عادت الشجاعة حالاً الى الشعب وانتعشت فيه محبة الوطن وتقوى الله فضاعفت قواه لاعمال عظيمة ولم تكن الابنة لتعبأ بالصعوبات العظيمة بل انهكت قوى الانكليزيين بوقائعها

العديدة واخيراً كسرت جنودهم ودحرتهم في معركة شهيرة بالقرب من باتاي

وحينئذ اقتادت ملكها كارلس السابع بموكب حافل الى ريمس ليمسح ملكاً بحسب رتبة تتويج الملوك في ذلك المعبد الذي فيه تبرر كلوفيس اول ملوك الفرنسيين بماء العماد المقدس بيد القديس ريمي فوضع بذلك اساس الامة الفرنسية وهكذا كسر اعداء الاسم الفرنسي بمعونة الله وخلصت جان دارك وطنها بنوع عجيب فأتمت بذلك مهمتها غير انها لتواضع قلبها لم تكن تشتهي شيئاً مثل الرجوع الى حظيرتها ومسكنها الحقير لكنها لم تنل مرغوبها لانها كانت قد اصبحت جديرة للسماء

وكان بعد ذلك ان وقعت في احدى معاركها في يد العدو الذي كان قد شق عليه ان يغلب من فتاة فألقيت في السجن وكبلت بالحديد وبعد ان قاست الاضطهادات المتنوعة وكابدت الاسر الشديد في معسكر العدو مدة ستة اشهر حكم عليها بالموت في روان لتكون ضحية التكفير عن فرنسا فظهرت عجيبة ببسالتها وتقواها حتى في العذاب الاخير اذ انها صلت الى الله ان يغفر لمعذبيها ويخلص الوطن والملك . ولما وضعت على محل العذاب واكتنفتها النيران المتأججة استمرت شاخصة بناظريها الى السماء وكانت كلماتها الاخيرة اسمي يسوع ومريم الحلوين الاقدسين وهكذا فازت هذه العذراء الشهيرة بالاكليل الخالد لكن الجميع كانوا لاهجين بشهرة قداستها مرددين مآثرها وخصوصاً في مدينة اورليان حتى الاعياد القرنية المقامة حديثاً لذكراها واكراماً لها ولا بد من ان هذه الشهرة وهذه الذكرى ستدومان في مقبل الايام اذ ازدادتا الآن لمعاناً بسناء جديد .

والحق يقال ان ما قيل في مديح يهوديت يطلق عليها ايضاً بحق وصواب « في كل امة يسمع فيها باسمك يعظم لاجلك اله اسرائيل : يهوديت ١٣ : ٣١ »

لكنه لم يعط لمجمع الطقوس المقدسة ان يبتدىء بالاعتناء بدعوى تطويب جان دارك الا في هذه الآونة الحاضرة وقد جاء ذلك في غاية المناسبة ونحن يحلو لنا في هذا العصر الذي كثرت فيه البلايا الجسيمة على العالم الكاثوليكي وحاول اعداء الاسم المسيحي توطيد حب الوطن على انقاض المدنية والدين ان نذيع امجاد العذراء الباسلة ليتذكر هؤلاء « ان من خصائص المسيحي العمل والاحتمال بشجاعة » ولنا الرجاء القريب من اليقين ان خادمة الله المكرمة التي تحصى منذ الآن في عداد الطوباويين تنال لوطنها الذي لها عليه الايادي البيضاء حرارة ايمانه القديم وللكنيسة الكاثوليكية التي كانت دائماً من ابنائها الخاضعين العزاء برؤيتها عودة اولادها الضالين اليها ولذلك بعد البراءة التي اصدرناها في ٦ ك٢ سنة ١٩٠٤ وبعد ان فحصنا قانونياً وتحققنا شرعياً كل البراهين والادلة المقدمة لاثبات الدعوى قررنا ببراءة شرعية ان خادمة الله المكرمة جان دارك الملقبة بعذراء اورليان قد مارست الفضائل بنوع سام جداً

وبعد ذلك بدأت الجمعية المقدسة بفحص العجائب المنسوبة الى شفاعتها وبعد تتميم الرسوم العادية والقوانين الشرعية اشهرنا بسلطتنا الرسولية ببراءة مؤرخة في ١٣ ك١ سنة ١٩٠٨ ان ثلاثاً من العجائب المقدمة هي صحيحة اكيدة . وبعد ان اصدرنا حكمنا نظراً للفضائل والعجائب الثلاث بقي علينا النظر فيما اذا كان يمكن احصاء خادمة الرب المكرمة بين الطوباويين . فعرض ولدنا

العزيز الكردينال عبد الاحد فراتا كاتب الدعوى المسألة على الجمعية العامة التي التأمت في حضرتنا بالفاتيكان في ١٢ ك٢ من السنة الحاضرة فاجاب كل من كرادلة جمعية الطقوس المقدسة ومن المستشارين الحاضرين بالايجاب باتفاق الاراء.

اما نحن فاخرنا اظهار ارادتنا واصدار حكمنا في هذه المسألة الخطيرة الشان الى يوم آخر لنستميح بصلوات حلوة الانوار الالهية. اخيراً بعد ان اتممنا هذا الواجب بحرارة والحاح شديد قررنا جهاراً بانه يمكن الشروع بامان بتطويب المكرمة خادمة الله جان دارك وذلك في ٢٤ ك٢ من السنة الحاضرة في عيد العائلة المقدسة يسوع ومريم ويوسف وبعد ان قدمنا ذبيحة القداس الالهية بحضور الكردينال ساروفيم كريتوني رئيس جمعية الطقوس المقدسة وولدنا العزيز الكردينال عبد الاحد فراتا كاتب الدعوى واخينا المحترم دُيوميد بانيتشي رئيس اساقفة اللاذقية شرفاً وكاتم اسرار جمعية الطقوس المتقدمة بالذكر وحضرة الاب الجليل اسكندر فرد المحامي عن الايمان

فوالحالة هذه انا اجابة الى التماس اساقفة فرنسا جمعاء وطلب اساقفة غيرها من البلدان وبقوة سلطتنا الرسولية نسمح بان خادمة الرب جان دارك الملقبة بعذراء اورليان تدعى من الآن وصاعداً طوباوية وبان تزين صورها باشعة الانوار البهية ونسمح ايضاً بقوة سلطاننا بان يتلى كل سنة القداس والفرض المؤلفين اكراماً لها من رتبة العذارى مع الصلوات الخاصة بها والمثبتة منا ونأذن باقامة هذا القداس وتلاوة هذا الفرض في ابرشية اورليان فقط لكل المؤمنين من العالمين والقانونيين الملتزمين بتلاوة الساعات القانونية. اما القداس فنسمح

بتلاوته لجميع الكهنة المارين مدة سفرهم بالكائس التي يحتفل فيها بالعيد طبقاً لبراءة جمعية الطقوس المؤرخة في ٩ك ١ سنة ١٨٩٥ (٣٨٦٢ من المدينة الى العالم) ونأذن أخيراً بان يقام الاحتفال بتطويب المكرمة خادمة الرب جان دارك سواء كان في الابرشية او الكائس المنوه بها طبقاً لاوامر جمعية الطقوس المقدسة او مراسيمها الصادرة في ١٦ ك١ سنة ١٩٠٢ بشأن الاعياد الثلاثية الواجبة اقامتها باحتفال في سنة التطويب . ونأمر باقامة هذه الاعياد الثلاثية في الايام التي يعينها الاساقفة المحليين في السنة التالية للاحتفال الذي يقام في كنيسة الفاتيكان البطريركية الكبرى

ونحن نريد ايضاً رغماً عن الرسوم والاوامر الرسولية وعن الاحكام الصادرة « بعدم الاكرام » وعن كل شيء مضاد او مخالف ان يوثق في كل المباحثات حتى القضائية بنسخ هذه الرسالة ولو كانت مطبوعة نفس الثقة الواجب اداؤها لمنطوق ارادتنا المعلنة بهذه الرسالة بشرط ان تكون موقعة من كاتم اسرار جمعية الطقوس المقدسة ومختومة بخاتم رئيسها

اعطي في ١١ نيسان سنة ١٩٠٩

فليعط للمكرمة خادمة الرب جان دارك الملقبة بعذراء اورليان اسم طوباوية بأمر خاص من قداسته : الكردينال مري دلفال

صلاة للطوباوية جان دارك

ايها الرب الاله الذي اقام الطوباوية جان الفتاة للمدافعة عن الايمان والوطن امنح الكنيسة بشفاعتها ان تنتصر على مكائد اعدائها وان تحظى بسلام دائم

باستحقاقات سيدنا يسوع المسيح آمين

الفصل الحادي عشر

في حفلات تطويب جان دارك

اليك وصف حفلة التطويب التي ترأسها قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر في كنيسة القديس بطرس

في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٩ غصت كنيسة القديس بطرس بجماهير الزوار الفرنسيين الذين أمّوا رومية من جميع انحاء فرنسا وقدّر عددهم بخمسين الفاً وبرزت الكنيسة بابدع حلة من الزينة وغطيت الدعائم القائمة في وسط الكنيسة بستائر حمراء على جوانبها قدد مذهبة وعلق على دعيمتين تحت القبة علمان يمثلان حادثتين هامتين من حياة جان دارك احداهما دخولها منتصرة الى اورليان والاخرى تتويج الملك كارلس بحضرتها وكان ان أقيمت دكات خاصة لجلوس المدعوين فجلس في الشرفة المخصصة لامراء الأسر المالكات الدوق دي الانسون ممثل الدوق دي اورليان وسائر اعضاء الأسر المشار اليها والاشراف الرومانيون وشغل سائر الشرفات ١٥٠ عضواً من أسرة الطوباوية والسيد دبيو مؤلف حياة جان دارك ووفد اسقفية اورليان وبعض اعضاء مجلسي الاعيان والنواب في فرنسا وممثلو الزوار الفرنسيين وكان في شرفة صغيرة تحت شرفة الامراء شقيقتا البابا ومنذ الساعة السابعة ونصف بدأ الزوار بانشاد الاناشيد وتلاوة الصلوة والسبحة

وعند الساعة ٧ ٩ أنيرت جميع المصابيح الكهربائية دفعة واحدة فسطع ضوؤها وبهرت الانظار وبدأ الموكب بدخول الكنيسة فولجها ١٤ كردينالاً و٨٠ اسقفاً فلما بلغوا مراكزهم تقدم حضرة الاب هرتزوغ نائب جمعية السوليسيان وملتمس التطويب والمونسنيور بانيتشي كاتب اسرار مجمع الطقوس وغيرهما من اعضاء المجمع المذكور من نيافة الكردينال مارتينلي رئيس المجمع وسلموه براءة التطويب والتمس منه الاب هرتزوغ ان يسمح بتلاوتها فاجاب نيافة الكردينال ملتمسه واشار اليه ان يستأذن نيافة الكردينال رمبولاً رئيس كهنة كنيسة القديس بطرس وبعد ان صرّح نيافة المشار اليه برضاه بصوت عال تليت البراءة المتقدمة بالذكر

وعند الفراغ من تلاوة آخر كلمة من البراءة البابوية أُنزل الستار عن صورة الطوباوية جان دارك وأُضيء الشعاع البديع المنصوب حوالي الصورة وبدأ السيد توشه بتسبحة الشكر واتمها المرتلون يعاونهم مرتلو كنيسة القديس بطرس والجماهير الحاضرة موقعة على انغام الارغون وقرعت الاجراس وكانت تلك الساعة مهيبة تملأ القلوب فرحاً والعين بهجة وعند نهاية التسبحة تلا السيد توشه الصلاة المؤلفة للطوباوية وشرع باقامة القداس الحبري وعند الظهر انتهت الحفلة الاولى وانصرف الجمهور

وعند الساعة الخامسة بعد الظهر عادت الجماهير الى الكنيسة فوصل الحبر الاعظم من ناحية معبد الام الحزينة فاستقبله ٣٢ كردينالاً و ٨٠ اسقفاً ودخل الكنيسة محمولاً على منصته ولما وصل الى المذبح المشاد تحت كرسي

القديس بطرس جثا وابتهل الى الطوباوية بينما كان جوق المرتلين ينشد انشودة اكراماً لها ثم صعد قداسته درج المذبح يعاونه الكردينال رمبولا والسيد ريتشي وبخر القربان الاقدس وبعد الاحتفال باعطاء البركة خرج قداسته من الكنيسة مشيعاً بمثل الاحتفال الذي دخل به

الفصل الثاني عشر

في خطاب الحبر الاعظم في الزوار الفرنسيين

وفي ١٩ نيسان سنة ١٩٠٩ قابل قداسة امام الاحبار بيوس العاشر الزوار الفرنسيين الذين امّوا رومية للاشتراك في محافل حفلة تطويب جان دارك وكانت هذه المقابلة بهجة امتزجت بها دموع الفرح بعواطف الاخبات

فكان ان حمل قداسته بحفته وسيماء الدعة على محياه ولما بلغ عرشه المنصوب امام مذبح كرسي القديس بطرس اطرق مفكراً ثم اشار الى سيادة المطران توشه ان الفظ خطابك فامتثل غير متلجلج وقبل النهاية وقف مخنوقاً من شدة التأثير . ثم تلا قداسته خطابه بالفرنسية وهذا ملخصه :

فانه استهله بشكر سيادة اسقف اورليان على ما ابدى من العواطف النبيلة والتصريحات البنوّية المخلصة باسم كاثوليكيي فرنسا وهي محققة لديه منذ القديم اذ انه فضلاً عن التاريخ وهو افصح شاهد على تعلق فرنسا المتواصل بكرسي القديس بطرس وصدق ايمانها وناهيك عن هذه الجماهير المتقاطرة من فرنسا

الى حاضرة الكثلكة قصد مضاعفة رونق تطويب وطنيتهم المحبوبة جان دارك بحضورهم فان الاب الاقدس رأى بأم عينه في الحوادث الاخيرة المؤلمة التي انهالت على هذا الشعب العزيز دليلاً ساطعاً ينادي على حسن طاعته وخلوص انقياده الى صوت البابا مضحياً في هذا السبيل بكل نفيس وبرهاناً جلياً على اتحاد الشعب باكليروسه واساقفته ورأس الكنيسة المنظور ثم حرضهم يارعاه الله ان يحرصوا على هذا الاتحاد وهو ينبوع قوتهم في الكفاح وفوق ذلك فهو يوليهم تعزية في عملهم لخير الوطن ويكون لهم بمثابة خير مكافأة لان الدين هو الضامن الوحيد لنظام الهيأة الاجتماعية وسعادتها ولا يخفى ان المصالح الدينية والهيأة الاجتماعية متلازمتان فلا تقوم احداهما بدون الاخرى وقد دفع قداسته بكلام متين التهمة السافلة المصوبة الى ابناء الكنيسة فقال « وسم ابناء الكنيسة الامناء بتهمة كونهم اعداء الوطن مع ان حب الوطن يكون اكثر قوة اذا امتزج بحب الكنيسة فالكنيسة الكاثوليكية سيدة النفوس وملكة القلوب قد ملكت العالم لانها عروس يسوع المسيح ومستودع الحقيقة ومن ثم فمن يتمرد على سلطة الكنيسة يتمرد بذات فعله على الحقيقة عينها ولذلك ليس لاية حكومة كانت مهما كانت هيأة الحكم فيها ان توجب احترامها وحبها اذا ما كانت تحارب الحقيقة فانها بعملها هذا تلحق اهانة كبرى باقدس شيء في الانسان »

ان الوطن قد لقي دائماً اشجع منقذيه وابسل محاميه بين صفوف ابناء الكنيسة

وعليه فهو يهنىء كاثوليكيي فرنسا الذين عملاً بارشادات الكنيسة يحاربون في ظل علم جان دارك الصادقة الوطنية وهو يرى عليهِ هاتين الكلمتين « الدين والوطن »

ثم ازّر قداسته خطابه بتنشيط كاثوليكيي فرنسا على الثبات في امانتهم للكنيسة والاجتهاد في هداية العقول الى الحقيقة والقلوب الى محبة يسوع المسيح

وعند النهاية خرج قداستهِ محمولاً على كرسيه فوافق مروره بالقرب من علم فرنسي فأحناه حامله اجلالاً واعتباراً فمسكه قداسته وضمه اليه وقبله طويلاً ولا تسل عما خامر اذ ذاك النفوس من الابتهاج فان اصوات الهتاف والجؤار وصدى التصدية قد بلغت السبع الطباق واجرت دموع الفرح أنطق من كل لسان

فهرست الكتاب

صفحة رسالة فرنسية الى رئيس وزارة فرنسا الخارجية

٢ تثبيت الكتاب

٣ هدية الكتاب

٥ المقدمة

القسم الاول

جان دارك ملهمة ومرسلة

٧ الفصل الاول في موضوع هذا الكتاب

١١ الفصل الثاني مسقط راس جان دارك — والداها

١٤ الفصل الثالث في حداثتها

٢٣ الفصل الرابع الرؤى الالهية

٢٩ الفصل الخامس في تركها البيت الوالدي

٣٣ الفصل السادس في ذهابها الى القائد

٤٠ الفصل السابع في سفرها الى قصر الملك

٤٣ الفصل الثامن في الوقائع الملتحمة بين الانكليز بين والفرنسيين وفي الحرب الاهلية الهائلة التي دمرت فرنسا في زمن جان دارك

٦١ الفصل التاسع في كيف ان الانكليز بين حاصروا مدينة اورليان وضيقوا عليها تضييقاً عظيماً

٧٤ الفصل العاشر في قديسي تلك الايام والنبوات المختصة بجان دارك

٨٥ الفصل الحادي عشر في مثول جان دارك امام الملك في شينون

٩١ الفصل الثاني عشر في استنطاقها في مدينة بواتيه

٩٩ الفصل الثالث عشر في ذهاب جان للسفر الى اورليان

القسم الثاني

جانه دارك مظفرة ومحتقرة

١٠٠ الفصل الاول في سفرها الى اورليان
١١١ الفصل الثاني في مراسلتها الانكليزيين ليرحلوا عن فرنسا
١١٦ الفصل الثالث في انتصارها الاول على الاعداء
١٢١ الفصل الرابع في انتصارها الثاني
١٢٦ الفصل الخامس في استيلاء الفرنسيين على قلعة الجسر
١٣٣ الفصل السادس في انصراف الانكليزيين من اورليان
١٣٤ الفصل السابع في رجوعها الى الملك وتحريضها له على الذهاب الى ريمس
١٣٩ الفصل الثامن في اخذ جارجو وانتصار باتاي الباهر
١٤٧ الفصل التاسع في مسيرها مع الملك الى ريمس وافتتاحها مدينة تروا
١٥٩ الفصل العاشر في وصولها الى ريمس وفي تتويج الملك
١٦٦ الفصل الحادي عشر في خروجها مع الملك من ريمس وفي كيف كسرت سيفها وفي احتقار الديوان الملكي لها

القسم الثالث

جانه دارك مغدورة ومسلمة

١٧٤ الفصل الاول في هجومها على باريس وفي جرحها
١٧٨ الفصل الثاني في معاكسة الملك والمجلس لجان وفي اخذها سان بيار لي موتيه
١٨٥ الفصل الثالث في تقليد الملك جان واسرتها لقب الشرفاء وفي كيف غدرت واسرت
١٩٦ الفصل الرابع في ذكر ما جرى لها في السجن

القسم الرابع

جان دارك مستشهدة ومجدة

٢٠٤	الفصل الاول	في كيفية الدعوى التي اقيمت على جان وفي قضاتها البغاة
٢٠٩	الفصل الثاني	في مقدمات الدعوى واستنطاق جان وما جرى لها اثناء ذلك
٢١٧	الفصل الثالث	في عبادة جان للقربان الاقدس وفي اجوبتها ونبواتها
٢٢٤	الفصل الرابع	في مرضها وما جرى لها بعد ذلك وفي ايمانها وتقواها
٢٢٩	الفصل الخامس	في ما جرى لجان في سانوان وفي لوم فانشستر وكوشون
٢٣٨	الفصل السادس	في لبس ثوب النساء وفي جلسة ٢٩ ايار
٢٤٢	الفصل السابع	في تناولها القربان الاقدس وكلماتها الاخيرة وموتها الكريم
٢٤٧	الفصل الثامن	في اقرار اعدائها بقداستها وفي بقاء قلبها سليما وفي قصاص قاتليها
٢٥٠	الفصل التاسع	في تبرئة جان وحكم الكرسي الرسولي بسمو فضائلها
٢٥٠	الفصل العاشر	في براءة تطويب جان دارك
٢٦٠	الفصل الحادي عشر	في حفلات تطويب جان دارك
٢٦٠	الفصل الثاني عشر	في خطاب الحبر الاعظم في الزوار الفرنسيين
٢٦٠	فهرست	

اصلاح غلط

(اننا نضع الصواب بين هلالين)

ونرى ص ٩ س ٩ (ونحن نرى) — رفيقاته ص ١٦ س ٢ (رفيقاتها) — لكن ص ١٨ س ١٩ (لكنهم) — لكن ص ١٩ س ١٧ (لكني) — وكانت ص ٢٠ س ١٣ وقد كانت) : وصار منهم من س ١٥ (فمنهم من كانوا) : والبوار س ١٩ وضرب البوار) — لايدي ص ٢١ س ٢ (الى ايدي) : رجل واحد س ٣ (رجلاً احداً) — هو ص ٢٣ س ٢ (فهو) : عليها س ١٤ (بها) — وكذلك اني ص ٢٧

س ١٦ (وكذلك) — يقتضي ص ٢٨ س ٧ (يُقتضى) : كانت س ٠
كانت) — فقالت ص ٣٣ س ١٩ (فاعلنت) — يذكرها ص ٣٨ س ٨ (
عن س ١١ (من) — ضامنين ص ٤٠ س ٩ (مضمرين) — المريعة ص
(المرعبة) — بالكاد ص ٤٤ س ١٦ (بالكد) — المريعة ص ٤٨ س ١٤ (الم
بالرجوع ص ٤٩ س ٨ (الى الرجوع) — وخلفاء ص ٥٠ س ١ (وخلفاءه)
ص ٥١ س ٩ (ينال) — المريعة : مريعاً ص ٥٤ س ١٢ (المرعبة : مرعباً)
ص ٦٤ س ٢ (مغلىً) — مدرجاً ص ٦٥ س ٧ (مضرجاً) — ليضايقوا
س ٧ (ليضيقوا) — المريع ص ٦٧ س ١٨ (المرعب) — تجيب الى مدافع
س ١٣ (تجيب مدافع) : الى س ١٦ (نَلَى) — يستعد الى اورليان ص ٧٠
(يستعد الى السفر الى اورليان) : بدأت س ١٩ (بدأ) — ومبشرين ص ٧٥
(ومنذرين) : ووحي س ١٤ (ووحياً) — لقداسة ص ٧٩ س ١٤ (لقداسته
ان ص ٨٥ س ١٥ (في حين) — كلاما ص ٨٧ س ١٦ (كلام) — وردا ص ٩٩
(وردوا) — ساجدن ص ١٠٠ س ١٩ (ساجدات) — يصبها ص ١٠٨
(يصيبها) : رأيتا س ١٦ (رأينا) — عضداً ص ١١٢ س ١٢ (عضدٍ) —
ص ١١٣ س ٢ (وتجاوزوا) — اذ ص ١١٧ س ١٧ (اذا) — عن نية ص
س ١٥ (لاجل) — انكسرت ص ١٤٢ س ١٥ (انكسر) — عيداً باهراً ص
س ٥ (عيدٍ باهرٍ) — فرخصنا ص ١٧٩ س ١٦ (فرخصت) — حمقى ص
س ١٥ (حمقاء) — ونحن ص ١٨٣ س ١٧ (لم نزل) — قادز ص ١٨٤ س
(قادراً) — حمقي ص ١٨٥ س ١٠ (حمقاء) : ابي س ٢٠ (ابى) — ثلاث ص
س ٨ (ثلاثمائة او) : رجل س ١١ (رجلاً) — الفشاة ص ١٩٧ س ١٨ (بالفش
والاهمام ص ١٩٨ س ١٣ (والاهتمام) — مناط ص ١٩٩ س ٢ (مناطاً) — من
٢٠٩ س ١٦ (مناطاً) — عازمون ص ٢١١ س ١١ (عازمين) — هل ان ص
س ١٧ (هل) — لحكم ص ٢٢٤ س ١٧ (الحكم) — الا تحث ص ٢٣٥ س
(الاتحاد) : ذللاد س ٢٥ (ذلك) — في كنسي ص ٢٤٠ س ١٢ (في سجن كن
حجدت س ١٩ (قد حجدت) —

Jafet Library

DATE DUE

11 MAR 1995

19 JUN 1987

JAFET LIB.

15 JAN 2015

Circulation Dept.

A. U. B.

922.22:J43aA:c.1
عنوان :يوسف
ارج الوطنية في حياة الطوباوية جان د
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01049485

922.22
J43aA